المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد السابع والسبعين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٠ — ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٤٩

مخاطبة المريخ

بحث علمي نظري

يشتمل على حقائق علمية دقيقة ولا يخلو من فكاهة

حاول بعضهم مراراً في نصف القرن المنقضي ان يبعث برسالة الى سيار مجاور وكانت هذه المحاولات في الغالب غير مبنية على اساس علميّ . ومع ذلك فالموضوع ليس مما يجدر بنا ان نتجاهله فبسطهُ ضروري توطئة للبحث عن وسائل فعالة لحله وهذا ما نروي ان نفعله في الصفحات التالية نقلاً عن مقال للدكتور جون طسن محاضر في الطبيعة بجامعة ردلغ بانكلترا . والمسألة تقسم بطبعها الى ثلاثة اقسام . الاول — هل نستطيع ان نبعث باشارة في الفضاء يمكن وصولها الى عالم مجاور ؟ . ثانياً — اذا استطعنا ان نبعث باشارة من هذا القبيل فهل يحتمل التقاطها هناك وفهمها ؟ ثالثاً — واذا كان ذلك ممكناً فما الاشارة التي نستطيع ان نبعث بها ؟

ولتبيان المصاعب التي تنطوي عليها هذه المحاولة لنفرض اننا استعملنا تلغازاً تصدر منهُ اشارتنا . فقد ورد في مجلة « دسكڤري » عدد مايو الماضي اقتراح لاستعمال التلغاز

لمخاطبة المريخ وبعد تحليل هذه المسألة وصل الكاتب الى النتيجة التالية وهي : ليس من المرجّح ان يكون لدى جيراننا على سطح المريخ ادوات دقيقة لالتقاط الاشارات التلفزية. وهذا هو عين الصواب . فالتلفاز نوعان مرسل ولاقط . فالمرسل يحوّل النور الى تيار كهربائي يتغيّر بتغير قوة النور بوسائل دقيقة كلّ الدقة واما التلفاز اللاقط فيحسّ بالتيار الكهربائي ويحوّله الى نور يضعف ويقوى كالنور في التلفاز المرسل. فالآلة معقدة كلّ التعقيد واستعمالها يقتضي وجود ادوات دقيقة يعجز عنها ابناء الارض الاّ المهندسون والهواة القلائل المتعلقين بهذا الموضوع النتان . وفي محاولتنا مخاطبة سيّار مجاور يجب الاّ نسلّم بوجود ادوات ووسائل كالادوات والوسائل التي نستعملها نحن . وغاية ما نستطيع ان نرجوه هو ان يكون جيراننا عارفين بوجود شيء اسمه الطيف الكهربائي المغنطيسي ويملكون طريقة للكشف عن الامواج الكهربائية المغنطيسية

ثم هناك اعتراض آخر على استعمال التلفاز . من المرجّح ان يكون سكان سيّار آخر قادرين على الاحساس بالنور لان هذا الاحساس على ما يظهر لا مندوحة عنه لارتقاء الحياة العقلية . ولكن من قبيل الترجيح حيواناتنا احساسهم بالنور مثل احساسنا . فاذا فرضنا اننا استطعنا ان نصنع تلفازاً مرسلاً قويًّا يمكننا من ارسال اشارة تلفزية الى المريخ وان هذه الاشارة وصلت وان المريخيين يملكون تلفازاً لاقطاً على منوال تلفازنا وانهم استطاعوا ان يلتقطوا الاشارة المرسلة فاننا لا نستطيع ان نجزم قط بانهم يفهمون ما يرون او على الاقل بانهم يفهمونه كما نفهمه نحن . فمعالجة المسألة معالجة علمية يجب ان نبحث عن اشارة اساسية بسيطة يسهل على حيواناتنا التقاطها وفهمها

***

ولما كنا نحاول ان يكون التخاطب بين الارض وسيّار آخر يفصل بينهما فضاء خلاء فمن الواضح انهُ يجب ان تكون اشارتنا نوعاً من الاشعاع يسير في الفراغ . فكأننا نقول عليًا ان نستعمل جزءاً من الطيف الكهربائي المغنطيسي المتد من اشعة اكس الى الاشعة اللاسلكية الطويلة . ومع ما يبدو لاول وهلة من كثرة انواع الاشعة التي يمكن استخدامها لهذا الغرض يثبت لنا لدى التحقيق ان اختيارنا مقتصر على نوع او نوعين منها فقط

فلا يخف عليك ايها القارىء ان للارض جوًّا يمتص كثيراً من الاشعة التي تنطلق من سطحها او تجيئها من الخارج . لذلك لا نستطيع ان نستعمل اشعة اكس ولا الاشعة التي فوق البنفسجي لان الغازات تمتصها بسهولة . فاذا جعلنا اشارتنا من هذه الاشعة تعذر عليها ان تنفذ من الجوّ الذي يحيط بالارض الى الفضاء حولها . اما اشعة النور والحرارة فلا يمتصها

الهواء ولكنها لا تصلح لهذا الغرض لانه مهما قوي مصدر النور او الحرارة الذي نستعمله فان نور الشمس وحرارتها يتغلبان على نوره وحرارته

يتضح لنا مما تقدم اننا يجب ان نحصر اختيارنا في منطقة الامواج الهرتزية (اي اللاسلكية) وهي في الطرف الطويل من الطيف الكهربائي المغنطيسي وتستعمل الآن في الاذاعة اللاسلكية. ولكننا نصطدم في الحال بصعوبة كبيرة وهي ان في الجوّ طبقة تدعى طبقة هيڤيسيد من شأنها ان تردّ الامواج اللاسلكية من الانطلاق الى الفضاء خارج الارض. وهذه الطبقة تمكننا من استعمال الامواج اللاسلكية في المخاطبات فهي تمنعها من الانتشار فتدور حول الارض وقلما تتعدى منطقة جوّ الارض. فاذا انطلقت شعاعة من الامواج اللاسلكية من مذيع لاسلكي معيّن انتشرت في كل الانحاء وذهبت صُعُداً في الجوّ حتى تصطدم بطبقة من الهواء المؤيّن (ionized مكهرب) تدعى طبقة هيڤيسيد فتنكسر وتنعكس ثانية الى سطح الارض. وانحناء الامواج الهرتزية بالانكسار والانعكاس احياناً هو الكفيل بانتقال المخاطبات اللاسلكية حول الارض هذه المسافات الطويلة. ولكننا اذا نظرنا اليه من وجهة المخاطبة بين السيارات وجدناه عائقاً كبيراً يحول دون ما نتمنى

على ان بعض الامواج اللاسلكية يستطيع ان يخترق هذه الطبقة الى الفضاء خارجها. فقد اثبتت المباحث الحديثة ان الامواج اللاسلكية القصيرة اقل تأثراً بفعل طبقة هيڤيسيد من الامواج الطويلة. قد لا نتمكن من توليد امواج تخترق الجوّ في خطّ مستقيم ولكنها اذا كانت من طول عشرة امتار كان انكسارها في اختراقه مما لا يُعبأ به كثيراً في هذا الصدد. ثم هناك امواج لاسلكية طويلة يزيد طول الموجة منها على عشرة آلاف متر لا يمتصها الهواء ولا تكسرها طبقة هيڤيسيد

قدرنا اذاً منطقتان من الامواج اللاسلكية يمكنها اختراق طبقة هيڤيسيد: الامواج التي طولها دون العشرة الامتار والامواج التي طولها يزيد على عشرة آلاف متر. ولكننا في ارسال شعاعة من الامواج الى مسافة خمسين مليوناً من الاميال (متوسط بعد المريخ عنا) يجب ان نعنى عناية خاصة بقوتها. ولذلك تفضل الاشعة القصيرة لاننا نستطيع ان نجمعها ونمكنها بما كسات خاصة على طريقة مركوني فتخترق جوّ الارض والفضاء ثم جوّ السيار المقصود الى سطحه. والمظنون ان كلّ اشعاع تكون قوته كافية لاختراق جوّ الارض يستطيع ان يخترق كذلك جوّ السيار الآخر المرسل اليه

اما وقد حصرنا موضوعنا هذا الحصر فتتقدم الى السؤال التالي: هل في الامكان ان نصنع مصدراً لاشعة لاسلكية قصيرة تكون على جانب كافٍ من القوة للنفوذ بها من جوّ

الارض الى الفضاء الى سطح السيّار الآخر ؟ لا بد ان يكون الجواب عن هذا السؤال نظريًّا بحتاً لانا لا ندري هل عند المريخيين اداة لاسلكية لاقطة . اما الشعاعة التي نطلقها نحن من الأرض فيضعفها في طريقها ما يصيبها من انتشار وامتصاص. فباستعمال الماكنات اللاسلكية الحديثة يمكننا ان نمنع الانتشار (الا ما كان سببهُ التفرق) ولكن تصويبنا الشعاعة الى مركز السيار لا يمكن ان يكون محكماً فاذا استعملنا شعاعة دقيقة فالمرجح اننا لا نصيب هدفنا في الفضاء الواسع . لذلك يجب ان نستعمل شعاعة تتفرج قليلاً قليلاً كما بعدت عنا حتى تصبح مساحة مقطوعها متى وصلت المريخ عشرة آلاف مليون ميل مربع اتقاءً لاخطاء الهدف

وارسال شعاعة هذه قوتها ليس مسألة متعذرة ولو صعب تحقيقها الآن . فان ارتقاء العلم والصناعة كفيل بتحقيقها في المستقبل . والمهندسون اللاسلكيون يستطيعون ان يصنعوا لنا الآلات اللازمة لتوليد الشعاعة المطلوبة ولكن الصعوبة كل الصعوبة في تسديد هذه الشعاعة بعد عمل حساب لانكسارها في اثناء اختراقها لطبقة هيفيسيد حتى لا تخطىء المريخ

***

واذا نظرنا الى المسألة من وجهها الفلسفي وجدنا انهُ غير محتمل ان تكون الارض السيّار الوحيد في النظام الشمسي الذي يمكنهُ احياء عاقلون . واذا صرفنا النظر عن كل اعتبار بيولوجي وجدنا ان هذا النظر الفلسفي يكفي غريزة عميقة في النفس وكل نظر آخر يكون متسماً بسمة الانانية البطليموسية التي حسبت الارض مركز الكون . وزد على ذلك ان التدليل على عدم موافقة السيارات الاخرى للحياة باطلٌ لان تدليلاً من هذا القبيل يسلّم بأن البروتوبلازم هو اساس الحياة المجرّد . وليس لدينا ما يثبت ان البروتوبلازم كما نعرفهُ هو اساس حيوي لم تطرأ عليهِ تغيرات بسبب جوّ الارض وأحوال سطحها . حتى اذا سلمنا بان البروتوبلازم اذا وجد على المريخ او الزهرة كان من نوع بروتوبلازمنا لم يمكننا ان ندلل على ان الحياة مستحيلة على سطحيهما . ومتى كانت الحياة ممكنة فالحياة العاقلة محتملة او مرجحة

والمسألة التي تهمنا بوجه خاص هي اذا سلمنا بوجود الحياة العاقلة على المريخ فهل عقلها من النوع الذي يستطيع ان يدرك معنى اشارتنا المنطوية في موجة لاسلكية « هرتزية » ؟ يجب الا نحسب ان الاحياء هناك لهم عقول كعقولنا وتعليم كتعليمنا واختبار كاختبارنا. فما اطول الزمن الذي انقضى على الاحياء العاقلة على سطح الارض قبلما تمكنت من فهم بعض الظاهرات اللاسلكية . فاذا صحّ لنا ان نسلم بأن هؤلاء العاقلين عناية فلسفية ومجريبية بشؤون الكون المادي صحّ لنا ان ننتظر منهم ان يلتقطوا اشارتنا ويفهموها

وعلينا الآن ان ننظر في الاشارة التي نبعثها بهذه الامواج اللاسلكية . وهنا نصطدم

بصعوبات تختلف عن الصعوبات التي جئنا على ذكرها . فاشارتنا يجب ان تلخص فكراً اساسيًّا من مقومات الحياة العقلية الخاصة بنا حتى يستطيع ملتقطها اذا كان له العقل الذي سلمنا به جدلاً ان يفهم مصدرها ومغزاها. فمن العبث مثلاً ان نرسل رسالة باللغة الانكليزية الى عالم فرنسي لا يعرف اللغة الانكليزية . فان ذكاءه بالغاً ما بلغ من التفوق لا يمكنه من فهم الرسالة الانكليزية

وأمثل الوجيه هو في استخلاص حقيقة بسيطة اساسية من حقائق الكون . كمقام الارض بين السيارات مثلاً . فهي السيّار الثالث في ترتيب السيّارات من الشمس الى بلوطو . يفصل بينها عطارد والزهرة . ومهما يكن نوع الذكاء الخارج عن الارض فلا ريب في ان ثلاث نبضات لاسلكية تُفهم ذلك العقل معنى « الثلاثة » لذلك نقترح ان تكون مخاطبتنا للمريخ مبنية على ارسال طائفة من الاشارات كل اشارة منها ثلاث نبضات لاسلكية . لا نستطيع ان نكون ما هي صورة « الثلاثة » في عقل المريخي ولكنها صورة اساسية من صور الطبيعة. فاذا اتفق اتا التقطنا اشارة لاسلكية آتية من خارج منطقة الارض كل اشارة منها اربع نبضات صحّ ان نفرض ان هذا ردُّ المريخ على اشارتنا

وقد يعترض على ذلك بان الاشارة المؤلفة من ثلاث نبضات لاسلكية بسيطة لا تدلُّ على ذكاء ولذلك يجدر بنا ان نبتدع اشارة اعقد منها تكون ادلّ على الذكاء. وقد اشار احد علماء الهيئة ، في اثناء بحثه في القمر الى امكان مخاطبته برسم مثلث قائم الزاوية على سطح فسيح من الارض . وحجتهُ في ذلك ان هذا المثلث اساسي في الهندسة يبيّن لسكان القمر — اذا كان سكونًا — وجود احياء عاقلة ذكية على الارض . والاعتراض على ذلك ان هندسة اقليدس ليست الاّ مدخلاً لهندسة الكون فلا يلزم عن ذلك ان تكون نظرياتها اساسية في كل هندسة كونية . ثم لم يسغ الاستاذ على سكان القمر — الوهميين — عقلاً ارضيًّا اكثر مما يسع لهُ قانون المرجحات بذلك . فحسابنا المثلث القائم الزاوية صورة اساسية في كل انحاء الكون من قبيل لوم الانكليزي لانهُ لا يتكلم اللغة الصينية . فيجب علينا ونحن نحاول ابتداع طريقة للمخاطبة بين السيارات ان تكون اشارتنا كونية

أما وقد عالجنا الموضوع من وجوهه المختلفة فلنلتفت الى النظر في هل تحقيقهُ ممكن . ليس لدينا الآن من الوسائل ما يمكننا من ارسال اشارة لاسلكية الى المريخ ولكن تقدم العلم وارتقاء البحث في طبقات الجوّ كفيلان بتوفير ذلك في المستقبل القريب . واذا فزنا بارسال الرسالة فهل هناك من يلتقطها ويفهمها ؟ لا نعرف سبباً علميًّا يمنع ذلك . ولا يخفى ان بين الخيال والتحقيق منطقة تهيج فيها التصورات الى ان يتمخض لها ما يخرجها من عالم التصور الى عالم الحقيقة

مراحل الارتقاء

الاستنباط يحرر المستعبدين لا الثورة

قد يختلف العلماء في موضوع الارتقاء فيقول بعضهم مع كونت الفيلسوف الفرنسي ان الارتقاء يقطع ثلاث مراحل هي مراحل العقل البشري من اللاهوت الى ما وراء الطبيعة الى العلم . ويقول آخرون مع سبنسر ان الارتقاء كالنشوء امر لا مندوحة عنهُ . وقد نجاري المشاعين فنقول مع موتين بان العالم قد انحط واننا لا نثق في انحاء الارض على رجال من طراز بركليس وارستيديس وسقراط او قد نشايع فونتيل حيث يقول « القلب لا يتغير والعقل سائر في طريق الكمال . العواطف اي الفضائل لا تتحول واما المعرفة فآخذة في الازدياد » . اما اذا نظرنا الى التاريخ نظراً شاملاً وجدناهُ خطًّا منكسراً يشير الى امم ناهضة وامم ساقطة ولكن الخطَّ المنكسر نفسه يرتفع رويداً رويداً واليك مراتب هذا الارتقاء ملخصة عما اثبتهُ الكاتب الاميركي ول دورانت في كتابه الجديد « صروح الفلسفة »

النطق

لا نحسب النطق عملاً تمَّ فجاءةً او هبة منحتها الآلهة للانسان بل احسبهُ عملاً نشأ نشوءاً بطيئاً خلال قرون من المحاولة للاعراب عما يجول في النفس ، من اخراج الصوت لصورة الزوج في عالم الحيوان الى اعلى مدارج البلاغة في الشعر الغنائي . لانهُ لولا الالفاظ او اسماء الجنس ، التي تمكننا من اتخاذ بعض الاجسام امثلة على انواعها ، لبقي عمل التعميم الفكري في مهدهِ ولظلَّ العقل حيث نجدهُ في دماغ الحيوان . لولا الالفاظ لكانت الفلسفة والشعر ، ولكان التاريخ والنثر ، من المستحيلات ولقصُر الفكر نفسه عن بلوغ دقة اينشتين وذلاقة اناتول فرانس

النار

جعلت النار الانسانَ مستقلاً عن الاقليم ووسعت مداهُ على سطح الارض ومكنتهُ من تقنية ادواتهِ ومهدت لهُ السبيل لطبخ الوف من الاصناف التي لا تؤكل بلا نار . وليس دون ذلك تمكينها اياهُ من الانتصار على الليل وتبديد دياجير الظلام في الساعات التي تنقضي بين الغروب والفجر . تصوَّر ظلمة الليل قبل انتصار الانسان عليها ! ان الخوف من الظلمة لا يزال ماثلاً في اساطيرنا وتقاليدنا

(١) هذا بحث يطول وسنفرد له فصلاً خاصاً في عدد تالٍ ، فنكتفي بالاشارة اليه . وليراجع القارىء مقالة « هل في النشوء ارتقاء عند اصحاب علم الجماعة » صفحة ٤٧١ عدد يوليو سنة ١٩٣٠

وقد يكون باقياً في دمنا . فكل غروب كان مأساة تحمل الانسان الاول على ان يأوي الى كهفه حتى الصباح . اما اليوم فاننا لا نأوي الى اسرتنا الا عند الفجر !

فانشاء ملايين من الشموس الصغيرة التي خلقها الانسان (المصابيح) قد حرر النفس من مخاوف الليل وبث في نواحي الحياة نشاطاً وطرباً ومدّ في ساعات العمل المنتج

الفوز على الجراثيم

ان ذاكرتنا سريعة النسيان وعقليتنا بليدة فلا نستطيع ان نحقق الخير العظيم الذي جنيناه من الفوز على الحيوانات المفترسة. ان هذه الحيوانات ، حتى اقواها واشرسها ، اصبحت لعباً بين ايدينا الآن. ولكن جاء على البشر عهد كان فيه الانسان يصيد ويُصاد . فكل خطوة كان يخطوها من كهفه او كوخه كانت مخاطرة وكان مُلْكُ الارض لا يزال نزاعاً بينهُ وبين الوحوش . فالحرب لاخضاع الارض لسيطرة الانسان كانت اعظم حرب في التاريخ البشري. كل الحروب الاخرى ليست سوى نزاع عائلي ازاءها . كانت حرباً بين قوة الجسد وقوة العقل وظلت دائرة الرحى قروناً لا تحصى. فلما انتصر فيها الانسان ، كانت ثمرة النصر التي جناها سلامتهُ على الارض. وهذه الثمرة ما زالت تنتقل من جيل الى جيل مع ارث الماضي، فلا نرى عيوبنا الشر الا وهذه السلامة جانب من محيطنا الطبيعي كقلوبنا وأدمغتنا وأوعيتنا الدموية

الزراعة

كانت الحضارة متعذرة في عصر الصيد والقنص لان الحضارة تقتضي موطناً ثابتاً ومعيشة مستقرة. فالحضارة نشأت مع البيت والمدرسة . والبيت لا ينشأ والمدرسة لا تترعرع حتى تحل ثمار الحقول محل الحيوانات المقنوصة طعاماً للانسان. فالصياد القديم كان يذهب الى قنصه اليومي باحثاً في شقاء وصعوبة عن مواطن الحيوانات ، تاركاً وراءه امرأة تعنى بالتربة الخصبة . وهذه العناية من جانب المرأة هدّت الرجل باستقلال المرأة عنهُ. فاحتفاظاً بسيادته اقبل على حرث الارض . ومما لا ريب فيه ان قروناً انقضت قبلما تمّ هذا الانتقال العظيم ولكنهُ لما تمّ بدأت الحضارة

النظام الاجتماعي

هنا رجلان يتنازعان . احدهما يضرب الآخر ضربة قاضية ويستنتج من ذلك ان الحيّ منهما كان على صواب وان الميت كان على خطإ — وهي طريقة لحسم النزاع لا تزال متبعة بين الدول في هذا العصر . وهناك آخران يتنازعان فيقول احدهما للآخر دعنا والقتال فقد نقتل كلانا فيه . «لنذهب بنزاعنا الى احد شيوخ القبيلة ونرضخ لحكمه» . تلك كانت لحظة خطيرة في تاريخ البشر. لانهُ لو اجاب الآخر بـ « لا » على قول خصمه لقضى على التوحش بالبقاء . واذا اجاب بـ « نعم » فقل ان الحضارة قد ارسلت جذراً آخر في ذاكرة الانسان يحلُّ النظام محلّ الفوضى

والقضاء محلّ التوحش والشريعة محلّ العنف . وهذه منحة قلما ندرك قيمتها لاننا نولد فنجدها لدى ولادتنا جزءاً من ارثنا الاجتماعي ولا نقدرها حق قدرها الاّ اذا رحلنا الى البلدان المتوحشة في اطراف الارض النائية عن العمران . حكوماتنا تحافظ على الامن العام محافظة لا تفهم قيمتها العظيمة الاّ متى هبت ريح الثورة او نشبت حرب اهلية عادت بالبلاد الى ادوار الهمجية الاولى . قابل سلامة السفر اليوم بالسفر في اوربا في العصور المتوسطة اذ كانت كل طريق فيها مسلكاً للصوص وقطاع الطرق . اننا لا نعرف عهداً سابقاً من عهود التاريخ بلغ فيه مدى الحرية مابلغهُ في انجلترا في هذا العصر وما قد يبلغهُ في اميركا يوماً ما ! ما نا نلوم السياسة وسوء التدبير البرلماني ! فالسياسة ليست كل الحياة بل هي نموٌّ خارجي وتحت مظاهرها المتبدلة تجري تيارات الحياة في الاسرة والمدرسة ، بل في الوف الوسائل التي تحوّل تمردنا الطبيعي الى نية حسنة وتعاون . وعلى غير وعي منا نشترك في هذا الارث الاجتماعي الذي بثهُ لنا مئات الاجيال بطريقة التجربة والامتحان جامعة لنا معارفهُ وناقلة لنا ثروتهُ

ادب النفس

هنا نمسُّ صميم الموضوع — موضوع الارتقاء . هل يفضل الناس في هذا العصر شعوب القرون الغابرة من الوجهة الادبية ؟ اذا كان الذكاء عنصراً من عناصر الادب فذكاؤنا قد ارتقى . ان متوسط الذكاء العام ارقى الآن مما كان قبلاً . وقد زاد عدد الذين نحسبهم من اصحاب العقول الناقبة . اما من حيث الخلق فالراجح اننا قد تأخرنا . فدقة التفكير قد نمت على حساب الطمأنينة النفسية . فنحن نشعر في مجلس آبائنا وأجدادنا ، اننا رغم تفوقنا عليهم في عدد الافكار التي حشونا اذهاننا بها ورغم تحررنا من اوهام الخرافات ، ننقص عنهم شجاعة في اعمالنا ، واخلاصاً في مقاصدنا وقوة في شخصياتنا

اما اذا كانت الآداب تنطوي على الفضائل التي دعا اليها المسيح فقد ارتقينا ارتقاء عظيماً رغم مناحتنا واحيائنا القذرة . رغم ارتكابنا السياسي . وانغماسنا في الملاذ والشهوات . فنحن اكثر لطفاً وعطفاً حتى لقد بلغت قيمة الاموال التي تبرع بها الاميركيون لمنشآت الاحسان في سنة ١٩٢٨ الفي مليون ريال . وصحيح اننا لا نزال نقبض على القتلة المجرمين فنحاكمهم ونعدمهم ولكن الشك يخامرنا الآن في صحة هذه الوسيلة القديمة من وسائل العدالة . وقد نقصت الجرائم التي يجازى مقترفوها بالاعدام نقصاً كبيراً .

فمن مائتي سنة كان الشنق في انكلترا جزاء من يسرق شلناً . ومن مائة سنة كان المدنبون في انكلترا عبيداً يتوارثهم سيّد عن سيّد . وكان المجرمون في فرنسا يعذبون جهاراً توطئة لاعدامهم والمدينون في انكلترا يسجنون مدى الحياة . وكان اناس محترمون يغزون شواطىء افريقيا للاتجار بالعبيد . وكانت سجوننا من نصف قرن كهوفاً مخيفة قذرة بل

كانت مدارس يخرج منها المجرمون الصغار كباراً . اما سجوننا اليوم فأميل الى ان تكون معاهد للاصلاح يجد فيها المجرم اسباب الصحة والتهذيب موفورة مكفولة. اننا لانزال نجور على طبقات الشعب الفقيرة فنأخذ منهم عملاً اكثر مما نعطيها اجراً ولكننا نعزي نفوسنا المضطربة بما نبذلهُ بين هذه الطبقات من اعمال الاحسان الاجتماعي

ونظن ان العنف قد زاد في العالم والشيء الذي زاد انما هو الصحف او شركات غنية منظمة تبحث في كل نواحي الاجتماع عن الجرائم والفضائح لتبحث بها عن عقول قرائها هموم العمل اليومي والحياة اليتية . انها تجمع كل ما في سياسة القارات من فساد وارتكاب على صفحة واحدة . نظن ان نصف العالم قائم على النصف الآخر يريد قتله وان جانباً كبيراً من الفريقين يحاول ان ينتحر . وشدَّ ما تكون دهشتنا اذ لا نرى في شوارعنا وبيوتنا ومجتمعاتنا العامة وعربات النقل على اختلافها قتلة ولا منتحرين ! بل نرى ادباً جمًّا ولطفاً لا يدركهُ التبجح والاصطناع كادب الرجال الذين كانوا يتمثلون العبارات الفتانة لاشهواء النساء ويقيدون نساءهم بسلاسل الحديد ثم يحاربون لاجل السيد المسيح في الارض المقدسة

ان طريقتنا في الزواج على ما فيها من خلل واضطراب تفوق من وجوه كثيرة الزواج بالقنص او الخطف او الابتياع او الاغتصاب . اننا نجد الوحشية اليوم اقل مما كانت في العصور الخالية بين الرجال والنساء ، بين الوالدين والاولاد ، بين المعلمين والتلاميذ . ان تحرر المرأة وارتفاع مكانتها فوق مكانة الرجل يدلان على سعة من اللطف واللين في الذكر الذي كان قتالاً من قبل . والحبُّ الذي كان في نظر الناس الاولين «جوع الجسد» قد ازهر في حديقة من الشعر والعاطفة . فيها ترتفع شهوة الرجل للمرأة ، على رغم تأصلها في حاجة الجسد ، كالبخور الى عالم الشعر الحيّ . ان خطايا الشباب التي تقلق الكبار يعوّض عنها بما يتصف به الشباب من الشوق المنقي والجرأة الادبية اللذين لابدَّ متعاً متى خرج التعليم من دور المدرسة الى رحاب الاجتماع محاولاً تطهير الحياة الاجتماعية من ادرانها

الادوات

في وجه الخياليين ، ودعاة تحطيم الآلات والعود الى احضان الهمجية تنشد السودة الادوات والآلات التي استعبدت الانسان وهما هي ذي تحرره . يجب الا نخجل من نجاحنا المادي . لانهُ من الخير العميم ان تكون ضروب الرفاهة التي كانت مقتصرة من قبل على الاعيان قد اصبحت بفضل الصناعة متاحة لمن يشاء . كان لا مندوحة اولاً عن تقليل ساعات العمل واكثار ساعات الفراغ — ولو اسيء استعمالها — قبل نشوء ثقافة عامة تشترك فيها طبقات الشعوب . فهذه المخترعات المتكاثرة

قد اتاحت لنا ذلك . هي اعضاؤنا الجديدة التي نسيطر بها على بيئتنا من غير ان تكون جزءاً من اجسامنا كاعيننا واذرعنا . لأننا نصنعها ونستخدمها ثم ننبذها الى ان نحتاج اليها ثانية. انا نصنع اذرعاً جبارة نبني بها في شهر اهراماً اقتضى بناؤها عمل الوف الوف من العمال في العصور الغابرة . انا نصنع عيوناً ضخمة ترود الفضاء بين النجوم الثانية وعيوناً صغيرة دقيقة تنفذ الى خلايا الاجسام الحية التي لا تُرى . انا نتكلم اذا شئنا بأصوات خافتة من قارة الى قارة فوق البحار والجبال . انا نسير فوق سطح الارض وفي الهواء بتلك الحرية التي اتصفت بها آلهة الاقدمين . نسلم بأن السرعة لا تطلب لذاتها . ولكن معنى الطيارة الاسمى انما يقوم في دلالتها على الشجاعة والارادة التي لا تُقهر . لقد مضت علينا قرون كنا فيها مقيدين — كما قيّد بروميثيوس في الاساطير — الى سطح الارض. اما الآن فقد تحررنا حتى اصبحنا نستطيع ان نباري النسر في ملكه.

كلاّ . ان هذه الادوات لن تسيطر علينا . انخذلاتنا الحالي امامها امرٌ وينقضي . انهُ وقفة في سيرنا المستمر نحو عمران خالٍ من الاستبداد . لأن العمل الجسدي الذي سُخِّل باليد والمسود في الازمنة الغابرة قد رُفع عن كواهل الانسان وعهد به الى عضلات من الحديد والفولاذ لا تتعب . وقريباً يصبح كل شلال وكل ريح هبّ مصدراً تنتكب منهُ القوة المفيدة في المعامل والبيوت ويعمي الانسان حرًّا من كل قيد ليتصرف الى اعمال العقل . ليست الثورات التي تحرّر المستعبدين بل الاستنباط يحررهم

العلم

لقد صدق بكل الى حدّ كبير فيما قال انما ترتقي في المعرفة وغيرها من المواهب المتصلة باستنارة العقل . هنا — في اشراف البحث الذين لا يتمتعون بالقاب النبلاء وفي المعارك الصامتة التي تدور في معامل البحث العلمي — نقع على صفات جديرة بأن تعدّل ما نراه في السياسة من فساد وفي الحرب من تدمير . هنا الانسان الامثل الذي يخوض الظلمات والاضطهادات في طريقه نحو النور. انظر اليه واقفاً على سطح هذا النيّار الصغير يقيس ويزن ويحلل الكوكبات التي لا يراها — وينبيء بأحوال الارض والشمس والقمر ويشاهد ولادة عوالم جديدة وفناء عوالم قديمة. او انظر اليه رياضيًّا نظريًّا (في الظاهر) يعالج معادلات جديدة في تيهٍ من الارقام والمجهولات الى ان يصل الى نهاية السلسلة فاذا المعادلة تسفر عن استنباط يضاعف قوة الانسان . هذا جسرٌ (كوبري) قوامهُ مائة الف طن من الحديد معلقة على اربعة حبال من الصلب ممتدة من شاطيء الى شاطيء فيروح عليها الناس راكبين وراجلين بمئات الالوف ويغدون. هذا شعرٌ بليغ كأبلغ ما كتب شكسبير. او تأمل هذه البناية المنطادة الذاهبة في الجو منيعة على كل اهتزاز واضطراب بجرأة المهندسين

وتفهم بحساباتهم الدقيقة. وهذه العلوم الطبيعية فيها أبعاد جديدة وعناصر جديدة وجواهر جديدة وقوى جديدة. هنا في الصخور سيرة الحياة مخطوطة بقلمها. هنا في المعامل تستمد العلوم البيولوجية لتغيير وجه العالم العضوي كما غيرت الطبيعيات وجه العالم المادي. انك تقع على العلماء في كل ناحية يدرسون، في غير جلبة ولا ادعاء ولا انتظار للجزاء. انك تكاد لا تدري ما مصدر هذا الانكباب والاخلاص وبما يغذونهما. انهم يعلمون ان الموت مدركهم قبلما تؤتي الاشجار التي يزرعونها ثمارها ولكنهم يمضون في عملهم

بيد ان ما يقال من أن فوز الانسان على الطبيعة لا يجاريه فوز مثله للانسان على نفسه صحيح. ان الحجة التي تؤيد القول بالارتقاء تضطرب هنا وتهن. فعلم النفس لا يكاد يدرك سلوك الانسان وشهواته دع عنك السيطرة عليها وتوجيهها. انه مختلط بجانب كبير من التصوف وماوراء الطبيعة، بالتحليل النفسي، والنزعة المسلكية والاوهام الغددية وغيرها من امراض المراهقة. ان الاقوال الرزينة المبنية على العناية والدقة لا يفوه بها الا علماء ندر من تمتع بهم لأن النزعة السقراطية في بلادنا والرغبة في الاقوال المتطرفة تحول كل علم الى «مودة». ولكن علم النفس لا بدّ ان يقوى على ما يتصف به من العواصف ويتأبّاه من الادواء ولا بدّ ان ينضج كسائر العلوم بما يأخذه على نفسه من التبعات. فاذا جاءه رجل كبا كون ووضع حدوداً لمباحثه وبيّن طرقه واساليبه ووضّح اغراضه وثماره — فمن نا ونحن نعرف مفاجآت التاريخ وصلابة الرجال — يستطيع ان يبين حدود المآتي التي نستطيع ان نجنيها من اتساع معرفتنا للعقل البشري. وقد بدأ الانسان في عصرنا يصرف نظره عن بيئته التي خلقها خلقاً جديداً الى نفسه ليخلقها من جديد

التعليم

ان وسائل نقل اختبارات الماضي المتجمعة آخذة في الازدياد والانتشار. على ان انفاق الاموال الطائلة وبذل العمل المتشعب لتجهيز المدارس واعداد المعلمين يكاد يكون امراً جديداً في العمران. ولعلّه اهم ما يمتاز به عصرنا. كانت الكليات في العصور الغابرة كمالات لا يتمتع بها الا افراد قلائل من طبقات الاغنياء والاشراف ولكن كثرت الآن حتى صار في مستطاع كل من يشاء تقريباً ان يصبح دكتوراً في الفلسفة. اننا لم نتفوق على اعلى مراتب النبوغ في العصور القديمة ولكننا رفعنا مستوى المعرفة العامة فوق كل مستوى بلغه التاريخ في الماضي. لا تسل الآن عن افلاطون وارسطو اليس ولكنه سل عن المجلس الانيني الجاهل المتعصب. سل عن النساء المتواريات المستعبدات اللواتي لم يسمحن لهن بطلب المعرفة الا اذا اصبحن خليلات الحكام

الجاهل فقط يشكو من ان العالم لم يولد ولادة جديدة بهذه المدارس المنتشرة والجامعات

المشتركة للجنسين . فاننا اذا نظرنا الى التاريخ نظراً مشارفاً شاملاً وجدنا ان تجربة التعليم العام لا تزال في مهدها . فالوقت الكافي لم ينقض عليها بعد لتثبت فائدتها . اننا لا نستطيع ان نزيل في جيل واحد جهل عشرة آلاف سنة واوهامها . بل اننا لا نستطيع ان نجزم الآن بأن الجهل الطامي والتحكم المقوت لا ينتصران على العلم والتعليم بواسطة الاستفتاء !!

ولكن لا نحسب التعليم جمعاً عملاً للحقائق والتواريخ بل اجعلوه وسيلة للاتصال بأعظم الرجال اتصالاً يرفع النفس الى مستوى النبل . لا تحسبوه استعداداً للارتزاق بل احسبوه انماء لقوى الكائنة في النفس لكي تفهم عالمنا وتسيطر عليه . وفوق كل ذلك احسبوه في اوسع معانيه واكملها وسيلة لنقل التراث العقلي والفني والصناعي والادبي الى اكبر عدد من الناس فيطبع به الجنس الفرد بطابع البشر . اننا لا نكاد نولد بشراً ولكننا نصير كذلك بما تسبغه البشرية علينا بمئات الوسائل والطرق التي تنقل من الماضي الى الحاضر ذلك الارث الثقافي الذي رفع البشر اليوم رغم مافيهم من معتوهين وجهال ، الى مستوى لم يبلغه جيل آخر من قبل

الكتابة والطباعة

هنا نحذلنا محيلتا لاننا لا نستطيع ان نتصور حالة العصور التي سبقت استنباط الكتابة لما كان الناس لا يستطيعون ان ينقلوا اختباراتهم الا بالكلمة الشفوية من الوالد الى الولد . فاذا نسي جيل ما تلقن او اساء فهمهُ اضطرَّ ان يعود الى سلَّم المعرفة من اسفله ليتسلقهُ من جديد . فجاءت الكتابة نعمة سبيل البقاء لما في العقل . انها حفظت لنا في اثناء قرون من الفقر والجهل والوهم كنوز الحكمة التي كشفتها الفلسفة وآثار الجمال المرسومة في الدراما والشعر . انها ربطت الاجيال المتعاقبة برابطة التراث المشترك وخلقت بلاداً جديدة هي بلاد العقل التي لا يموت فيها النبوغ

وكما ربطت الكتابة الاجيال المتعاقبة تربط الطباعة الحضارات ، قد تغير الحضارة موطنها ولكنها لن تزول من وجه الارض الا بزوال الارض . فاذا حدث لها ما دمرها في بلاد ما كالحرب او الجفاف او الجليد او وباء فيمكنها ان تزدهر في بلاد اخرى لان كل اسبابها واساليبها مدونة في الكتب التي تتداولها الامم . ليست الحضارة عبداً فنياً مرتبطاً بالارض التي ولد عليها ولكنها مجموعة من المعرفة الصناعية والابداع الفني . فاذا كان في الامكان انتقال هذه المعرفة وذلك الابداع الى موطن جديد فلا يصحُّ القول بان الحضارة زالت لانها انما غيرت موطنها . ولا يستحق الخلود الا الجمال والحكمة . فالفيلسوف لا يهمهُ ان تخلد مدينتهُ التي ولد فيها اذا اتيح لما تنتجه ان تنتقل من جيل الى جيل حتى تصبح جزءاً من الارث الانساني المشترك

الادب والحياة

حديث لرابندرانات طاغور

مع كاتب انكليزي — خاص بالمقتطف

— ١ —

ليس باليسير ان توصف العظمة حقّ وصفها !

يقف الانسان وقفة روعة وتهيب امام مشهد غروب الشمس او عنان جبل ذاهب في الفضاء او سهل فسيح يغمره الثلج. فاذا حاول ان يصف شعوره عجزت عن ذلك الالفاظ هذا هو الشعور الذي يملك على الانسان عقله ونفسه في مجلس شخصية فذة. اننا نحسّ بمعاني القوة تنطلق منها حتى نكاد نلمسها فاذا حاولنا وصفها وتحليلها إنما بالفشل. وكثيراً ما يكون هذا الشعور مقلقاً هدّاماً لكرامتنا النفسية اذ يجعلنا نحسّ بضعفنا وعجزنا. على انهُ يضرب حولنا احياناً نطاقاً من الطمأنينة والسلام، ويبعث في نفوسنا شعوراً بالجليل وتقديراً للذة ؛ اذ نحسُّ بأن ضعفنا بالغاً ما بلغ ازاء هذه الشخصية الطاغية علينا بقوتها، لا يمنعنا عن السمو بميولنا الى الاعالي

وعظمة السر رابندرانات طاغور ، الشاعر والمعلم والفيلسوف الهندي ، من هذا القبيل انك تشعر بكون الكون في مشيته الوقورة. انك ترى روعة الزمن وقد جرّد من عنوه في خصله الفضيّة وفي قسمات وجهه التي نحتها منحوتة في العاج. انك تسمع موسيقى الاجرام في غنة صوته الموسيقي. انك تثق بأن الثقافة لا تعرف حدوداً من الوطن والجنس اذ تصغي الى حديثه الانكليزي الفصيح وتملي من معرفته الوافية بأدب غير ادب قومه وفن غير فنهم وحضارة غريبة عن حضارتهم

— ٢ —

قال : كيف نستطيع ان نحكم على بيان عصرنا لمعرفة الآثار التي تتم بنعمة الخلود ؟ ان بيان كل عصر هو نتيجة عوامل وأحوال مهدت لهُ السبيل في عصور سابقة ، وهو بدوره يمهد السبيل لبيان جديد في عصر تالٍ . فلا بدَّ لنا من موضع للنظر المشارف لنستطيع الحكم على الانسان وأسلوبه في الافصاح عن نفسيته. والمسافة في الزمان والمكان

لامندوحة عنها لهذا الحكم لان القرب يحير البصر لكثرة ما يراه من الدقائق فيمتنع علينا النظر الشامل وتتعذر رؤية الكل كلاً لا اجزاء من كلّ

سألني كثيرون عن احب الشعراء اليَّ وأي رجل اعظم الرجال في نظري . انا لا نستطيع ان نحصر التفوق في شخص واحد لكثرة المتفوقين. تنقيت علوي في العصر الفكتوري فأنا اجيد لغتهُ وأفهم ادبه ولكنني لا استطيع ان افهم تعبيرات الأدباء المحدثين. قد تكون هذه التعبيرات غاية في الابداع وقد تنطوي على صفات تضمن لها الخلود كالصفات التي تمتاز بها اشعار شلي وكيتس[1] ولكنني لا افهمها

ان لغة كل امة كالامة ذاتها . فاما ان تتقدم واما ان تموت . انها لا تستطيع ان تجمد في مكانها . فالانكليز لا يتكلمون بلغة تشوسر[2] الآن . ولو اتيح لتشوسر ان يطلع على اسلوب الكتابة في العصر الاليصاباتي — عصر شكسبير وفرنسيس باكون — لحسبهُ رطانة محدثة . هكذا ينظر ادباء العصر الفكتوري الى اساليب الادب الحديثة

وفي لغة كل شعب تتردد اصداء الزمان ! لقد انقضى عهد التجوال الشعري في الريف والطمأنينة في البعد عن المدن . ونحن الآن في غمار عهد لطين السندان واصطخاب الآلات اعظم شأن . فالنغمات المتسقة الغانية التي كنا ننشدها في امسنا الغابر قد انقضى عهدها وحلت محلها العبارات المقتضبة والشعر المطلق في يومنا هذا القليق المضطرب . وليس هذا بالامر الذي يؤسف له. فكل فترة يزكو فيها الانتاج العقلي والفني تعقبها فترة راحة تخلد فيها النفس الى السكينة لتستجم قواها فاذا بدأت فترة الانتاج التالية اتصفت اساليبها بالعنف وبالرجوع الى السذاجة مستوحية دوافع البشر الاولية في الخلق والابداع

***

ان الثقافة الحقيقية لا تعرف حدوداً من البلدان والاجناس. فهي تحيط بالارض كالجوّ. وكما تقع في الجوّ على مناطق مختلفة من حرارة ورطوبة ولكنها على اختلافها متصلة الاطراف تقع كذلك في الثقافة على مناطق متصلة رغم اختلافها . فالشرق والغرب على اختلافهما متصلان حتى ليفنى احدهما في الآخر في بعض النواحي . لأن العالم لا يعرف الآفاق الضيقة

فالشرق تغلب عليه الطمأنينة يخالطها الادراك العميق الذي يؤمن بأن الزمن هو الكاشف العظيم والغرب وثاب متحمس يدفعهُ عنف الشباب

على ان كلا الشرق والغرب باحثان وجوهر الثقافة والجمال الذي يبحثان عنهُ واحد

(١) علي وكيتس شاعران انكليزيان من اكبر شعراء القرن التاسع عشر
(٢) شاعر انكليزي من القرن الرابع عشر

الغرب : يقيم الحدود بين الطبيعة والطبيعة البشرية
والشرق : يؤمن بالوحدة الاساسية في كل الخليقة
الغرب : كعالم يشرح الطبيعة
والشرق : كفيلسوف يسلم بها
الغرب : يرى بعيون الشباب الوثاب ، عيون المادة
والشرق : يتأمل بعيون الروح التي لايدركها الهرم
ومع ذلك فالذي يشاهدانه واحد — وهو الوحدة الخالدة — وحدة الانسان والعالم الذي يعيش فيه

***

كلما تقدمنا في السن قويت بصيرتنا الروحية فنستطيع ان ننظر الى الاشياء نظراً مشارفاً نتفهم عللها . فيحسنا ذلك على تفضيل ايام حداثتنا الزاهية على ايام كهولتنا او شيخوختنا التي نناني اعباءها فنشير الى ايام الشباب متحسرين — كان زمن الشباب كذا وكذا . والواقع ان الحال لم تكن كذلك والايام الماضية لا تفضل الايام الحاضرة حكمة وسعادة وانما بعدنا عنها يمكننا من رؤية اثرها رؤية مجملة شاملة . وهذا ما لانستطيع ان نفعله في ايامنا هذه لاننا ما زلنا فيها . ان رسم الحائك لايرى الا متى تمت حياكة الثوب

ويغلب ان تكون الشهرة نتيجة الفرصة السانحة وكثيراً ما تشبهها في مداها !

قد يكتب احد الشعراء نشيداً وطنياً في اثناء لشوب حرب طاحنة فيعصف بالجمهور كاعصف لان الجمهور يرى في سطوره وتراتيله صوراً للشعور الذي يجول في صدور افراده . فيحكم على ناظمه بالنبوغ والتفوق ويرفعه على الاكتاف وتصبح كلماته تتردد في كل نادٍ وتسمع انغامه الحماسية في وقع الاقدام العسكرية !

ثم تضع الحرب اوزارها ويمتد رواق السلام فينجب شاعر جديد ينشد افراح الطمأنينة ومسرات السكينة فهب نسيمها اللطيف على صدور اكتسحتها من قبل الحماسة في الحرب ، تتسنى الموسيقى العسكرية التي وضعها الاول ويتاح لمنظم جديد ان يرتفع فوق اكتاف الجماهير الى ذرى الشهرة . ولكن ما اقل الذين يتاح لهم ان يكون نصيبهم الفهم والتقدير من ابناء جيلهم وابناء الاجيال التالية . ومع ان الغرب يمد ايدي الجشع نرى الشرق قابعاً قانعاً منتظراً تحقيق غرضه — وغرضهما معاً انما هو — الحق !

— ٣ —

قال الكاتب : ولما غادرت دار طاغور ادركت انني في حديثي معه تكلمت مع من يعلم

هل تنذر الأزمات الاقتصادية المتوالية

بانقضاء دور من ادوار الحضارة

اثرها في الحالات الاجتماعية

للاستاذ اسماعيل مظهر (صاحب مجلة العصور)

لستُ ممنْ يؤمنون بتفرد عامل بعينه من العوامل العديدة بالتأثير في تكوين التاريخ الانساني . فاني لا اجد مثلاً ان للعامل الجنسي من الاثر ما هو ابلغ من اثر العامل الاقتصادي ، ولا اجد للعامل الجغرافي فضلاً على العامل النفسي او بالاحرى على اثر الغرائز الحيوانية التي ورثها الانسان عن اسلافه الاولين في تكوين التاريخ . بل اعتقد ان للعوامل المؤثرة في تاريخ الانسان نوبات من التأثير تتابعت على تلاحق الدهور وعلى مر الاجيال. فان العامل الاقتصادي مثلاً لم يبدأ تأثيرهُ التاريخي الاّ مع نشوء المدنية . في حين ان العامل الجنسي وان كان اقدم منهُ تأثيراً في تكييف المنازع الانسانية الغشيمة وتوجيهها الى ناحية بعينها من نواحي الحياة ، الاّ اني مع هذا مؤمن بأن اثر غريزة الاحتفاظ بالنوع متكئة على فطرة التناضد المتبادل في مسامع التناحر على البقاء، قد سبقت فعل الغريزة الجنسية في تكوين فكرة الشعوبية في الميول الانسانية . كذلك اعتقد ان فكرة الشعوبية او الوطنية من العوامل المؤثرة في تكوين التاريخ . غير ان هذا العامل على ما لهُ من كبير الشأن وعظيم الخطر في التاريخ الحديث ، واقصد به هنا تاريخ الانسان منذ اول العصر الظراني القديم ، ليس من العوامل التي نشأت مع الانسان غريزة ، بل هو من العوامل التي تكونت تدرجاً على مقتضى التكييف الذي تكيفتهُ غرائز الانسان على مدى عصور متطاولة. وكذلك تجد ان في افق التاريخ الانساني عوامل جديدة اخذت تمعن تأثيراً في توجيه التاريخ الانساني وجهة جديدة. فان فكرة الدولة مثلاً قد اخذت تبدو في افق المنازع الانسانية جلية واضحة

وسواء ارتكزت هذه العوامل الجديدة على غرائز اوعلى مجرد ميول فليس مَنْ ينكرُ انهُ لغير دليل وجهات الغرائز على اثر في بيّن الاساس الذي تقوم عليه هذه الغرائز، او بالاقل على اثر في الوجهات التي تتجه فيها الغرائز او بالاقل على اثره في الوجهات التي تتجهُ فيها او تنتحيها الفطرة

هذا تمهيد اولي للكلام في الازمات الاقتصادية واثرها في الحالات الاجتماعية ، اثبت

عليه لاين وجهة نظري في تأثير العوامل التي كوّنت من مدارس الفكر بقدر ما احدثت في التاريخ الانساني من حوادث جسام وانقلابات عظيمة

* * *

لا نستطيع ان نفكر مطلقاً ان الحالات البدائية التي تعرض لها الانسان ابان تغلبه على غيره من حيوانات الارض كان فيها من الاقتصاديات اثر ظاهر. فان الاحداث التي اتابت سطح الكرة الارضية ولا تزال تنتابها الى الآن ، كحدوث الجفاف او زيادة الرطوبة فجاءة او تدرجاً في بقاع الكرة الارضية ، قد اضطرت الجماعات الانسانية الاولى الى هجرات طويلة أو قصيرة ، على مقتضى الحاجة ، طمعاً في الاحتفاظ بالذات اولاً ، ثم بالنوع ثانياً . كذلك الجدب من ناحية والخصب من ناحية اخرى . فان هجرة اقوام احدثت عليهم الارض الى بقاع خصبة احتلها من قبل اقوام آخرون ، حادث تدعوه تجاوزاً اقتصادياً. ومن حول هذا الحادث الاقتصادي تقوم مؤثرات اخرى . فالمؤثر الجنسي لا بد من ان يلعب دوراً خطيراً في مثل هذه الحالات . وكذلك المؤثر الجغرافي والاقليمي Climatic غير ان هذه المؤثرات وان لعبت دوراً ثانوياً من حول المؤثر الرئيسي ، فان ذلك لا يفقدها قيمتها من حيث انها مؤثرات اولية في تكوين التاريخ . فقد يلعب المؤثر الاقتصادي دوراً ثانوياً من حول حادث كان سببهُ المؤثر الجنسي او الجغرافي او الاقتصادي مثلاً . وهكذا دواليك على مر الازمان . فان المؤثرات التي كونت التاريخ الانساني اطواراً من الغلبة والتناوب ، قد يطول احدها او يقصر على حسب الحالات

فما لا شبهة فيه ان المؤثر الاقتصادي اخذ يقوى ويشتدُّ أثره ، منذ ان اخذت الآلات وعصر الانتاج الصناعي بخناق المدنية الغربية . وكذلك الحال اذا رجعت الى التاريخ . فانك تجد ان لكل مدنية من المدنيات العظمى طابعاً خاصاً . وما هذا الطابع لدى الواقع الاّ تغلب مؤثر بعينه من المؤثرات التي كونت التاريخ الانساني وتقدمهُ على غيره من المؤثرات الاخرى التي تدور من حوله في صورة مؤثرات ثانوية لزمان محدود بظروفه ومقتضياته

فليس من ينكر مثلاً ان الفن كان طابع المدنية اليونانية . هذا باعتبار ان « الفكر » فن من الفنون على ما يبيّنهُ العلامة جراهام والاس في كتابه « فن الفكر » The Art of Thought هذا كما كانت السياسة طابع المدنية الرومانية . اما طابع المدنية الحديثة فالاقتصاد . اما هذه الفروق فمرجعها تغلُّب مؤثر بعينه من المؤثرات التي كونت التاريخ الانساني ، وأخذهُ من الفكر والميول الانسانية مكان البروتون من الذرة ، تدور من حوله بقية المؤثرات في صورة عوامل ثانوية يتوقف وجوده عليها ويتوقف وجودها عليه ، شأنها في ذلك شأن

الكواكب تدور حول البروتون . لان بها تتميز العناصر . وعلى تغلب احد المؤثرات في الغريزة الانسانية تتوقف الصورة التي تظهر ملابسة للمدنية في عصر من العصور

ولم كان طابع المدنية اليونانية طابعاً فنياً ؟ ولم اصبح طابع المدنية الرومانية سياسياً؟ ولماذا لابس انطابع الاقتصادي المدنية الحديثة؟ قد تفرض فروضاً كثيرة ، وقد تمشي مع هذه الفروض الى حد القول بان المؤثر الذي قد تغلب في المدنية اليونانية ، فصرفها الى الخياليات والمثاليات فانت الى الفن ، وان المؤثر الوطني قد تغلب على الرومان فصرفهم الى السياسة ، وأن مؤثر الجشع الاجتماعي (Pleonexia) على ما قال العلامة « موللر لير » وشرحه الاسقف « إنج » (Inge) الذي خلقه استعمال الآلات في عصر الانتاج الصناعي ، قد صبغ المدنية الحديثة بصبغة الاقتصاد

ان هذه الفروض لايمكن ان نحكم فيها هل هي صحيحة او غير صحيحة ، ذلك ان صحتها أو خطأها مرهون على مقدار ما يمكن لك ان تقدر من تأثير العوامل الثانوية الاخرى في المؤثر الرئيسي . فقد يتفق ان نحكم على حركة دينية بانها حركة اقتصادية ، ولكن خطأ . ذلك ان المؤثر الاقتصادي يكون في مثل هذه الحالات اقوى المؤثرات الفرعية القائمة حول مؤثر رئيسي ، وهو الذي يجب ان يعزى اليه في الحقيقة قيام حركة ما من الحركات الاجتماعية في عصر ما من العصور. كما ان عكس ذلك قد يتفق ان يكون صحيحاً من وجوه شتى . و قد يتفق ان نحكم على حركة اقتصادية مثلاً بانها حركة سياسية او وطنية . ذلك لان المؤثر السياسي او الوطني يكون اقوى المؤثرات الثانوية الدائرة من حول الباعث الرئيسي في العالم الاجتماعي ، دوران الكواكب من حول البروتون في عالم الفيزة

لهذه الاسباب الضرورية اعتقد ان باعثاً بعينه من البواعث التي كونت التاريخ الانساني ، لم ينفرد بذاته في تكوين التاريخ . كما اعتقد ان الصور المتعاقبة التي نراها واضحة في لوحة التاريخ هي بذاتها مزيج متشابك الحلقات من اثر البواعث الكثيرة التي ظلت خلال ازمان متطاولة دائبة مستمرة الفعل ، بعين لا تأخذها سنة وهمة لاتعرف الكلال

***

تستقر الحالات الاجتماعية ما اتسق تأثير حالة من الحالات الباعثة على تكوين التاريخ الانساني زماناً ، قد يطول او يقصر امده . فاذا اتفق ان يأخذ الباعث الاقتصادي مثلا من بقية المؤثرات الاخرى ، مكان البروتون في الفيزة ، فان الحالة الاجتماعية تستقر على هذه الصورة ، وتمضي متسقة متناسقة الاجزاء زماناً ما . ومن هذه الحالة يتكون السواس والاجتماعيون عن مستقبل الشعوب تكهنات عديدة كلها خطأ وكلها حدس وتخمين . فان

شباً يصاب بمثل هـذا الاستقرار الاجتماعي ، قد يرمى بالشيخوخة وبالعجز عن الانتاج والابتكار ، بعد ان يكون قد قطع في مضمار الثقافة شوطاً بعيداً . في حين ان الحقيقة ان هذا الاستقرار الظاهري راجع الى تسوّد عامل تاريخي على بقية العوامل ، فتصطبغ الحالة الاجتماعية بصبغة تلوح كأنها ثابتة غير قابلة للتغير ولا للزوال

ثم نجد بجانب هـذا أن الشعوب التي تصاب بالجمود على صورة يخلقها تسوّد العنصر الجنسي يرمون غيرهم من الذين يسود فيهم الباعث الاقتصادي بانهم ماديون ويعدون هـذا انحطاطاً . في حين ان الشعوب التي تصاب بالجمود على صورة يخلقها تسوّد العنصر الاقتصادي يرمون غيرهم من الشعوب التي يسود فيها الباعث الجنسي بانهم حسيون ، ويعدون هذا فساداً في الطبع ونقصاً في الفطرة . وقد يبلغ التحصب بالجماعات لرأيها مبلغ الجنون في بعض الحالات

فاذا اخذ مؤثر من المؤثرات الثانوية التي تدور من حول المؤثر الرئيسي ، مكانة المؤثر الرئيسي ، فهنالك تكون الانقلابات الاجتماعية ، وهنالك تحدث الفورات ، التي يقول عنها السواس والاجتماعيون انها بدء حياة جديدة لشعب ما او لمجموعة بينها من شعوب الارض . ولاجرم انك اذا استطعت ان تدرك مقدار الاضطراب الذي يحدث في ذرة مادية اذا حاول كهرب من كهاربها ان يأخذ مكان البروتون ، حصلت على قياس تقيس اليه مدى الفوضى والاضطراب اللذين يصيبان حالة اجتماعية استقرت على صورة ما من الصور زماناً طويلا ، فألفتها الطبائع ورضيت بها النفسية الاجتماعية ، اذا ما بدأ مؤثر ثانوي من المؤثرات التاريخية يحتل مكان مؤثر ظل رئيسيًا مدى ما من الزمان

غير ان هذا الاضطراب وتلك الفورات قد تؤدي بدورها الى تسود باعث معين من بواعث التاريخ الانساني ، تلتئم من حوله بقية البواعث ، فتؤثر فيه ويؤثر فيها تبادلاً ، حتى تستقر الحالة مرة اخرى على جمود ترضى عنه الجماعات . وهكذا على مرّ الازمان . وفي معتقدي ان فلسفة التاريخ الانساني في مجموعه لا تخرج عن هذا

* * *

هذا في المنزلة التي ينزلها المؤثر الاقتصادي من المؤثرات الاخرى التي تعاون في تكوين التاريخ الانساني . اما تأثير الازمات الاقتصادية في الحالات الاجتماعية ، فلا جرم تكون على اشدها في عصر تسوّد فيه المؤثر الاقتصادي وأخضع بقية المؤثرات لسلطانه . بهذا نمهد للنتيجة التي نريد ان ندلي بها بحيث يؤدي اليها [1]

اثبت العلامة « ملتوس » ان الانواع الحية ومنها الانسان ، تتزايد بالتوالد على نسبة

(١) راجع بعض الابحاث الاجتماعية التي اقامها على اساس اقتصادي في مجلة « العصور »

هندسية ، وان نسبة زيادتها على هذه الصورة تقصر معه اية بقعة من بقاع الارض عن ان تتسع لنسل الاحياء اذا استمرت زيادتها هذه دون حائل يقف تيارها. ولا جرم ان هذه القاعدة تنطبق على الحيوانات في حالتها الطبيعية . وتنطبق على الانسان في حالاته البدائية الوحشية ، اكثر مما تنطبق على الحيوانات حال ايلافها، او على الانسان اذا لابسته حالات مدنية معينة . فالحيوانات في حالتها الطبيعية تتوالد من غير ان تفكر في تحديد النسل . فاذا زادت نسبة عددها الرياضية نسبة كبيرة سلطت عليها عوامل طبيعية ليس في وسعها ان تدفعها بحال من الاحوال . على العكس من الحيوانات في حالة الايلاف ، فان زيادتها راجعة الى ارادة الانسان . وكذلك تحديد نسالها وبطونها بيد انها محيّة من طوارىء الطبيعة بعناية الارادة البشرية . فاذا رجعنا الى الانسان في حالته البدائية ، وجدنا انهُ لا يخرج عن حكم الطبيعة العام . فانهُ اذا تناسل وكثر نسله وزادت نسبته الرياضية من عدد الافراد سُلّطت عليه من الطبيعة مهلكات تقف زيادة افراده عند حد محدود . وهذا على الضد من الانسان متى لابسته المدنية . فانه يستطيع ان يدفع عوامل الطبيعة بوسائل صناعية ، وفي مستطاعه أن يتسود على الطبيعة وعلى قواسرها ، فيصبح سيداً بعد ان يكون مسوداً. بل انهُ يستطيع ان ينقذ من الموت والفناء افراداً من نوع كتبت عليهم الطبيعة آية الموت، ان تركوا بلا عناية من علاج او وسائل من الوقاية

* * *

اضف الى ذلك ان الطبيعة لا تعرف الرحمة ولا تفقه للشفقة معنى . في حين ان من اخص صفات الانسان الشفقة والرحمة وعلى الاخص بالضعفاء والمرضى . والطبيعة تدفع الاحياء الى الاحتفاظ بالنوع ، كما تدفع الفرد الى الاحتفاظ بالذات . ولكنها في الوقت ذاته لا تعمل على حماية النوع او وقاية الفرد الاّ بقدر ما تهيّ للنوع او للفرد فرصة البقاء . فهي تسرف في الانتاج من ناحية ثم تسرف في الضياع والبذل من ناحية اخرى. وهي بقدر ما تسرف في التنويع تضن بالابتكار . لهذا تجد ان الصور المبتكرة في الطبيعة وهي غالباً الصور التي تغلب في التناحر ، قليلة جهد القلة وان الطبيعة تضنُّ بها. فهي من هذه الناحية بخيلة شحيحة ، في حين انها اذا انتجت رمت عالم الحياة باللايين . واذا أنتت سلتهُ اللايين . وهي في التنويع لا يبلغ اسرافها حدًّا فليس يوجد في العالم ، كما قال كوفيه، شجرتان او حيوانان او انسانان كلاّ بل زهرتان او ورقتان هما صنوان، لا تغاير فيهما ولا تباين بينهما

اذا وعينا هذه المبادىء خرجنا منها بنتيجة لا يجب علينا ان نتغافل عنها. فشعوب الارض

قطبة تباهي اليوم بكثرتها ، والطبيعة تجود عليها بالافراد مسرفة اسرافها المعروف. والحضارة من وراء ذلك تؤيد اسراف الطبيعة في الانتاج . فلا مجاعات اليوم ولا اوبئة ولا وفيات بين الناس بالنسب المعروفة التي حفظتها الاحصائيات خلال قرن ماض من الازمان ، على ما كان خلال ذلك القرن من رقيّ مقيساً بما سبقه من القرون . ناهيك بأن كثيراً من الامراض الوبائية كالزهري والملاريا والانيميا والكوليرا مثلاً ، اصبحت من أسهل الامراض علاجاً او وقاية . فاذا اضفت الى ذلك الوقاية من كثير من الامراض الخبيثة عرفت الى اي حدّ أيّد الانسان باستكشافاته اسراف الطبيعة في الانتاج . فاذا تذكرت ان الانسان ان كان قد ساعد اسراف الطبيعة في الانتاج، فانه قد زادها شحّاً في الابتكار وضناً به ، خرجت من ذلك الى نتيجة اخرى ذات بال

***

ان ابتكار الطبيعة انما يكون انتخاباً من مجموع الافراد الذين يقدر لهم البقاء ، بعد ان تعمل قوانين الطبيعة وأعاصيرها الناتج من الافراد ، فتذهب بالاكثرية الى الفناء وتبقي على ما يصلح للبقاء. فهي لا تبقي الا على الاصلح والاكثر انتاجاً والاشد مقاومة والاصفى عنصرا والامتن تكويناً والاعمق تفكيراً والاذكى والاعقل . في حين ان مكتشفات الانسان ووسائله قد عمدت الى الحد من قوة الطبيعة الابتكارية ، بأن هيأت فرص البقاء لعدد اكثر مما تريد الطبيعة ان يبقى فيها، لو انها تركت حرة غير مقيدة. وبهذا نجد ان الطبيعة بمساعدة الانسان، قد زاد اسرافها في الانتاج وقل ابتكارها للافراد او السلالات الممتازة. وهذه حالة كما اوجدها الانسان، يجب عليه ان يبحث عن علاج لها ، يروّح به عن مدنيته ويخفف به وطأة الفوضى ، ويحد به من بواعث القلق البادية في حين هذا العصر

والدليل الثابت على هذا زيادة عدد النوع الانساني خلال اربع القرون الفارطة زيادة اذا قسنا نسبتها بنسبة الزيادة خلال القرون الوسطى ، او القرون المظلمة كما يسمونها لما وسعنا الا ان نرتاع وان نشك في صلاحية الوسائل المدنية ، على رقيها وعظمتها ، لان تكون سنادة ترتكز عليها الحياة الانسانية ، مشبعة كلّ مطامحها من السعادة والطمأنينة. والمثل البسيط على هذا ان قارة كالقارة الاميركية استعمرت من اقل من خمسة قرون وازدحمت بالنوع البشري على قلة وسائل الوقاية والحروب القائمة والثورات المجتاحة والمجاعات المدمرة . وكذلك لديك اوستراليا مثل حيّ على هذا . وكلما ازداد تسود الانسان على الطبيعة ازداد اسرافها في الانتاج وقلّ ابتكارها فخرج من مجموع ذلك

نوع بشري مصطنع تزيد فيه نسبة الطالحين اجتماعيًّا وطبيعيًّا وفي هذا ينحصر السبب في ما يبدو على جبين هذا العصر من بواعث القلق والشعور باقتراب الفورات النجائية والاحساس العميق بأن نظام المدنية الحديثة ، ونعني به بالضرورة النظام الاقتصادي ، لا بد منهارٌ وانه لا بد من ان يتبدل الانسان بهذا النظام نظاماً آخر اقرب الى حاجاته وأرضى لمطالبه النفسية والروحية

فما هو أثر الازمات الاقتصادية الشديدة في مثل هذا النظام الاجتماعي؟

***

اذا تذكرنا ان الباعث الاقتصادي اذا تسود في نظام جماعة من الجماعات رفع من مستوى الحياة فيها ماديًّا ، واذا تذكرنا بجانب هذا ان النظام الاقتصادي من شأنه ان يصرف الناس الى رفع مستواهم العقلي من النواحي العملية دون النواحي الاخرى استطعنا أن ندرك أن الجماعات في ظل النظم الاقتصادية تصبح أقدر على الانتاج المادي دون الانتاج الفكري او الروحي فاذا وقعت الازمات الاقتصادية ونزل مستوى المعيشة قسراً عن الناس ، تعدى الامر من ازمة اقتصادية الى أزمة روحية فكرية هي السبب غالباً في الثورات التي تعقب حدوث الازمات الاقتصادية . ثم لا يجب ان نغفل عن ان عصور الرخاء المادي من شأنها ان تزيد تطلع المتطلعين كما تزيد من عددهم. فاذا وقعت الازمات الاقتصادية تحرك هذا العنصر تلك الحركات الفوجية التي تدفع بقية العناصر الى الثورة والى الانحراف عن النسق العام

اما اذا تكررت الازمات الاقتصادية ، فان هذا يصبح سيئاً قوميًّا في ان ينصرف الناس الى البحث عن نظام آخر غير النظام الاقتصادي يرضي مطامعهم وحاجاتهم العقلية. وهنالك يبدأ الباعث الاقتصادي في النزول عن عرش السيادة على بقية العوامل المكونة للتاريخ الانساني . ولاجرم ان هذه الظاهرة قد اخذت تبدو في افق المدنية الحديثة . اخذت تظهر حيناً في صورة شيوعية ، واخرى في صورة فاشستية اما الواقع فان الفاشستية عبارة عن رد فعل يحاول دعاة الفاشستية من ناحيته ان يقاوموا شعوراً عميقاً غير مدرك تماماً بان النظام الاقتصادي اصبح عاجزاً عن ارضاء الكثير من حاجات الناس الروحية . فالمدنية الحديثة تشرئبُّ الى باعث روحي يروّح عن صدور الناس ما تحجَّر فيها من جمود النظام الاقتصادي الحاضر

رحلة غواصة تحت اطباق الجليد

في البحار القطبية الشمالية

اين يذهب الرواد؟ لم يبق امامهم سوى اعلى طبقات الجو وأعمق اغوار البحار وهذه قد اخذت تذلل امام اقدام الطيارين والغواصين وابداع العلماء وما ابتكروه من غرائب المعدات وأدوات البحث والاستكشاف [من مقدمة كتاب الرواد]

... ومذ كتبنا هذه المقدمة عنت طائفة من علماء الاميركيين بصنع كرة مفرغة من المعدن الصلب فيها ثقوب واسعة يسدها بلور كثيف صاف وتتسع لرجلين يجلسان فيها فتغوص بهما الى اعماق البحار فيطلان من ثقوبها على مشاهد الحياة البحرية الفاتنة من نبات وحيوان ومرجان فيصورانها صوراً يدوية وفتوغرافية مستعينين على رؤيتها بشعاعة قوية من النور يطلقانها من احد ثقوب الكرة فتنير امامهما مشاهد الاغوار

* * *

ومن اغرب ما سمعنا به في السنة الاخيرة ان المعدات تعدُّ الآن في الولايات المتحدة الاميركية لرحلة قطبية تختلف عن الرحلات الحديثة في ان آلتها ستكون غواصة تسير تحت الجليد الذي يغطي البحار القطبية لدرس احوالها درساً علميًّا دقيقاً . وينتظر ان تمضي الى تحقيق غرضها في الصيف المقبل (١٩٣١) بزعامة السر هيوبرت ولكنز الرحالة القطبي المشهور والمستر لنكن الزورث رفيق امندسن في الطيران الى القطب الشمالي والكومندور هانسبورو رباناً للغواصة والعلامة سقردروب العالم والرحالة الزوجي. ورغم المصاعب الجمة التي يتصورها القارىء ويحسبها تحول دون تحقيق هذه الرحلة يقول العلماء والخبراء بامكانها بل يذهبون الى ان رجال الرحلة في مأمن من التعرّض للخطر وان تحقيق اغراضهم ليس ببعيد المنال . وينتظر ان تكون الغواصة مجهزة بأجهزة تمكنها من السير تحت الجليد فاذا صادفت بقعة فيها طبقة الجليد رقيقة او مكسّرة صعدت منها الى

سطح البحر . اضف الى ذلك ان حجمها يمكن رجال البعثة من حمل كل المعدات العلمية التي يحتاجون اليها في مباحثهم وارصادهم . وهذا مما لا يتيسر في الطيارات

وعلى ما في هذه الرحلة من بواعث الغرابة والخيرة يظهر انها ليست بدعة جديدة بل ان احد المستبطين الاميركيين المدعو سيمون لايك قرأ رسالة علمية سنة ١٨٩٧ على جماعة من العلماء في جامعة جونز هبكنز يصف فيها رحلة من هذا القبيل . فلما نشبت الحرب الروسية اليابانية بنى لروسيا بضع غواصات احداها صنعت لتسير تحت الجليد ثم بنى غواصات اخرى قادها بنفسه فجرى فيها آناً على عجلات على قعر البحر وآناً جرى بها على عجلة كعجلة الترام الكهربائي تحت اطباق الجليد كما ترى في الرسم الذي في رأس هذا المقال

وانقضى ربع قرن على محاولات لايك الاولى طاف في خلالها ناانسن البحار القطبية على سفينة الفرام ووصل بيري على المزاج الى القطب الشمالي وطار برد اليه بطيارة وأسندسن وتوبلي بمنطاد . ولكن فكرة لايك ظلت تجول في صدور المقادم من الروّاد الى ان عنى بها اخيراً السر هيوبرت ولكنز بعد فوزه بالطيران من الاسكا الى سبتسبرجن سنة ١٩٢٨ ورحله الى القارة المتجمدة الجنوبية سنة ١٩٢٩ فجمع المال واتباع الغواصة وجمع الاعوان

* * *

وقد صرح الدكتور سقردروب بأن خبرته الطويلة في البحار القطبية اثبتت له ان المنطقة القطبية الشمالية تكثر فيها بقاع الماء غير المتجمد في شهري يوليو وأغسطس حتى لا تستطيع الغواصة ان تسير أكثر من خمسة اميال دون ان تمر على بقعة من الماء فوقها تستطيع ان ترتفع منها الى سطح البحر . والماء لا يتجمد حينئذ لان حرارته اوطأ من درجة تجمد الماء العذب وأعلى من درجة تجمد الماء الاجاج . ويشاطر السر هيوبرت ولكنز رأيَ الدكتور سقردروب هذا على ما جاء في خطبة له امام الجمعية الجيوفيزيكية . قال : ان الخبرة التي كسبها في الطيران في المناطق القطبية المتجمدة مسافة ١٥ الف ميل وفي السير فوقها مسافة خمسة آلاف ميل تدلُّ على اننا نقع على بقاع كثيرة من الماء غير المتجمد في البحار القطبية حتى في فصل الشتاء

ويقول الكومندور دائنشهوَر ان بناء هيكل من الصلب حول مقدم الغواصة ومؤخرها وفوقها يقيها من الصدمات التي قد تصيبها . ثم ان تجهيز سطح هذا الهيكل بعجلة على طرف ذراع حديدية من قبيل عجلة الترام التي تجري على السلك المكهرب ، تمكنها اذا خفف وزنها الى حدّ معيَّن ان ترتفع حتى تلمس العجلة اسفل الاطباق الجليدية فتسري الغواصة في الماء والعجلة تلامس الجليد آناً تهبط وآناً ترتفع وفي هبوطها وارتفاعها يستطيع الرجال

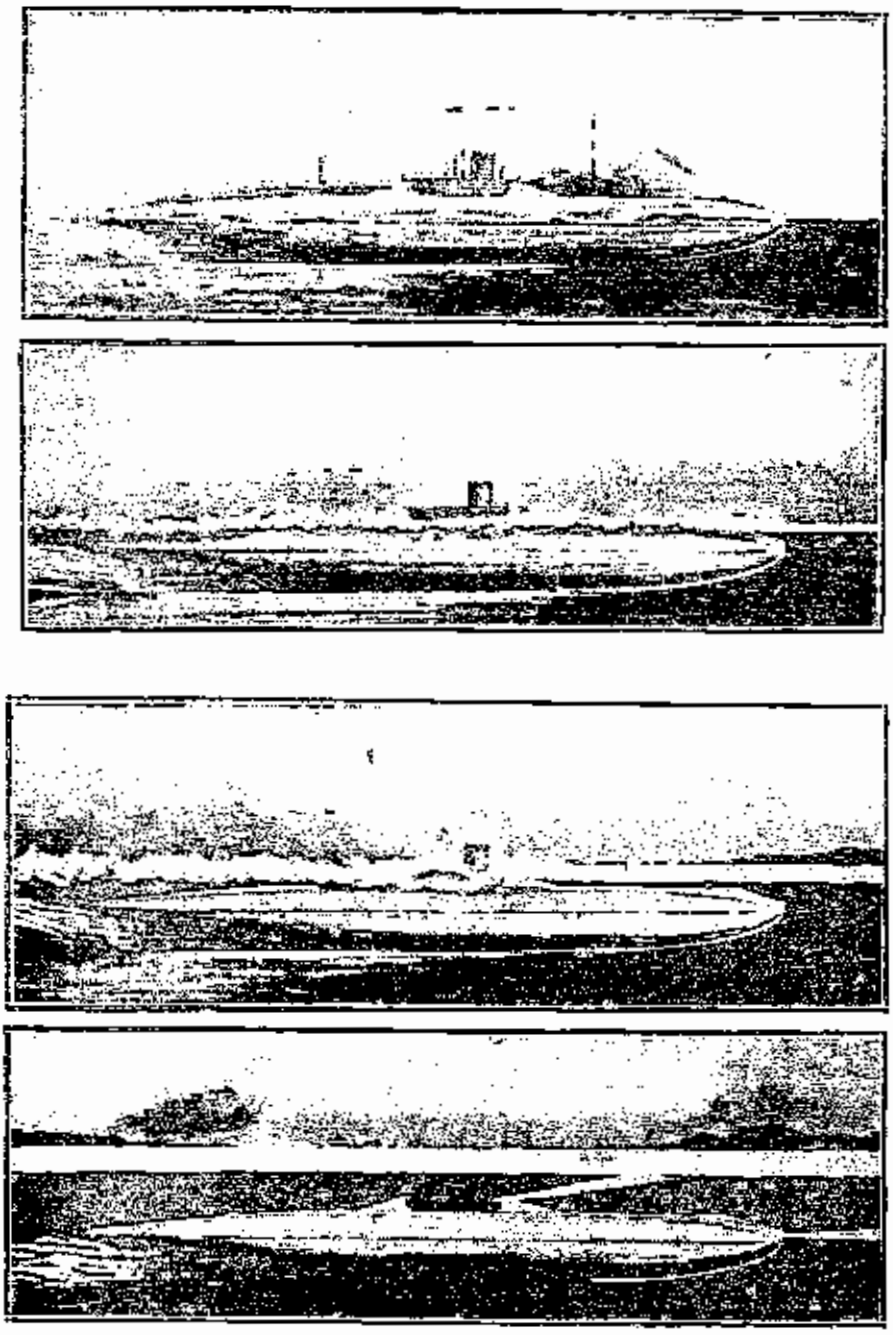

أربعة مشاهد برحلة الغواصة تحت اطباق الجليد على ما وصفناها في مقال خاص

مقتطف نوفمبر ١٩٣٠ أمام الصفحة ٣٨٩

في الغواصة ان يعرفوا مقدار كثافة الجليد . فاذا بلغوا مكاناً دلّ ارتفاع الحجلة على رقة طبقة الجليد خففوا وزن الغواصة حتى يبلغ ضغط هيكل الصلب على الجليد ضغط جسم وزنهُ ١٥٠ طنًّا وهذا ينتظر ان يكون كافياً لتكسير الجليد الصيفي . ويقال ان ضغط ٢٥ طنًّا كافٍ لتكسيره . فاذا كان هذا الضغط غير كافٍ لتكسير الجليد فالغواصة مجهزة بمنشار دائري يمكن رجالها من نشر قطعة مستديرة في الطبقة المتجمدة تكفي لظهور احد ابراج الغواصة منها فوق سطح الجليد فيخرج منهُ رجال البعثة الى سطحه ويقيمون هناك اياماً يجمعون فيها الحقائق والارصاد العلمية التي يبغونها . اما اذا وصلت الغواصة في سيرها الى بقعة تكسر فيها الجد واخذ يذوب فضغط قليل كافٍ لطفوها على سطح الماء تستقرُّ عليه كباخرة عادية بينما يقوم رجالها بمباحثهم العلمية . وعدا المنشار تعدُّ آلات ثاقبة من احجام مختلفة لتثقب ثقوب في الجليد وبعد ثقبها يستمدُّ منها الهواء لملء بطاريات الغواصة فتستطيع ان تقطع مرحلة أخرى مداها مائة ميل من غير ان تصعد الى سطح البحر . فاذا شاء رجالها ان يصعدوا في هذا المكان وضعوا في هذه الثقوب بعض المواد الكيماوية التي تذيب الجليد ولو كانت كثافتهُ عشر اقدام ويقول ولكنز ان استعمال الديناميت لتحطيمه مستطاع

***

طول هذه الغواصة ١٧٥ قدماً وعرضها ١٦ قدماً وتستطيع ان تسير فوق سطح البحر مسافة متوسطها ٣٠٠٠ ميل قبل اضطرارها الى الالتجاء الى مرفاء لاخذ الوقود اما اذا كانت غائصة فلا تستطيع ان تسير اكثر من تسعة اميال تحت الماء باقصى سرعتها و ٧٥ ميلاً بسرعة ميلين بحريين في الساعة . وينتظر ان تزال منها كل اجهزتها الحربية ويعاد اعداد آلاتها فيصير في استطاعتها ان تسير مسافة ١٢٥ ميلاً تحت الماء بسرعة ميلين او اكثر قليلاً في الساعة

اما رجال الرحلة فثمانية عشر رجلاً ١٢ منهم لتسيير الغواصة وادارة شئون الرحلة و ٦ للمباحث العلمية . وينتظر ان يوضع في فتحتين من فتحات الطرابيد الاربع التي في جانبي الغواصة جهازان ينطلق منهما بوركشاف قوي لمحاولة الكشف عن مشاهد الحياة البحرية . واما الفتحتان الآخريان فتستعملان للعراقبة . كذلك ستجهز غرفة خاصة بآلة يضغط فيها الهواء ضغطاً قويًّا منعاً لدخول الماء من بابها متى فتح تحت البحر فيخرج منها رجال يرتدون ملابس الغواصين للغوص من السفينة الى الاعماق . ومن الادوات التي تعد لها العدة تفنار مرسل وآلة لاسلكية مرسلة ولاقطة

ولا يظن أن الغواصة تتعرض لخطر ما من جبال الجليد العائمة في البحار الشمالية اذ

لايخفى ان الجانب الاكبر من هذه الركام الطافية مخبوء تحت الماء . ولكن البحث الجغرافي اثبت ان الجبال الجليدية الكبيرة نادرة جداً في المحيط المتجمد الشمالي لان القلاع الجليدية التي تنفصل منها الركام الطافية وتطفو في البحر محمولة بتياراته لاتكون الا على شواطيء اليابسة . وعمق الجزء الغاطس منها لايزيد على مائة قدم . فاذا اقتربت منها الغواصة ورجالها يعلمون بوجودها امكنهم ان يغوصوا تحتها وعضوا في سبيلهم واذا اصطدمت الغواصة بها فجأة دفع عنها هيكلها الصلب قوة الصدمة. ويقول الدكتور سفردروب ان اسفل الاطباق الجليدية التي تغطي البحار القطبية في الشمال ليس املس ولكن تتوآته صغيرة لا تمنع عجلة الغواصة من الجري عليها بسهولة . واطول هذه التتوآت لا يزيد على ٣٠ قدماً وقد لا يزيد المتوسط على عشر اقدام

وسيكون همّ هؤلاء الروّاد على الضد من همّ الروّاد القطبيين الآخرين ، ان يغطوا حرارة الجوّ لا ان يتقوا بردهُ . فالمحركات الكهربائية وآلة ديزل التي تسيّر الغواصة ترفع حرارة الهواء فيها فوق حرارة الماء الذي يغمرها من الخارج

وغرضهم من الرحلة ان يسيروا بهذه الغواصة من جزيرة سبتسبرجن الى الاسكا في خط مستقيم مارين بالقطب تحت الجليد والمسافة نحو ٢٢٠٠ ميل ماشين ميلاً منها فوق الماء وذلك الى الشمال من سبتسبرجن حيث العرض ٨٢ فقط والباقي تحت الجليد على التوالي المتقدم

* * *

وقد اشار الدكتور سفردروب الى المباحث العلمية التي ينتظر ان يمنى بها هو وصحبهُ في هذه الرحلة فقال ان اهمها ما كان متعلقاً باعماق البحار كقياس درجات الحرارة واخذ نماذج من الماء من اعماق مختلفة لتحليلها ومعرفة ما تحتوي عليه من الملح والمواد الكيماوية الاخرى. ثم ان سرعتنا بتيارات المحيط المتجمد الشمالي قائمة على مشاهدات نانسن وارصاده بالآلات لم تكن على جانب كافر من الدقة. ولا بدَّ من الحصول على حقائق دقيقة عن البحر القطبي لفهم تيارات الجانب الشمالي من الاوقيانوس الاتلنتيكي . ان فرعاً من تيار الخليج يدخل المحيط القطبي الى الشمال من سبتسبرجن على عمق بعيد فيرتدُّ من الشمال تيار آخر ولكنهُ سطحيٌّ فيسير محاذياً لشاطيء جرينلندا ثم يتصل بتيار لابرادور. فالعلماء يريدون ان يعرفوا ما يحدث لهذين التيارين في المحيط القطبي الشمالي

ثم نقصد ان نجمع نماذج من الاحياء النباتية والحيوانية التي تعيش في مياه البحار القطبية الباردة وسنقيم في الراجح سارية في اسفل الغواصة نعلق بها شبكة تجمع ما يتيسر لها جمعهُ من الحيوانات والنباتات والغواصة ماضية في طريقها. ونتائج البحث في هذه النماذج يجب ان تكون

كافية للفصل في بعض المسائل العلمية التي عليها خلاف كبير بين العلماء . فبعض الرحالين يعتقد ان الفقم والدببة القطبية كثيرة في المناطق الجليدية التي تغطي بحار القطب وبعضهم يقول بانها توجد على مقربة من شواطىء اليابسة فقط وانها نادرة جداً في اواسط المنطقة القطبية الشمالية . ورأي ان قلة الضوء في البحار القطبية تمنع نشوء الاحياء النباتية فيها . وحيث لا يوجد نبات يتعذر على الحيوان ان يجد غذاء له فالفصل في موضوع كهذا يتوقف على ما نجمعه من الحقائق المختلفة

وسنجمع كذلك نماذج من القشر من اعماق البحر بواسطة جهاز يرسى في البحر من الغواصة فاذا وصل الى قعر غاص فيه ثلاث اقدام او اربعاً ثم يرفع فاذا داخله قطعة تمثل الطبقات التي يشتمل عليها القعر الى عمق ثلاث اقدام او اربع . فيستطيع العلماء ان يعرفوا شيئاً عن تاريخ قعر البحر مدى آلاف السنين لان هذه الطبقات بطيئة جداً في رسوبها

***

ومن المباحث الخطيرة التي توافق الغواصة اكثر من اية سفينة اخرى هو قياس جاذبية الارض . وهذا قياس دقيق يتوقف على خطرات رقاص وحسبان زمن كل خطرة حساباً مضبوطاً . فخطرات الرقاص تسرع حيث الجاذبية قوية فاذا حدث اقل تغيير في قوة الجاذبية ظهرت في خطرات الرقاص وسرعتها . فاذا جربت هذه العملية في سفينة فنوسان السفينة من جانب الى آخر او من مقدم الى مؤخر يمنع الاتساق في خطرات الرقاص . وأما في الغواصة فلا اثر مطلقاً لهذا النوسان . والواقع ان افضل وقت للقيام بتجربة من هذا القبيل هو متى كانت الغواصة غائصة في البحر . والمقاييس التي تمت بهذه الطريقة من قبل تشير الى ان للمادة التي تحت انهار المحيطات اكثف من المادة التي تكونت منها القارات . فنتائج مباحثنا في هذه الناحية منتظرة في دوائر العلماء بفارغ صبر . ثم هنالك المباحث المغنطيسية وسبر اغوار المحيط والتحقيق في مسألة وجود يابسة في البحار القطبية حول القطب الشمالي وهل في الاماكن التي ماؤها غير عميق مصادر للمعادن او للبترول وغير ذلك

ثم هنالك وجهة تجارية لهذه الرحلة ترتبط بتقصير مسافة المواصلات بين القارات تحت جليد المنطقة القطبية المتجمدة وخصوصاً ان بعض العلماء يذهب الى ان بعض البلدان الشمالية كثيرة الانهار خصبة التربة غنية بالمعادن . والاتصال بها بحراً متعذر لتجمد اكثر مرافيها على مدار السنة فالغواصات اذا حققت حلم لايك ومشروع ولكنز تستطيع ان تخوض العباب فيها تحت الجليد صيفاً وشتاء . وهذا من اعجب العجائب في هذا العصر العجيب

الغرائز في نظر المسلكي

للدكتور جون ب. واطسن
زعيم المدرسة المسلكية في علم النفس والاستاذ بجامعة جونز هبكنز

ما حقيقة الغرائز ؟ وهل للناس غرائز ام هم خالون منها ؟

ان الفكرة الشائعة اليوم عن الغرائز تعود في اصلها الى داروين — ذلك ان القول باشتراك الانسان والحيوانات الاخرى الادنى منهُ في الانحدار من اصول واحدة يحتم ايضاً اشتراكهما في الكثير من اوجه التشابه الاخرى . فنحن نستألف حيوانات برية صغيرة لا عهد سابق لها بكيفية بناء الاوكار ولكنها لا تلبث ان تقيم اوكاراً لها كما يُقيم نوعها اوكارهُ التي يعيش فيها — والاستشهاد بالحوادث التي من هذا القبيل بين الحيوانات اكثر من ان يحصرها العد

ولما كان تاريخ تكوين الانسان هو في الواقع تاريخ تطوره من الاصول التي يشترك فيها مع الحيوانات الادنى منه ، فحتوم في هذا ان نجد في الانسان عدداً من الغرائز تشابه الغرائز التي في الحيوانات . و « وليم جيمس » لا يكتفي بالبحث في هذا الشأن وانما هو يحصر الغرائز في الانسان في عدد معين يذكر منها الميل الى التسلق والتقليد والتعصب والصيد والخوف والغيرة والعطف والحب والحياء الى آخر تلك السلسلة

والقول بأن للانسان غرائز مشابهة للغرائز التي في الحيوانات مسألة تتسق كل الاتساق مع نظرية داروين — ولكن لا داروين ولا جيمس خطر لهما ان حقائق هذه المسألة قد تكون على خلاف ما قدّراه دون ان تتأثر المسألة في ذاتها مع نظرية داروين من حيث التسلسل والوراثة . على ان كل رجال العلم البيولوجي والمدرسة المسلكية يؤمنون بنظرية التسلسل اعني انهم يؤمنون بأن تاريخ تكوين الانسان هو تاريخ تطوره من نطفة الحياة الاولى الى ان وصل الى حالته الراهنة وليس من فرد واحد صحيح الثقافة ينكر ذلك اليوم

وهذا الايمان التام بنظرية التسلسل لا يضطرنا بأي وجه ما الى الاخذ برأي من يقولون بامكان معرفة غرائز الجيل الذي قد يخرج من اصل معروف ، قبل خروج هذا الجيل الجديد ذاته

ولنفترض مثلاً ان اقرب الاسلاف الينا هي القرود ، فحتى ظهور النوع الانساني من تلك الارومة الاصلية لم يكن متيسراً ان يعرف احدٌ المؤهلات الوراثية لهذا الجيل

الانساني الجديد ما عساها ان تكون . ولنفترض افتراضاً آخر هب ان عمل النشوء في الانسان لم يتمّ بعد وهب ان الانسان الحالي قد ينقلب بحكم عوامل بيولوجية طارئة الى جيل مولد ، وان يخرج منه بعد ذلك جيل ذي اجنحة — فليس في مقدور احد ان يعرف مؤهلات هذه الخلائق ذات الاجنحة ما عساها تكون قبل ظهور الخلائق ذاتها . ومهما تكشفت عنه مؤهلات تلك الخلائق الطائرة وما عساها ان تكون فليس في هذا كله ما يغير الحقيقة الواقعة وهي ان هذا الجيل الطائر اشتقّ من الانسان مثل ما اشتق الانسان الراهن من اصول ادنى منه — وهذا الذي نقرره الآن يمكن تطبيقه على غرائز الانسان الحديث فمجرّد أن الانسان حلقة من سلسلة طويلة من التسلسل لا يكفي برهاناً على وجوب حيازته غرائز مثل الاصول التي انحدر منها ، مفترضين ان للحيوانات غرائز كما يزعمون

ومراقبة الطفل فقط منذ اول ولادته ومتابعة ذلك مدى السنين الاولى من حياته تمكننا من الحكم في : هل للانسان غرائز اكثر مما للحيوانات او اقل ام إنهُ ليست له غرائز بتاتة وليس لدى داروِن ولا جيمس اساس صحيح يستندان اليه في دعم ما قدّراه بشأن الغرائز

ولكن ليس هذا الذي ذكرناه هو جماع ما يتعلق بالنظرية الشائعة عن الغرائز — والانسان ليس له جسم فحسب وانما له عقل ايضاً ، وان كان لهذا الجسم تاريخهُ من التسلسل فالعقل لهُ تاريخهُ هو الآخر من ذلك التسلسل عينه ، وعلى هذا فمحتوم ان نجد ميزات عقلية في الانسان شبيهة بامثالها في الحيوانات ، ولغاتنا حافلة بالالفاظ التي تشير الى تلك الحيوانات فنحن نصف المرء بأنهُ ماكر كالثعلب وبصير كالقطا ، وغير ذلك من الصفات التي تدل على قرابتنا من اسلافنا الحيوانات . وان صح أننا ورثنا كثيراً من الميزات العقلية عن اسلافنا الحيوانات افليست الوراثات التي تسلمناها من اسلافنا الناس الاولين اكثر واشد أثراً فينا ؟

وعلى هذا الحكم اخذ رجال العلم البيولوجي بوراثة الميزات العقلية وانت كثيراً ما تسمع من يقول لك « ان فلاناً من الناس قد ورث مواهبهُ عن ابيه في كيت وكيت » وان آخر « رجل سياسي منحدر من سلسلة طويلة من السياسيين المعروفين وهكذا »

ثم جاءت « اليوجنية » فاكثر رجالها من الدعاية لفكرة الغرائز ووراثة الميزات العقلية وقد اجرى رجال « اليوجنية » كثيراً من التجارب بين العائلات الموهوبة ثم قرروا ان المواهب تنحدر الى النسل بالوراثة ، بل هم ذهبوا الى ابعد من هذا وقرروا ما قال به « نيتشه » من وجوب حصر الزواج في الفئات الموهوبة حتى ينتهي الامر الى اخراج جيل من الناس كلهم موهوبون . وهذا الايمان القوي بالوراثة من شأنه ان يزعزع نظام الزواج الحاضر وهو أشد خطراً من البلشفية . وهو بدعة من بدع الناس في سبيل تصور الخلود ،

لان هذا التوارث التعاقب وانحدار الصفات من السلف الى الخلف معناه الخلود ، وحتى البعض منا ممن لا يؤمنون بالحياة الاخرى بعد الموت تراهم يصطنعون خلوداً آخر وذلك من طريق انتقال صفاتهم الى ابنائهم وهؤلاء ينقلونها الى الاحفاد وهكذا دواليك ، يعني ان صفات الناس تعبر عنها شخصيات الجيل الذي يأتي بعدهم ، والانسان يأبى ان يستسلم للموت وسلطان القبر

وظاهرة اخرى نراها ماثلة بيننا من جراء هذا الاعتقاد بالوراثة ذلك انه حين يرزق الانسان ابناء فاسدين يحاول التخلص من مسئولية فسادهم تراه يقول «وما شأني في هذا كله . . انهم ورثوا طباع السوء من ناحية امهم . . والطبيعة فوق التربية وفوق التدريب»

— ٢ —

والآن ما هي الحقائق التي اكتشفها رجال السلكية عن مسألة الغرائز والوراثات

ان رجال السلكية يجدون في المولود الانساني قطعة غير مصنوعة من «البروتيلازم» قابلة للتكيف حسب الايدي التي يقدر لتلك القطعة ان تقع في عنايتها . وهذه القطعة من «البروتيلازم» تتنفس وتتناغى وتضرب يديها ورجليها وتحرك اصابعها وغير ذلك أعني انها تجيب عن كل مؤثر يصلها من الخارج او من الداخل وهذا هو الحجر الاساسي الذي يستند اليه السلكيون في مذهبهم وهم يقدرون انهم لا يرون في هذا كله أثراً لقائمة الغرائز التي تكلم عنها « وليم جيمس »

اما رجال العلم البيولوجي واليوجنية فيجيبون على دعوى السلكيين بقولهم « ولكنكم لم تلاحظوا الطفل الا في مدى سنتين او ثلاث سنوات من حياته ومعظم الغرائز والميزات العقلية والمواهب والكفايات الموروثة تبدو في الانسان بعد ذلك الطور من حياة الانسان »

فيعترض السلكيون على ذلك بقولهم « حسن . نحن قد لاحظنا الطفل في سنيه الاولى واما انتم فلم تلاحظوه قط فعليكم انتم حجة البرهان فارجعوا الى تلك الطفولة وابحثوا فيها عن المواد التي سوف تكوّن لكم ذلك الكائن الحي الذي تريدون ملاحظته في تقدم السن»

الا ان التربية والتدريب والتأثر بالوسط وامثال هذه تبدأ عملها في الطفل مبكرة جداً وهذا اساس مذهب السلكيين فهم لا ينكرون ان السنتين الاوليين من حياة الطفل هما اخطر طور في تكوينه واذا لم تسجل مطالعات عن حركات الطفل في هاتين السنتين فليس الى الملاحظة عنه بعد ذلك من سبيل علمي

ومحاولة ملاحظة الطفل في الثانية من عمره دون وجود سجل سابق عن حركات الطفل في ما مضى انما هي محاولة فاشلة . وفي نهاية السنة الثانية من حياة الطفل يكون مزاجه قد وصل في تكوينه الى حد بعيد فتظهر فيه الميول الى الاشياء وتصبح هذه الميول

واضحة الطابع حتى أنهُ يستحيل معها ان يُجرَّدُ الطفل قطعة من المادة الخام كما كان حين ولادته ولا ان يجري فيه رجال العلم البيولوجي تجاربهم من الفحص والامتحان

فاذا سمع المسلكي جماعة العلم البيولوجي والفحص العقلي يقولون ان توريث المواهب في الاسر الموهوبة اكثر مما تقتضيه الصدفة ضحك لانهُ يرى في دعاويهم تأييداً لقوله. لانهُ اين تجد الطفل الذي يتأثر سمعه بالموسيقى وهو لدن لين في غير العائلات المعروفة بالفن الموسيقي ؟ واين تسمع الطفل الذي يقول لك «أنا تعب اليوم وقد شغلت كثيراً الليلة ويظهر اني مصاب بشيء من الزكام ويجب الا أذهب الى المدرسة» ان تسمع هذا في غير الاوساط الطبية

وهنا نصطدم بمشكلة اخرى هي هذه : ان صح هذا الذي قدرناهُ فماذا لانجد ان كل ابناء الناس الموهوبين موهوبون هم انفسهم ؟ وانما تقتصر تلك المواهب الموروثة على بعض الابناء دون البعض الآخر . وليس حلُّ هذه المسألة بالامر العسير — فانت قد تسمع رساماً يقول لك « ان ابنتي اظهرت منذ طفولتها ميلاً ظاهراً الى الرسم حتى انها ابدت دلائل مقدرة فائقة فيه وهي بعد في سن صغيرة مع اني لم اعلمها الرسم ، اما ابني فتصرف عن الرسم كل الانصراف وليس الى تعليل ذلك من سبيل الا قولي ان ابنتي قد ورثت ميلها للتصوير عني انا واما الولد فقد ورث بغضهُ للرسم عن امه » . هذا ما يقوله الرسام ولكن ليس من السهل ان تقنع الرجل بانهُ كان كثير الانتباه لابنته فباتا هذا البناء الذي هي عليه في حين ان الام كانت تكره لابنها ان يحترف بمهنة ابيه فبغضتهُ بها

فهل نفهم من كل ما سبق ان ليست هناك وراثات ؟ لا وانهُ لسخف ان تنكر الوراثة والانسان قد خلق انساناً لا تقرأ . فنحن لنا عينان قد ركبنا تركيباً من شأنه ان يجعلنا نرى الشيء الواحد واحداً بكلتا العينين معاً ولسنا نحن كالخيل التي لا ترى الشيء الواحد واحداً بكلتا العينين الا عن قرب — ثم ان لنا ذراعين ورجلين وعشرة اصابع في ايدينا وأخرى في ارجلنا وهذه كلها مما يسهل علينا تعلم الاشياء اكثر مما يسهل على الحيوانات تعلم ذلك

وأصابع ايدينا اكثر تكيفاً للحركة من اصابع ارجلنا ولهذا فنحن نستعملها دون اصابع الارجل في اعمالنا ، ولكن اذا فقدنا اصابع ايدينا استعضنا عنها باصابع ارجلنا فمن الناس من يكتب بأصابع رجليه . ورجال المسلكية يعترفون بكل هذا الا انهم يقولون ان كل هذا شيء لا خطر له اذا قارناه بما يستطاع تدريب الطفل عليه — ويمكن تلخيص المذهب الذي يستندون اليه في تعاليمهم في الآتي : —

هم يقولون انهم يستطيعون — اذا سنحت لهم الفرص — ان يتناولوا منازع الطفل الحديث الولادة من مثل حركات الاصابع والذراعين وحركات الجذع وغيرها قبل ان

تأثر بأية مؤثرات من شأنها ان تكيفها تكيفاً ما ثم يحولوها بتدريبهم لها الى الوان دقيقة النظام من مختلف الاعمال. بل هم يذهبون الى ابعد من هذا فيقدرون انهم يستطيعون ان يتناولوا المنازع البدائية في الطفل من مثل حركات الذراعين والرجلين والاقدام ثم يحولوها الى اعمال غاية في الدقة من نقش وتسلق وسير وما الى ذلك ، وان يتناولوا حركات الحلق والعضلات ثم يحولوها الى اعمال دقيقة من الغناء والكلام ، وان يتناولوا حركات بعض آلات الجسم الداخلية فيحولوها الى ما يعرف بيننا بالخوف والحب والغضب وغير ذلك

ورجال المسلكية لا يطلبون اكثر من المنازع البدائية التي يراها في الطفل الحديث الولادة — بل هم يقولون اعطونا مائة منزع من تلك المنازع البدائية تصرف في ترابطها كيف شئنا تصرفاً حسابياً ثم انظروا بعد ذلك ما عسانا ان نخرج منها ؟

ولنفترض ان العالم قد يطغو عليه طوفان يغمره بالماء الى علو ست اقدام ، ولنفترض ان كل ادوات الناس التي يستعملها قد تلاشت في ذلك ، وان كل ما يبقى ظاهراً على سطح الماء هو اعالي الاشجار ، فسرعان ما نجد ان منازع الانسان الخفية قد تحولت الى حركات تمكنه على التسلق فالقفز فالتعلق من نوع الى آخر

فانظر بحقك الى مبلغ ما تتحول اليه استعدادات الناس الطبيعية الى ما يحتاج اليه عند الضرورة

ونظرية المسلكيين في بناء الانسان بناء جديداً ليست مبنية على طلاسم والغاز وانما هي خروج من الدائرة الضيقة التي يحصر ضمنها الناس منازعهم الضيقة . فالانسان في عصور الاستعباد اظهر براعة معجزة في الاشغال اليدوية مما لا نزال نرى آثارها حتى اليوم — ونحن لا نحذ تلك الصور المظلمة وانما نريد ان ندل على مبلغ ما يستطيعه الانسان من طريق التدريب وعلى مبلغ ما يمكن ان تكيف اليه المنازع الى ما يحصى له عدد من الاشكال والنماذج

ورجال المسلكية لا يعترفون للبناء التشريحي بما يعترف له الناس من الخطر . بل يقولون اعطونا الطفل والوسط اللازم لتنشئته ونحن نخرجه يزحف ويمشي ويتسلق ويستعمل يديه في بناء المباني من الحجر والخشب . بل نحن نخرجه لصاً او مدفعياً او مدمناً ، بل يقولون اعطونا الانسان بدون يدين ونحن نخرجه من معملنا يكتب ويرسم ويطبع ، وآخر بدون عينين ونحن نرده لكم يقرأ وينقش ويصطاد ويلعب الهوكي على الجليد ، وثالثاً اصم ونحن نجعله يحادثك ويفهم ما تقول بملاحظته اياك وأنت تتكلم او اعطونا اياه اصم ابكم ونحن نخرجه لكم من جديد شخصاً آخر كهلن كلر . وهم يقولون بأن الوراثة بمعنى الغرائز والميزات الموروثة من كفايات وميول وما الى ذلك ، يجب ان تحتجب وراء الستار حتى يقوم ما يثبت دعواها حق الاثبات

ترجمة وتلخيص : يوسف حنا

فرجيل يتلو قصيدتهُ الايذ على الامبراطور اغسطس قيصر واختهِ ورجال البلاط

انقضاء الفي سنة على فرجيل

في مثل هذا اليوم (١٥ اكتوبر) من الفي سنة ولد لاحد خاصة الفلاحين في مقاطعة اندس بجنوب ايطاليا طفل بنتهُ الطبيعة من اولئك الخلائق النادرين نريد شاعراً مطبوعاً بالحق ! اما الام فلا نعرف عنها اكثر من اسمها . واما الاب فقيل انهُ رجلٌ ساذج قضى حياتهُ في التحريج والنحالة ولكنهُ عرف كيف يخرج من ابنه العالم والتاريخ اثراً مدرسيًّا خالداً

وأُرسل الولد الى مدرسة في كريمونا اولاً ثم الى مدرسة اكبر منها في ميلان ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره جاء رومة لينعم في ظلال مشيّداتها الخالدة بالجلوس عند اقدام امراء البيان والخطابة في ذلك العصر . وقد ذكر بعض المؤرخين ان اوكتافيوس ابن اخي يوليوس قيصر الذي اصبح الامبراطور اغسطوس فيما بعدُ كان من رفقائه في طلب العلم

ودرس فرجيل في رومة لغة الرومان وادبها معلقاً شأناً كبيراً لخطباء اللاتين وفصاحتهم غير مهمل فلاسفة اليونان ومذاهبهم . وكان ذا نفس وثابة الى طلب المعرفة فاصطفى في معهد العلم طائفة من ناشئي البيان الذين اصبحوا فيما بعد اصدقاءهُ الاوفياء واشرقوا واياهُ في سماء الادب فكانوا الانوار الادبية اللامعة التي ازدهى عصر الامبراطور اغسطس وهو من اعظم العصور الادبية في التاريخ واعظمها في التاريخ الروماني بلا منازع

كان فرجيل كثير الحياء قليل الاختلاط بالناس . وكان اثر الازواء في طفولته في مزرعة ابيه ترك ظلاً من ذلك في نفسه الى آخر حياته . ثم ان ضعف بنيته وضيق صدره وقفا في سبيله سدًّا منيعاً دون العظمة التي كان ينشدها فبان قومه في الحيش والسياسة. وكان قد ورث من والديه ما مكنهُ من الانقطاع للدرس والتأليف فعكف عليهما . ومن حظه انهُ كان لا يزال في ريعان شبابه لما انتهت في الدولة الرومانية فترة النزاع الداخلي واتجه القوم اميراً وشعباً الى توطيد اركان السلام

فبعد واقعة فيلبي عاد الحكام الثلاثة الى رومة وجعلوا يسرّحون جيوشهم محاولين ان يقطعوا لهم ارضاً يستقرون فيها يحرثونها ويجنون خيراتها . وكانت بعض المقاطعات الايطالية قد ثارت عليهم فصادروا ممتلكات الشعب في تلك البلاد ووهبوها للجنود الظافرين وكانت المقاطعة المجاورة لمنتوى حيث ولد شاعرنا منها فاضاع ما ورثهُ من ابيه فطلب لهُ اصحاب النفوذ

من اصدقائه في البلاط الامبراطوري أن تعرضهُ الحكومة ما تقدر فتحتهُ قطعة ارض قرب نولا في كمپانيا فكان ذلك سبباً الى الاتصال بزعماء البلاط وعظمائه. ومن ذلك الحين بسط له الدنيا واتيحت فعاش موفور النعمة عزيز الجانب كثير الاصدقاء والمريدين مبترفاً لهُ من كل الشعراء الذين عاصروهُ بأنهُ اميرهم. قيل انهُ كان مرة في احد المسارح حيث انشدت بعض قصائده فصاحت الجمهور بينهم وقفوا كلهم اجلالاً لهُ. ويقال انهُ لما نشر قصائده الريفية (الاكلوج) ثبَّت فيه زعماء البلاط « شاعر العرش » المقبل

***

وكان في روما في تلك الايام (حوالى ٣٧ ق . م .) رجل مشهور يدعى ميسيناس كان بارعاً في تسيير دفة الشؤون الكبيرة من وراء ستار وظل ستين طوالاً صديق اوكتافيوس ومستشارهُ الاكبر. فلما صار اوكتافيوس امبراطوراً واتخذ لقب اغسطس قيصر عيَّن ميسيناس حاكماً لايطاليا. ويقول بعض المؤرخين انهُ لما رأى هذا ضعف الحكومة وحاجة البلاد الى ادارة حازمة لوقايتها من الفوضى حضَّ اوكتافيوس على الانفراد بالسلطة دون رفيقيه لهذا الغرض

واذ كان ميسيناس حاكماً لايطاليا انصرف كلَّ الانصراف لما تدعوه الآن « سياسة الانشاء » في احوال الشعب المادية غير غاضٍّ نظرهُ عن فنون الادب والجمال . وشهرتهُ الباقية انما هي قائمة على انهُ كان نصيراً لرجال الادب والفن . وكان فوق كل ذلك ذا ثروة كبيرة عظيم السخاء في تشجيع الشبان الناشئين في ميادين الفنون الجميلة . على انهُ لم يكن من الهواة الذين يشجعون الفنون لانهم لا يدرون ما يفعلونهُ بفيض ثروتهم من غير ان يدركوا قيمة الفنون التي يشجعونها على ما فحر ما يفعله بعض المثرين الاميركيين في هذا العصر ، بل كان رجلاً مثقفاً بفلسفة اليونان والرومان وآدابهم واساليبهم الفنية فادرك بزكنه أن رومة وقد تحرَّرت من سيطرة اليونان الثقافية اصبحت مستعدة لتنشىء ادباً رومانيًّا. ورأى علاوة على ذلك ان لا يكتفي بجعل الشعراء زينة في قصر الامبراطور بل يجب ان يكسب بواسطتهم عطف الجمهور على نظام الحكم الحالي وخصوصاً اذا كانوا يستطيعون ان يلقوا على اشعارهم في مدح هذا النظام صبغة من الارادة الالهية. فرأى في فرجيل الرجل المنشود لهذا الغرض فاعترف انهُ يستطيع ان يتخذه صوتاً الهيًّا لتمجيد الريف والحياة الريفية واعمال الزراعة على انواعها علَّه يُخلق بذلك حركة اقتصادية تزجر الشبان عن التقاطر الى المدن وحثهم على العودة الى الطبيعة

فنظم مدفوعاً بهذا الغرض النبيل قصائد « الجورجكس » التي اشرنا اليها في العدد الماضي ونشرها سنة ٢٩ ق.م. وهي في نظر النقَّاد اكمل اعماله من الوجهة الفنية وكلهم مجمعون على اطرائها لما تحتوي عليه من بسط دقيق لاساليب الزراعة القديمة في ايطاليا ووصف

جلي لظاهرات الطبيعة فيها. انك تقع فيها على وصف شعري مخجل يفصّل لك كيف كان الروماني يحرث الارض ويغرس الكرم ويربي الماشية ويعتني بالخيل . انهُ سبق مترلك بعشرين قرناً في التغني بعجائب النحل وما في عالمها من دروس اجتماعية جديرة بالتدبر . ثم انك تتيه في اناشيدها المختلفة معنى تخفيه السطور ولكن تجلوهُ روح الشاعر البارزة في سياق المعاني وهو «جلال العمل» . انك تحسُّ بعد قراءتها بان فرجيل يمجد العمل لانهُ في نظره ضرورة لا مندوحة عنها لرفاهة الحياة وكسب رضا الآلهة

كان الرومان القدماء شعباً نشيطاً ظهرت آثار نشاطه في الحرب والسلم وفي الشريعة والادب، في بناء الطرق ونقش التماثيل وفوق كل هذا في زرع الارض واستغلالها. فغرض فرجيل من قصائده هذه ان يحيي في ابناء اولئك القدماء العناية بالارض على علاتها ، وان يعود بهم الى الاخذ بالصناعات الزراعية في زرع الكروم والزيتون . في تربية النحل والخيل . في حراثة الارض لتخرج خيراتها غلالاً متنوّعة . وفي كل مقطوعاتها تشعر بما يريد تمكينهُ في النفوس من تفوّق البلاد الايطالية على كل البلدان الاخرى فكأنهُ يقول يجب ان تعترف لايطاليا بتفوق جمال مشاهدها الطبيعية وخصب تربتها واستقرار احوالها الجوية . هذه حنطة ابوليا وكروم فالرنيا وزيت نافروم وعسل كالابريا . اي بلاد تخرج ارضها مثل هذه الخيرات ؟

***

اذا كنا نريد ادباً قوميًّا فهذا ميدان يكاد يكون بكراً بيننا !

***

ولما عكف فرجيل على كتابة اعظم قصائده «الاينيد» وهي «قصة اسفار اينيس وحروبه ومغامراته وكيف اسّس رومية » استمدَّ وحيهُ من الشعور العام الشائع بين طبقات الرومان في ذلك العصر . فقد كان الرومان مؤمنين بتفوقهم على الشعوب البشرية مقتنعين بان الهدف المقدّر لهم انما هو السيطرة على الارض . ولما كانوا ممتازين بمقدرتهم على الحرب والحكم اخذ هذا التمجيد القومي يشتدُّ ظهوراً بينهم حتى بلغ اوجهُ في ايام فرجيل لما اصبحت روما امبرة الجهاد روما ربة النصر «ايها الرومان اخضعوا الارض واحكموها » . بهذه الكلمات كانوا يلخصون الفرض العظيم الذي نصبتهُ الآلهة لهم . وانت اذا راجعت الاينيد وأيت المعنى المسيطر على القصيدة في ابياتها التسعة الآلاف والثمانمائة والستة والتسعين انما هو الوطنية المتأججة . على انها كانت وطنية يكبر من حدتها ويلطّف من طفيانها تأمل الشاعر في معاني الحياة والحضارة ووزنه لها بميزان الحكمة الدقيق

كان فرجيل قد تأمل معنى الحضارة طويلاً لما شرع في نظم الاينيد فثبت لهُ ان الارتقاء

الذي نصد ان يجدهُ لم يبنَ الاَّ في بحر من النعم على اركان من الاسى . ويقال انهُ كان ينظم بضعة ابيات كل صباح ثم ينقحها ويصقلها في اثناء النهار. ولكن المطلع على قصيدته يدرك ان الشاعر كان يطيل التأمل في موضوعها اكثر من اطالته التأمل في اسلوبها والفاظها . فالسطر الاول في القصيدة كما هي متداولة الآن (مع انهُ لم يكن السطر الاول في نسخة فرجيل نفسه) يعلن القارىء بأن هذه قصيدة حرب وكفاح . ولكنها ، على رغم ما فيها من الحروب والمغامرات بعيدة عن تمجيد الحرب . خذ مثلاً على ذلك وصول اينيس الى قرطاجنة بعد ما حملتهُ الرياح من صقلية اليها . انهُ لم يقف هناك موقف المعجب لظفر رومة على قرطاجنة بل وقف وقفة المعتبر المتذكر . وبدلاً ان يفاخر بالنصر الروماني ساءل نفسهُ عن السبب الذي حال دون ائتلاف الامبراطوريتين وهل فوز رومية بذلك اسوار نذتها الى الارض دليل على انها تفوقها فضلاً وثقافة ؟! ان هذه المسألة القديمة التي جالت في خاطر فرجيل تتخذ من مشاكل العصر الحاضر صوراً عديدة . لماذا بنيت عظمة انكلترا على حساب تقدم اسبانيا ؟ ولماذا نجم عن احتلال البيض لقارة الاميركية تلاشي الهنود الحمر ؟ ولماذا ينظر العالم الى الحضارة الاميركية الحالية نظرهم الى شبح مخيف ؟ ان شاعرنا لا يجيب جواباً ولا نحن نجيب . انهُ يمثل قرطاجنة في شخص ديدو تمثيلاً يبعث في نفس القارىء عطفاً عليها لا على روما ثم يلقي التبعة في مأساتها على ارادة الآلهة ! واذا ملاك من السماء يهمس في اذنيه لماذا تضيع وقتك في بناء مدينة للقرطاجنيين فانت زعيم شعب تبشرهُ الآلهة والآلهة تقول «الى الاكام السبع الخالدة ! »

قضى فرجيل احدى عشرة سنة في نظم الاينيد ولو لم يداجهُ الموت لقضى — كما كان ينوي ان يفعل — ثلاث سنوات اخرى في تنقيحها وصقلها . والحقيقة ان الغرض من سفره الى بلاد اليونان سنة ١٩ ق. م. انما كان لاستجمام قواه الخائرة حتى يتمكن من انجاز قصيدته على النحو الذي يرضاه . ولكن السفر اضناهُ فلما وصل الى اثينا ووجد الامبراطور اغسطس على وشك الرجوع الى ايطاليا رجاهُ في ان يسمح له بالعودة في ركابه. وكان قد اصيب بالملاريا في بحار قاسية قواه وجاء السفر ضنكاً على اباله فلم يكد يستقرُّ في برندزي حتى توفي في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩ ق. م. وهو في الحادية والخمسين من العمر

واذ هو مضطجع على فراش الموت طلب الى اصدقائه ان يحيشوهُ باصول الملحمة الرومانية الكبرى التي تقضى في نظمها احدى عشرة سنة وغرضهُ من ذلك ان يجعلها ماكلاً للنار لانهُ لم يكن يرضى ان يترك للاجيال المقبلة عملاً لم يتعهده بكل ضروب الاتقان. ولكن اصدقاءهُ اقنعوهُ بأنهم لا يسمحون بنشرها. فلما سمع الامبراطور بذلك ضنَّ بها ان تبقى مطوية فوهبها للعالم !

الحديد: تعدينه وتقسيته وصناعته[1]

عند قدماء المصريين

كثرت المؤلفات في موضوع « الحديد عند قدماء المصريين » وتضاربت آراء الباحثين فيه. والغريب ان الباحث يستطيع ان يفسر الادلة في بعض نواحي الموضوع تفسيراً يؤيد آراء متباينة كل التباين . فلدينا في موضوع التاريخ الذي بدأ فيه استعمال الحديد طائفتان من الادلة احداها مباشرة واخرى غير مباشرة . والنتيجة التي نخرج بها من النظر في هذه الادلة تتوقف على الطائفة التي تقدمها على اختها شأناً ومقاماً . فالادلة القائمة على كشف ادوات حديدية واتاتين لصهر الحديد واشارات اليه في الكتابات او الصور هي الادلة المباشرة. واما وجود تماثيل منقوشة في صخر صلد لا بدّ في نقشها من ادوات حديدية صلبة فدليل غير مباشر

ولم يعثر حتى الآن الاّ على ست ادوات حديدية ثبت رجوعها الى سنة ١٣٠٠ ق . م مع انهُ عثر على ادوات حديدية كثيرة خاصة بعهود تالية لذلك . فاعتماداً على ذلك اشار السر فلندرز پتري الى ان استعمال الحديد لم يشع في مصر قبل الحقبة الواقعة بين ١٣٠٠ — ١٢٠٠ ق.م. مع انهُ استعمل استعمالاً متفرقاً في العصور الواقعة بين ٢٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق .م.

ومما يشير الى تأخر استعمال الحديد الادلة التي استخرجها ركرد من الصور المصوّرة على الجدران التي ترجع الى عهد سابق لسنة ٢٠٠٠ ق.م. فان فيها رسوماً لاسلحة ملوّنة لوناً اصفر او احمر وهذان اللونان يمثلان النحاس او البرنز. ولكنهُ لم يرَ صور ادوات من حديد وهو المعدن الذي كان يلوّن لوناً ازرق . وفي القوائم الطويلة لما كان يجمع جزية في عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ — ١٣٠٠ ق م) لم يجيء ذكر الحديد مطلقاً . والمعروف ان رعمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) كتب الى ملك الحثيين يطلب خنجراً . وفي التابوت الداخلي الذي وجد في مقبرة توت عنخ آمون المتوفي سنة ١٣٦٠ ق.م وجدت ثلاث ادوات حديدية هي نصل خنجر وقطعة من سوار كان يستعمل عوذة ومسندٌ مصغّر للرأس وقد خلص ركرد من مكان هذه الادوات في لفائف المومياء الى انها كانت اثمن مقتنيات توت عنخ آمون وان الحديد في تلك الايام كان اندر من الذهب الابريز الذي صنع منهُ التابوت. وقد عُثر بين الامتعة الخاصة بالدفن التي وجدت في الترف الملحقة بمدفن توت عنخ آمون على ادوات حديدية مصغّرة فقال السّر هورد كارتر مكتشف القبر انها قد تكون

(١) وهو ملخص رسالة لسرهارولد كوبنر والدكتور روبرتسن تليت في عهد الحديد والصلب بلندن

هدايا اهديت الى الملك الفتى احتفاء بوصول الحديد الى مصر او اكتشافه فيها . فهذه الادلة التي اوجزناها فيما تقدم تشير الى ان الحديد كان نادراً في مصر قبل سنة ١٢٠٠ ق.م. مع انهُ لم يكن مجهولاً فيها . والراجح انهُ لم يكن يصنع فيها قبل ذلك العهد ومعظم علماء الآثار على هذا

واذا كانت الادوات الحديدية نادرة في مصر قبل سنة ١٢٠٠ ق . م . فالادوات المصنوعة من النحاس والبرونز كانت كلّ ما يعتمدهُ الصنّاع والنقاشون في عملهم . ومع ذلك نرى ان المصريين آثاراً فنية رائعة من عهد الاسرة الرابعة (٢٩٠٠ ق.م) منقوشة في حجارة صلدة كالغرانيت والديوريت . وقد اشار اليها الاستاذ ان غارلند وبانتر بانها آية من آيات فن النقش في وضوح معالمها وصحة اتساقها ودقة زواياها وخطوطها القائمة وحدة حروفها واناقة منحنياتها . ونقش من هذه الطبقة الفنية يرجع الى الف سنة قبل صنع البرونز اي لما كانت الادوات النحاسية الادوات الوحيدة المستعملة . وحتى لو فرضنا ان ادوات البرونز استعملت حينئذٍ فمن الصعب ان نفهم كيف قام المصريون بهذا النقش . فبعضهم يقول ان المصريين كانوا يعرفون طريقة سرية لتقسية النحاس وفي ذلك رأيان احدهما لبتري فهو يقول انهم استعملوا ادوات مصنوعة من نحاس مخلوط بالسنباذج او ادوات مصنوعة من البرونز . واما هَدْفيلد فيذهب الى ان قدماء المصريين كانوا يصنعون ادوات فولاذية على اختلاف انواعها وانهم كانوا يلحمون الصلب اذا انكسر . وعندهُ انهُ اذا ثبت ان صنّاعهم لم يبرعوا في صناعات الحديد والفولاذ فقد كانوا في الغالب يتفوقون بصناع الامم الاخرى

فوجود النقوش والتماثيل المصنوعة من حجر صلد لا يتفق والادلة المستخرجة من الآثار التي عثر عليها المنقبون . وقد نستطيع ان نعلل ندرة الادوات الحديدية في المدافن القديمة بتلفها صدأ او بوجود خرافة تمنع حفظ هذه الادوات مع امتعة المدفون فيُرَدُّ على ذلك بان صدأ الحديد لا يطير وان ادوات حديدية كثيرة وُجدت في المدافن بعد ١٢٠٠ ق.م ونحن نميل الى القول بان الحديد كان نادراً في مصر قبل سنة ١٣٠٠ ق.م. لان الدليل على هذه الندرة المنطوي في طلب رعمسيس الثاني حتحراً من ملك الحثيين وفي طيعة الادوات الحديدية التي وجدت في مدفن توت عنخ امون ومكانها بين نفائس المومياء هو في نظرنا دليل قوي

اما وجود نماذج من الحديد ترجع الى العصر الواقع بين ٢٩٠٠ — ١٤٥٠ ق.م. فدليل على ان المصريين كانوا يعرفون الحديد نحو ١٥٠٠ سنة قبلما شاع استعماله . ففي هذا العصر كانت المقادير المتداولة قليلة جداً وكانت من صنع الوطنيين او من مستوردات التجار من الخارج . وقد قال بعضهم ان شعباً ذكيّاً كالشعب المصري ما كان يكتفي بهذا القدر الضئيل من الادوات الحديدية ولا بدّ انهم عنوا باستخراجه وصناعته . وقوام هذه الحجة ان الادوات

الحديدية تفوق ادوات النحاس والبرونز في نقش التماثيل والكتابات في الصخر الاصم. ولكن ضعفها يظهر اذا نحن قدّرنا ان التجارب الاولى في اخراج ادوات حديدية لا بدّ ان تسفر عن حديد لين لا يفيد الشعب المصري ولا اي شعب آخر اذا قيس بالادوات البرونزية . فنحن ننسى ان مقام الحديد في الحضارة الحديثة سببهُ كثرة الحديد واخلاطه القاسية التي تصنع منه . وما يعرف عن صناعة الحديد يدلُّ على ان الحديد الخارج من الاتون يحتاج الى طرق شديد للحصول على كتلة معدنية ومن هذه الكتلة المعدنية تقطع الادوات المطلوبة ثم تجمى وتطرق وبعد ذلك تخرج اكثر ليناً من البرونز وخصوصاً اذا كان الحديد خالياً من اثر الكربون فيه كما يكون الحديد الصافي غالباً. فالادوات الحديدية حينئذٍ لم تفق الادوات البرونزية وصنعها كان اصعب . فعدم استعمال الحديد عند قدماء المصريين لا يرجع الى جهلهم به بل الى اختبارات اخرى تلخص في انهُ لدى الموازنة بين الحديد الطيني الليّن والبرونز وجدت فوائد البرونز اكثر واجلى

ولكن فوائد الحديد تزيد باكتشاف طريقة تمكن صانعه من خلطه بكربون فيتسو ويصبح فولاذاً. ويتسع نطاق فائدته متى اكتشفت طريقة اخرى لتقسيته باحمائه وتغطيسه بالماء . وباكتشاف هاتين الطريقتين تزيد صلابتهُ ويصبح ذا فائدة في صنع الادوات منهُ. والراجح انهُ لما اكتشفت هاتان الطريقتان انتقل المصريون من عهد استعمال الحديد استعمالاً متفرقاً الى عهد التوسُّع في استعماله. والحد الفاصل بينهما هو القرن الثالث عشر ق.م.

وهناك مجموعات لا يستهان بها من الادوات الحديدية القديمة ولدى بعض علماء الآثار ولكنها لم تدرس درساً علميًّا من حيث بناؤها المعدني لان علماء الآثار يحجمون عن السماح للكيماويين وعلماء المعادن باتلاف جانب منها لدى بحثها . وهذا يصحُّ على البحث الكيماوي ولكن البحث المكرسكوبي يقتضي تنظيف بقعة صغيرة على سطح الادوات فقط ثم فحصها بالمكرسكوب. وقد ساعدنا الاستاذ فلندرز بتري في اختيار تسع ادوات من مجموعة كلية لندن الجامعة فدرسناها على المنوال المتقدم وهي من عصور مختلفة تتباين من القرن الثاني عشر ق. م. الى القرن الثالث ق. م. فخرجنا من البحث بالنتيجة التالية:

ان طريقة المصريين في استخراج الحديد من ترمكانت بدائية ولكن الصناع استطاعوا ان يصنعوا منهُ ادوات تحتوي على صفات مختلفة بكربنته واحمائه فهذا البحث يكشف لنا للمرة الاولى ان الكربنة والتقسية وفوائد معالجة الحديد بالاحماء كانت معروفة بضعة قرون قبل التاريخ الميلادي وهو غير المشهور بين العلماء . وفي رأينا ان مصر لم تدخل عصر الحديد حقيقةً الا لما فهمت هذه العمليات وطبقتها اي لما استطاعت ان تحوّل الحديد صلباً

قطعة من الخشب

للشاعر القروي

وزعت مجلة الشرق العربية التي يصدرها في البرازيل الاديب موسى كريم كراساً يشتمل على الخطب التي تليت في الحفلة الانيقة التي اقامها ادباء الجالية السورية في البرازيل في « پالاس اوتل » بسان پولو تكريماً للشاعر اللبناني البرازيلي عقل الجرّ فاخترنا أن ننشر القصيدة المبدعة التي القاها الشاعر القروي لما قدّم للمحتفل به علبة من الخشب البرازيلي الثمين رسمت عليها خريطة البرازيل وفي احدى زواياها صفيحة من الذهب عليها ثلاثة ابيات من الشعر

القصيدة

ايها الشاعر الذي فنّ السمع ... ينظم كالدرّ بل كالدراري
هاكها علبةً قد اختارها الصحب ... شعاراً لشعرك المختار
صُفحت باللجين زهو من الابريز ... في مثل ذوب نور النهار
اين في لطفها الحُلي يد الصا ... نع من سحر انمل النجّار
ان في قطعةٍ من الخشب الساذج ... معنىً لا ينطوي في النضار
اي روح علوية تترك العودَ ... لتصفي لرنة القيثار
اي روض من عسجد رتّلت فيه ... بلابلُ الاسحار
هي من جوهر الماء ابنة البذرة ... أخت الازهار والاثمار
انها جمعة لاشهى احاديث ... الهوى عن مجالس الاطيار
نُزعت من اضالع الغاب من موج الاشـــجار لا من مقالع الاحجار
نسبٌ بالصليب قد وشجتهُ ... من يد الغيب اقدس الاسرار
ان فيها همساً لطيفاً عن الحب ... ونجوى الارواح والافكار
ان فيها اسرار شعر وموسيقى ... وفيها شرار نور ونار
ان فيها رمزاً لخنجرة الثاي ... وصدر الرباب والقيثار

***

فتكرّم . واذكر بها الصحب حيـــناً فجمال التذكار بالتذكار

اللغة العربية وروابط الاجتماع

من خطبة فلسفية اجتماعية

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

من الخطل ان يتوهم المرء ان الصراع بين الاقوام يقتصر على النزال في ميادين الطعن والضرب بل ان هذا الطعان يتناول العادات والتقاليد والمعتقدات والاوضاع وسائر الميزات التي تميز الجماعة الواحدة عن الاخرى

ليست صدورنا وحدها عرضة لبنادق الفاتحين ولا رؤوسنا لقنابل الطيارين بل ان الاطعمة التي نأكلها في بيوتنا والطرابيش التي نضعها على رؤوسنا والحفلات التي نقيمها في اعراسنا والادعية التي نتلوها في صلواتنا والعلوم التي نتلقاها عن آبائنا والالفاظ التي نلقنها ابناءنا — كل ذلك عرضة لصراع اشد وطعان انفذ وربما كان الموت في الميادين الادبية اشدُّ فتكاً منهُ في الميادين النارية لان الامة مجموعة افراد خلقوا ليعملوا بالاشتراك على تحقيق غاية معنوية فكل خسارة تخسرها الامة في شؤونها المعنوية تفقدها شطراً من هذه الغاية الجوهرية

ان معظم المساعي العامة التي نصرفها في هذا الشرق العربي سواء في مصرام في الشام ام في العراق هي موجهة لتأييد كياننا السياسي والاحتفاظ بحريتنا الحكومية لاعتقادنا ان من كان سيداً في بلده هو حاكم على الميراث المادي والمعنوي الذي يرثهُ من الآباء والجدود واما من كان عبداً فهو غريب حتى عن الدار التي يسكنها والاهل الذين يعيش بينهم والاوضاع التي ينشأ عليها . ومع كل ما اشتملت عليه هذه العقيدة من الحقائق الناصعة التي اهتدى اليها الشرق بعد المحن والآلام فعلى من عاش مثلنا في بلاد كتب عليها موقتاً الاتمتع باستقلالها التام ان يتذكر ان الدفاع عن الكيان لا يقتصر دائماً على ميادين الطعن والضرب . بل هنالك ميادين معنوية لا تقلُّ في شرفها عن ميادين الحديد والنار

ان مدنية الناطقين بالضاد مهددة بالاكتساح كما اكتسحت اشرف بقاعهم وأثمن اراضيهم لان الاوضاع التي ليست لها مدرعات تحميها ودبابات تذود عنها وطيارات ترفرف عليها مهما كانت عزيزة على اصحابها مقدسة في اعينهم لا تستطيع اثبات كثيراً على المقاومة . والحرم الذي لا تحميه القوة بابهُ مفتوحٌ للاقوياء . والاله المسلح في الاعصر الخالية كان مسيطراً على الاله الاعزل

ان كل هجوم طارئ يتطلب جبهة مستحدثة للمقاومة . فهجوم البهرجة في النساء مثلاً ألّف وحدة جديدة في الرجال باسم جيش الحشمة للرجوع بالمرأة الى الالبسة المسدولة .

وكذلك فعل تيار الافكار الفلسفية الحرة المطلقة من القيود فأقام في الماضي كما اقام في الحاضر سدوداً من اهل الدين وحملة التقاليد تمنع فيضانه. وما المفسرون والمجتهدون ودعاة الاصلاح في الاسلام الا عمال في اقامة هذه السدود وكل تأويل جديد يهتدون اليه انما هو حجر في البناء

وقد رأينا في أيامنا الحاضرة ان تقدم المانيا الاقتصادي وتفوقها في وسائل الحرب ادى الى محالفات دولية باسم انقاذ المدنية وتأييد الديمقراطية او غير ذلك من الجمل الخلابة للوقوف في وجه التيار الجرماني الجارف مما انتج الحرب العالمية وويلاتها التي تئن منها الشعوب

وما عرضنا لمثل هذه الحوادث الا لنبين كيف تتألف الجبهات المتماسكة ترد الهجوم المستجد العنيف. ولا مراء في ان الناهضين في هذا الشرق المتوسط يعالجون طارئاً جديداً هو الخطر الذي يهدد الثقافة العربية. وعلى قدر عزائمهم ومضاء السلاح الذي يحملونه تكون صلابة الجبهة المنوية التي يقيمونها. ومن العبث ان يتقدموا بالسيف والرماح والابل والهوادج والنصيح والقيسون لمصارعة البادق والمدافع والسيارات والطيارات وما يدفعها من الزيوت. فاللغة التي لا تستوعب هذه المصطلحات الحديثة هي مثل الامة التي تحمل السلاح البالي محكوم عليها بالفشل. وليس مثل التجانس الادبي المنوي الراقي اساساً لمثل هذه الجبهة الصلبة ولا يمكن ان ينطق الناس لغة واحدة فيتجانسوا في آدابهم بل لا بدَّ من وضعهم في بوتقة التثقيف حتى يذوبوا في ادب واحد ولغة واحدة

ان بين الناطقين بالعربية من اهل الشرق من هم في ثقافتهم ابعد عنا من الناطقين بالعجمة من أهل الغرب. فعلينا اذا اردنا توحيد الصفوف حتى في القطر الواحد ان نعلي الثقافة حقها لان الاختلاط في اللغة مع التشابه في الثقافة اقرب الى التمازج من اتحاد اللغة مع التنافر في الثقافة. وهذا ما حمل العلماء على القول بأن التشابه المنوي في اعضاء المجتمع هو اساس جوهري للحضارة وقد كان الدين في القرون الوسطى مدار الثقافة وقطب الدائرة في الحركات الاجتماعية. كان جمع الاقوام (حتى المتنافرة في لغتها) حول العقائد المنزلة سهلاً فلا جرم ان الالمان والانكليز والفرنسويين اتحدوا يومئذ تحت راية الصليب لاخراج الكرد والترك والعرب من الاراضي المقدسة. واني وأنا اوجّه الانظار الى شأن التجانس الادبي في جمع الاقوام لا اريد ان ابخس اللغة حقها في المقام الرفيع الذي تبوأته في توحيد الناس بل انها هي رمز المجتمع والى نورها المتلألىء تعشو الاقوام المتخبطة في الديجور لتستنير

وما اصدق ما قاله عنها بلاكمار وجيلين: —

« لقد ادت اللغة دائماً وظيفة مهمة في التنظيم الاجتماعي. فقد تولدت بواسطتها من حيث هي اداة التفاهم الجماعات الصغرى واعتزت وكذلك اتحدت جماعات اخرى. وتتجاذب

الشعوب ذات اللغات المتشابهة . اما الشعوب ذات اللغات المتباينة فيها ميل الى التنافر . والصعوبة في اقرار النظام الاجتماعي بين الجماعات المختلفة ذات اللغات المتنوعة والافكار المتنافرة والمشاعر المتباينة هي صعوبة كبيرة جداً حتى انها تُلاحَظ اليوم في المدن الاميركية الكبرى وما فيها من اهلين غير متجانسين . ومع ان اللغة في مثل هذه الاحوال تدعو الى الانقسام فهي في الاصل كانت مدعاة الى الوئام . واللغة هي وليدة السعي للافصاح عما يخالج النفس من الافكار وكل من يتأمل عن منشأ المجتمع البشري يجد في فعل اللغة وفي رد فعلها سبباً من الاسباب الداعية الى حدوثه ونتيجة من النتائج المتولدة عنه »

والآن يهمنا ان نرى هل في استطاعتنا ياترى ان نستأنس بشيء من قواعد العلم الثابتة في تشييد هذا الحصن الادبي المنيع القائم على رابطة اللغة والثقافة في الاقطار العربية الراقية؟

لم أقتصر في مقالي هذا على الاقاليم الراقية الاّ لسبب التفاهم الحادث بينها فالوزير والنبيل والفقيه والاديب والعالم والتاجر من ابناء مصر اذا حلّ ضيفاً في سورية او في العراق مثلاً اوجد لنفسه فيها في مدة اربع وعشرين ساعة حلقة من الاهلين لا يحصر عدد افرادها تفهم منه لغته وتدرك اشارته وتقدر شكواه وتحيط بمعانيه احاطة الشقيق بالشقيق فهل يجوز ان نترك هذه القوة العظيمة تذهب عبثاً كما نترك الماء حتى الآن حرارة الشمس تضيع في الصحارى وقوة الامواج تتكسر على الشطوط !

لقد اثبت العلم ان في مقدمة الاهداف التي يسعى المجتمع للوصول اليها الحصول على القوة وعلينا الاّ نغالط انفسنا بالحقائق فتقاد الى اولئك الكتاب النظريين الذين ملأوا الدنيا صياحاً في اوائل الحرب العامة بالطعن في القوة للنيل من الالمان فمثل هذا الطعن ترويج للدعاية التي اثارتها المصلحة السياسية . قال تاتيرج « اننا حاصلون على القوة فلا حاجة بنا الى البحث عن برهان آخر » وقال الاستاذ جدنغز « ان معظم الناس يعجبون بالقوة خاصة ويقدرونها قدرها في تكوينهم المثل العليا التي ينحتونها نصب عيونهم جسدية كانت هذه القوة ام عقلية ام اخلاقية . والبطل الذي يشغفُ الرجل المتوسط هو شخص ذو قوة جسدية او حذاقة او شجاعة وهو يتلذذ بمعرفة هذا البطل وبصحبته ويرجو ان يرى نفسه شبيهاً به ويتمنى ان يكون المجتمع الذي ينتمي اليه موصوفاً بالقوة ومظهراً لها .... ذلك لان الحياة في حد ذاتها هي حركة وصراع وان اعمق الغرائز المغروسة في النفس هي غرائز الحركة والنشاط . ثم ان هنالك نضالاً كبيراً يجلبهُ السعي الجدي في الدرجات الابتدائية من النشوء العضوي والنشوء الاجتماعي . فالفرد الذي يطلب النجاح في تنازع البقاء عليه ان يكون قوياً وسريع الحركة وهذا هو حال الجماعة ايضاً . والحياة محفوفة

بانواع الخطر والصراع حال دائم . وكل ما كان مظهراً للقوة يرهف المخيلة ويأخذ بمجامع القلوب وما يتم الحصول عليه بالقوة وحدها طمع الناس فيه والقوة التي تمهد للمرء غايته هي موضع الاعجاب والاستحسان » . وقال صاحب « المجمل في علم الاجتماع » اما القول بان الرأي العام يملي قدر القوة فوق سائر الاقدار فهو قول يبدو لاول وهلة خطأ لكن نظرة واحدة في الاحكام التي يصدرها المجتمع تقنع المرء رغم انفه ان هذا هو الواقع »

فهل نحن والحالة هذه على خطإ اذا ما طلبنا لمجتمعنا قوة نعتز بها وذلك بتوحيد جهودنا لجعل لغة التفاهم فيما بيننا على مستوى واحد من الرقي الادبي والعلمي واهلاً لملاقاة المقتضيات الحاضرة ؟ واذا كان اشراك عظامنا وعضلاتنا واعصابنا في الوقت الحاضر متعذراً فلنشرك عقولنا وأرواحنا ولنوحد صفوفنا توحيداً ادبيًّا يسير بنا نحو القوة المنشودة

***

والدساتير الاجتماعية الآتية متى طبقت على اللغة وتأثير اللغة في الجماعات تطبيقاً نزيهاً دقيقاً تبر الموقف وتفتق الذهن الى الحل الواجب تحقيقهُ : —

(اولاً) دستور العطف وهو : «تزداد درجة الاشتراك في العواطف بازدياد الشبه » بين الافراد والجماعات . فالبيض في بلاد السود مثل السود في بلاد البيض يتداعون ابناء العمومة والخؤولة . ولو كانوا من بلاد على طرفي نقيض من سطح الارض . والفريون في الشرق كالشرقيين في الغرب اشدُّ التحاماً واقرب تفاهماً ولهم جمعياتهم المعينة وانديتهم الخاصة . « والمصالح العامة والمشاعر المشتركة » كما قال المجمل في علم الاجتماع « تقرب الناس بعضهم من بعض وتزيد في عطف الواحد منهم على الآخر . والشعوب التي هي على درجة واحدة من الثقافة تتولد فيما بينها مصلحة عامة ومواطف مشتركة . وروابط العطف بين الافراد المجتمعين على مستوى واحد والمشغولين باعمال واحدة هي اقوى بكثير منها بين اناس تبدو فيهم الاختلافات الواضحة في الاخلاق والثقافة والحرفة »

(ثانياً) دستور التقليد وهو : « اذا لم تقم الموانع فالتقليد ينتشر بنسبة هندسية » بمعنى على معدل اثنين فاربعة فثمانية وهلمَّ جرًّا بمضاعفة العدد اللاحق للسابق . وهذا الدستور على اعظم جانب من الخطورة في تدرج الاقوام والجماعات . وكما ان الطفل يكتسب في سنيه الاولى جميع عاداته تقريباً وجزءاً كبيراً من معرفته ايضاً بواسطة التقليد فكذلك الجماعات ولاسيما في ادوارها الاولى . واللغة واسطة من اقوى الوسائط لنقل الاوضاع والمدنيات من جماعة الى اخرى بالسرعة العجيبة . ولاشك ان الصلابة القومية او مقاومة الاندفاع في التقليد هي صفة جوهرية لحفظ الميزات الخاصة في الجماعات ورمز للقوة المكنية المستترة في

التقوس ولكنها متى افرطت فصارت يوسة بحيث يقف القوم في وجه كل تغيير مستمراً باعتباره « بدعة » ولو كان ركوب السيارات بدلاً من الحمير فالجمود او الانكسار امر لامفر منهُ . وقد رأينا في هذا الشرق امماً اندفعت في تيار التقليد كما جمد غيرها على جلاميد المحافظة وكلاهما لا يدلُّ على جهاز عصبي صحيح لان الحياة الاجتماعية المتدرجة لا يتحلى بها الا من كانت لهُ نفسية ذات كيان متفرد من جهة وذات مرونة متكيفة من جهة اخرى

والدليل على انتشار التقليد بنسبة هندسية هو مسألة رياضية مضبوطة . فلو فرضنا ان زيداً من الناس احدث طرازاً جديداً في الطعام او في اللباس او في الرأي فقلده فيه عمرو فان زيداً وعمراً — لا زيداً وحده — يصبحان مصدرين مستقلين للتقليد فيقلد بكر زيداً ويقلد خالد عمراً وهكذا يصبح لدينا اربعة مناهل للتقليد يردها اربعة آخرون فيكون مجموع المناهل المستجدة ثمانية وهلم جرًّا طبقاً لمتوالية هندسية. وهذا الدستور يفسر السرعة العجيبة في انتشار الازياء الحديثة والافكار الحاضرة ولو لم يتغير التقليد بتغير الامم التي تمر عليها كما يتكسر النور بحسب المادة الشفافة التي يخترقها لكان التدرج في الاقوام بطيئاً لذلك رأينا الدين الواحد في بعض الاحيان مختلفاً باختلاف الاقوام التي آمنت به . والشيء السهل في هذا الدستور هو ان توحيد الثقافة في اقطارنا العربية ليس من الصعوبة بالمكان الذي يتراءى فيه بل كلما اكثرنا مناهل التقليد قرَّبنا اليوم الذي تتشابه فيه المشاعر والافكار وتتحد المثل العليا

(ثالثاً) دستور العمل الاجتماعي الاندفاعي : يشبه هذا الدستور دستور التقليد من حيث انه ينتشر ويشتد على نسبة هندسية والمثال البارز عليه هو الفزع الاكبر الذي يستولي على الجماعات في الحروب والمجتمعات والطرقات فيختلط فيها الحابل بالنابل ويدوس القوي من زل قدماه من كثرة الرعب او من شدة الازدحام . وغني عن البيان ان للتقليد شأناً كبيراً في مثل هذه الاندفاعات وللقدح المعلى في صوغ الجمل التي تلعب بالعقول وتنظم الافكار التي تحرك الجامد . ولا يدري احد بالضبط قيمة الدور الذي مثلته الجمل الآتية في الانقلابات : « لا ضرائب من غير تمثيل » « الحقوق الطبيعية » « اعلاء كلمة الله » « فتحي فرنسا » « المانيا فوق الكل » وربما كان لكلمة الرئيس ولسن « تقرير المصير » مثل هذا الاثر الخطير

(رابعاً) دستور الشعور بالنوع : — وخلاصته ان الافراد او الجماعات متى اضافوا الى وجود الشبه القائم بينهم الشعور بهذا الشبه والاحاطة به والعطف المتولد منه ازدادوا تقارباً وتلاحماً . ويدلُّ هذا الدستور على خطورة المساعي التي تولدت من بث الدعايات بواسطة الصحف والمنابر والجمعيات لاظهار الشبه النوعي في الاقوام المنتشرة والعطف المتبادل بينها كما نعلت « الجامعة الاسلامية » في بلاد العرب مثلاً . وكلكم تذكرون

الحرب أوزارها الى استعمال علمهم في المشروعات التجارية والصناعية المفيدة. فهل الذنب ذنب العلم ان المال اللازم لترقية الطيران لم يبذل عن سعة الا في الحرب ؟ ألم يسفر البحث في الراديو وأشعة اكس في اثناء الحرب عما يتمتع بها الالوف الآن من وسائل الصحة والطرب

لقد تحامل بعض الكتاب على العلماء لان تكتشفاتهم تزيد وسائل الحرب فتكاً وهولاً. وقال آخرون ان استنباط الادوات الفتاكة يقضي على الحرب لانها تزيد اهوالها . انا نعلم الآن ان هذه الاقوال ليست سوى آمال صبيانية في طبيعة قوامها الحرب والنزاع من الاشجار الى الكلاب الى القردة الى الانسان . ولكن ازاء كل عالم يستنبط مادة مفرقعة جديدة او غازاً خانقاً نرى آخر يصنع صلباً اقوى لا تنفذ فيه هذه المادة المفرقعة او غماء الوجه يمنع الغاز . فغاز الخردل الذي كان فعالاً في الايام الاخيرة من الحرب العالمية كان اقل فتكاً بالجنود من المفرقعات القوية. نعم ان العلم يجعل الحرب جهنماً ولكن تصور حرباً بلا علم قد تكون مقذوفة المدفع انتك من سنان رمح جندي . لا ادري. ولكنني ادري ان حالة الجندي المطعون بسنان في صدره اذ يخرجهُ منهُ طبيب لا يعلم شيئاً عن الجراحة والمطهرات اشدُّ خطراً من حالة جندي عصري اصابتهُ قنبلة فنقل الى المستشفى ليعالج فيه علاجاً علمياً وافياً

حتى اذا كانت تبعة الحرب تقع على العلم — وهذا مالا اسلم به — لقلت ان نتائج هذه التضحية تسوّغها . ان سلاحاً يستنبطهُ عالم ما قد يكون وسيلة لقتل الالوف ولكن ابحاث العلماء في ناحية اخرى تخلص اضعاف ذلك من الموت . ان عدد الذين خلصوا من انياب الموت والشفاء بوسائل الجراحة الحديثة يربي على كل الذين قتلوا في ميادين الحرب في القرن الاخير. واما النعم الاخيرة التي حبانا بها العلم فاعظم من ان تثمّن . بل أذهبُ الى ابعد من ذلك واقول ان العلم ، عامل فعّال في منع الحرب بدلاً من إثارتها وتنشيطها. فالنزاعات الدينية المبنية على الجنس والتعصب قد زالت في الاوساط المثقفة تنفيراً علمياً. واتساع نطاق التجارة مهّد السبيل لترقية وسائل المخاطبات والمواصلات فصارت المجاعات الكبيرة من ذكريات التاريخ . ان القطار والطيارة يشجعان الناس على الارتحال . والارتحال يوسع افق النظر والادراك ويقوي شعور العطف وهذا من افعل الوسائل في منع الحرب

واني اعتقد ان الذين يتحاملون على العلم هذا التحامل ، يجب ان يبحثوا عن الخشب في عيونهم قبل البحث عن القذى في عيون غيرهم . فهم لا يجنون خيراً ما من كم العالم وقد يخسرون كثيراً. انني من الذين يؤمنون على القول بان الحرب رجسة من عمل الشيطان ويجب اجتنابها. ولكنني اقول : لا تأخذوا السكين من يد الطفل بل علموهُ كيف يستعملهُ ليري به قلماً ، علموه بالطرق العلمية قدس الحياة. اما اعداء العلم فيقولون « خذوا السكين وابعدوهُ عن الطفل كلا يطعن به احداً ». هذه وجهة نظر اخرى ! فأيهما تؤثر ؟

خواطر في التاريخ والعمران

تتمة مقال الاستاذ هولدين

لتعد الآن الى الحقائق التاريخية المثبتة . فالحضارة لم ترتق ارتقاء ظاهراً في الفترة التي انقضت بين سنة ٣٠٠٠ ق. م. و١٤٠٠ ب. م. ولكنها انتشرت من مواطنها الاصلية في اودية النيل والفرات والسند حتى شملت بقاعاً واسعة من سطح الكرة الارضية. وكانت هذه البقاع تتكمش في بعض الاحيان كما وقع لما اجتاحت جماهير الشعوب الشمالية القسم الشرقي من الامبراطورية . ولما اكتسح الاتراك بلاد العراق قدموا فيها حضارة كان قد انقضى عليها اربعة آلاف سنة. وكان يحدث هذا الانكماش بفعل طبيعي كجفاف يصيب الارض فيقتضي على معاهد العمران فيها . ومن الراجح ان انتقال مواطن الحضارة من البلاد الاستوائية الحارة الرطبة الى البلدان المعتدلة يعود جانب كبير منهُ الى جرثومة الملاريا وبكروب الانيميا الخبيثة (الانكلستوما) فان الحشرات الناقلة لجراثيم الملاريا ودودة الانكلستوما لا تعيش الآ في البلدان الحارة الرطبة ولدينا ادلة على ان هذه العوامل المرضية ما زالت منتشرة في الارض من اربعة آلاف سنة الى الآن

والمرجح انهُ لم يستنبط في هذه الفترة (٣٠٠٠ ق. م. — ١٤٠٠ ب. م.) سوى اربعة مستنبطات خطيرة هي التوسع في استعمال الحديد . والطرق المعبَّدة . والنصوبت . والتعصب الديني . ولعلَّ الحقيقة كانت تقضي باضافة النقود وبناء المجاري لجرّ المياه الى المدن من اماكن بعيدة عنها . اما البارود فكان معروفاً في الصين قبل سنة ١٤٠٠ ق. م. بزمن طويل. ولكنه لم يبدأ يفعل فعلهُ في اوربا في رتج المعامع الحربية لمستعمليه الآ في القرن السابع عشر للميلاد. وكان من اثر مرّ قبل ذلك انهُ مهد السبيل لاضعاف القدية باضعاف معاقل الامراء من الوجهة الدفاعية. وارتقت المعرفة ارتقاء بطيئاً حتى انرى الآن اننا اسرفنا في تقديرنا لابداع اليونان في العلوم الرياضية . فالرياضيات والفلك عند البابليين بلغت درجة عالية من الرقي . ان كدنوّ — عالمهم الفلكي الكبير الذي عاش نحو سنة ٤٠٠ ق. م — كان ادق جدًّا في الارقام والمعادلات التي استعملها للتنبيء بالكسوفات من كلّ العلماء الفلكيين الذين جاءوا بعدهُ الى منتصف القرن الماضي . ولكن علومهُ كانت قد لبثت في هذه الفترة الطويلة ولم تترجم حساباتهُ الآ حديثاً مما جعل قيمتها العملية ضئيلة . اما في اشور فكان الرجل المتوسط يعرف جدول الضرب . وقد اشار الى ذلك الملك اشور بانيبال

في سيرته فقال « واعدت عمليات الضرب والنسبة المعقدة التي لا تبدو جلية لاول وهلة» وهذا المستوى لم يبلغهُ انكلترا قبل القرن السابع عشر الميلادي

كانت شريعة الملك دُنجي Dungi الذي حكم اور حوالي سنة ٢٣٤٠ ق.م . لا تقلُّ عن شريعة الملك جورج الرابع في اوائل القرن الثامن عشر . فان رعايا الملك دُنجي كان يحقُّ لهم ان يكون لهم عبيد ولكن هؤلاء العبيد ان يملكوا عقاراً . وكانت النساء تملك حق الملك . واذا اتخذ زوج لنفسه خليلة فكان يحق للحليلة ان ترغم الخليلة على غسل ارجلها وان تحملها على كرسيِّها الى المعبد . ومع هذا كان للخليلة حقوق على الزوج . ولما كانت الشريعة تصف لنا المستوى الادبي الذي بلغهُ شارعوها فيحق لنا ان نحسب ان مستوى الآداب لم يرتقِ كثيراً من ذلك العصر الى عصرنا هذا

كان الحديد في شكلٍ ما معروفاً من اقدم العصور ولكن الناس لم يستخرجوه بكثرة ولا استعملوه بعناية الاَّ في الالف الثانية ق.م . ففي حصار طروادة حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م كان الحديد لا يزال بدعة غالية . والتوسع في استعماله رفع مستوى الحضارة المادي ولكنهُ جعل الحرب كذلك اكثر هولاً واشدَّ فتكاً . ولما شرع في بناء الطرق المعبَّدة صار في الامكان توسيع الدولة فلزم استنباط التصويت لتمثيل السكان البعيدين عن العاصمة فنبت على التصويت انواع الحكومات الجمهورية المختلفة . أما التعصب الديني كان من اقوى العوامل في نشر الحضارة وتعميمها . فالرومان الذين كانوا على جانب من التساهل الديني لم يستطيعوا ان يتغلبوا على الجرمان ولا هم حاولوا ان يحملوهم على استبدال الههم «ثور» بالاله جوبيتر . اما سانت بونيفاس وغيرهُ من المرسلين فقاموا الجرمان باستبدال الاله ثور بالمسيح ففعلوا ذلك وتخلقوا باخلاق الرومان وعاداتهم التي كانت ترافق المسيحية حينئذٍ كما يسير القوتبول مع دعاة الانجيل في هذا العصر . ولكن الى جانب هذه الحسنة التي نشأت عن التعصب الديني الدافع الى نشر الدين والثقافة يبدو اثر هذا التعصب في خفض مستوى الحضارة في بلدان الامبراطورية الرومانية

فالحضارة اذاً اتسع انتشارها كثيراً قبل سنة ١٤٠٠ ب.م ولكن مستواها لم يرتفع . ولا نقع على اثر من آثار ارتقائها الاَّ اذا حصرنا نظرنا في غرب اوربا حيث وصلت الحضارة متأخرة . فلم يبزغ فجر القرن الخامس عشر حتى ظهرت حركة جديدة خطيرة . ذلك أن جمهور المتعلمين كانوا يحتقرون العمل اليدوي قبل ذلك . وهذا كان طبيعيًّا لان السيد كانوا ينجزونهُ لهم . على ان الحال تبدلت بغير الحال في اواخر القرون الوسطى لاسباب ثلاثة : اولاً ان الطبقة الحربية الحاكمة كانت امية وكان اكثر الملوك لا يدرون كيف يوقعون اسماءهم على رغم ان العلم كان منتشراً انتشاراً لا بأس به بين الطبقات الوسطى — ثانياً

كان عدد كبير من طبقات الرهبان يجيدون الصناعة علاوة على علمهم النظري — ثالثاً كانت حكومات المدن في ايدي جماعات الصناع (guild) والتجار وفي هذه الجماعات كان من يحذق الصناعة يرتقي حتى يبلغ اعلى مقامات الثروة والسلطان

فنشأ من ذلك امكان التوسع في البحث التجريبي بين طبقات المتعلمين. كان علماء العصور الماضية قد عنوا بدرس الطبيعة بالمرآة لا بالامتحان . فافلاطون كان يعتقد ان مستقبل البشرية في ايدي الملك — الفيلسوف . لقد اخطأ افلاطون . لان مستقبل الانسانية في ايدي الفيلسوف الذي يحذق الصناعة . فعلم الطبيعيات الحديثة نشأ في لندن حيث وضع سيمون ستفينوس « علم الستاتيك » سنة ١٥٨٦ بدرسه لمبادىء الحل والفتحة Sluice ان عمله في ابتداع طريقة للدفاع عن هولندا بطريقة الفتحات المائية له من الاثر في العمران كاثر نبوليون او وشنطن على الاقل . فان هذه الطريقة مكنت الهولنديين من الفوز في نزاعهم مع الاسبانيين الذي دام نحو ثمانين سنة . وبفوز الهولنديين سلم الاصلاح الديني من الانخذال . اما الصناعة الحديثة فبدأت باستنباط الطباعة . وخطورة هذا الاستنباط لا تقوم على ترخيصه الكتب بل على انه كان اول مثل لتطبيق الانتاج الميكانيكي الواسع النطاق على صنع بضاعة كانت كل وحدة منها تصنع على حدة من قبل

وضع غليليو المبادىء التي يهتدي بها الباحثون العلميون في هذا العصر . فلو ان هو وبضعة رجال آخرين على شاكلته في حداثتهم من الحكام ما حال دون خنق الاسلوب العلمي لكانت حضارتنا لا تختلف كثيراً عن حضارة القرون الوسطى

على ان ارتقاء العلم كان بطيئاً ، مات غليليو سنة ١٦٤٢ فانقضت مائة سنة وستون سنة قبلما جرّت السفينة البخارية الصغيرة التي صنعها ستفنن مركين في قناة الفورث والكلايد باسكتلندا مسافة تسعة اميال ونصف ميل . واستنبط ليوفنهوك المكرسكوب الفعّال الاول سنة ١٦٦٠ فانقضى قرنان عليه قبلما استعمله باستور للكشف عن اسباب الامراض المعدية. فالحضارة لم تشرع تتغير الا في القرن الاخير بعد انقضاء ستة آلاف سنة عليها . ان حالات المعيشة في الاقوام المتمدنة الآن تختلف عن حالات المعيشة في الاقوام المتمدنة سنة ١٨٣٠ اكثر من اختلاف هذه عن حالات المعيشة في عصر نوح والطوفان . وهذا الانقلاب بل هذه الثورة العالمية الحقيقية، لا تزال في مستهلها . لقد قطعنا شوطاً بعيداً في تنظيم طرق الانتاج والمواصلات وترقيها . فقد قضينا تقريباً على كل الامراض التي تنقل جراثيمها بالماء والحشرات. ويكاد يكون هذا كل ما عملناه في تطبيق العلم على شؤون الانسان

فالعلم لم يطبق حتى الآن الا في ميداني الانتاج الصناعي والصحة . اما فيما عدا ذلك

فليس للاسلوب العلمي اثر ما في شؤون الحياة . فلدينا انظمة تهذيبية متعددة يقال انها مبنية على معرفة علمية بنفسية الاطفال . ولكنها في الغالب تطبق على طوائف قليلة من الاطفال الاذكياء الذي نشأوا في أسر ذكية متطلعة . فاذا اتفق ان اصاب هؤلاء الاطفال قسطاً كبيراً من النجاح في ميدان العمل فنجاحهم غير مستغرب بل هو منتظر ولا يدلّ على شيء. فلكي تثبت تفوق نظام تعليمي معين على آخر يجب متابعة الوف من الاطفال المتوسطين الذين تعلموا على الطريقة الواحدة والوف تعلموا على الطريقة الاخرى لمعرفة اية طائفة تنجب اكبر عدد من الرجال الممتازين. وهذا لم يتم بعد . فمن الدعوى الفارغة التكلّم عن الاساليب العلمية في التعليم . ان الاسلوب العلمي يجمع بين المشاهدة والامتحان . فالامتحان من غير المشاهدة قد يكون وسيلة فتانة لقضاء الوقت ولكنه ليس علماً

على ان تطبيق العلم على الصناعة والطب قد قلب المسائل السياسية رأساً على عقب. كانت كل البلاد المتمدنة ، قبل بضعة عقود ، مؤلفة من عدد ضئيل من الافراد المثقفين في طائفة كبيرة من الافراد الجهّال . وكان هؤلاء يتنعمون الى حدّ ما بفوائد الحضارة التي بناها المثقفون . فالقسوة في توزيع الثروة بين كل هؤلاء من شأنها ان تهبط بالمستوى الثقافي العام . فكانت الاشتراكية والحضارة حينئذٍ متنافيتين . اما اليوم فالدخل العام في كل امة يكفي لجعل التعليم عامّاً وبذلك فتوزيع الثروة لا يهدد العلم ولا الفن ولا الادب بخطر ما. فالحجة التي اشرنا اليها سابقاً التي كان يقيمها البعض ضدّ الاشتراكيين قد زالت باتشار التعليم

ثم ان الحالة الصحية الناشئة عن تقدم الطب وارتقاء الصحة العامة تمدنا ببرهان قوي على فساد نظامنا الاقتصادي . فان مدى الحياة قد زاد الآن زيادة اصبح معها معظم رؤوس الاموال في ايدي رجال اربوا على الستين . وليس لهؤلاء من النشاط وحب المغامرة ما للشبان والشابات

وفي هذه المسائل قلّ ما نجد التاريخ عوناً على حلها . ان الحضارة القديمة التي دامت ستة آلاف سنة اخذت تزول . وقد اخذ يحلّ محلها حضارة جديدة تختلف عنها قدر اختلافها عن المسيحية . والتاريخ كما يعلّم في المدارس ليس الا سرداً للنازعات السياسية في الالفي السنة الاخيرة. ولكنا نجد فيه بعض الفائدة حين نكبّ على درس بعض تفصيلاته الدقيقة لانها توضح لنا نفسية رجال السياسة والجماهير في عصرنا. ففهمنا للحرب الاهلية في انكلترا يزداد وضوحاً اذا عرفنا ان الملك شارل الاول كان مصاباً بالعي اكثر من مطالعتنا للبيانات القانونية المملة التي كان يوردها لتأييد اعماله الفاسدة . وهذا هو السبب الذي يحمل رجال العصر ونسائه على العناية بمطالعة سير الرجال الذين كان لهم اثراً في التاريخ بدلاً من مطالعتهم لكتب التاريخ !

كثيراً ما نعتقد ان الكاتبين — ارباب الفن واصحاب الرؤى — هم روّاد التاريخ وبناة

العمران . ولكنني اعتقد ان هذا خطأ . قد يستطيع صاحب الرؤى ان يدل طائفة من الآراء بنيرها وقد يستطيع صاحب «الحلم» ان يحقق حلمهُ بعد حروب وثورات واضطهاد واستشهاد . ان ذلك يهز الارض كما يقول احد الشعراء ولكنهُ لا يحركها

فمن هم زعماء التاريخ وبناة العمران وروّاده ؟ هم الذين اصبحت الحياة واسالب المعيشة بعدهم غير ما كانت عليهِ قبلهم ؟ اني اعتقد ان معظمهم كانوا صناعاً حاذقين ولعلَّ اعظمهم بروميثيوس وترپتوليموس الاول منحنا النار والثاني الزراعة . وفي عصر التاريخ المدوّن استنبطت مستنبطات بلغت الفائدة التي نجني منها ما جعل انتشارها امراً محتوماً . وفي ذلك العهد اكتشفت مكتشفات عقلية عظيمة ولكنها نسيت لانها لم تفض الى نتيجة عملية . فمعادلات المصريين القدماء الجبرية نسيت لانها كانت تشتمل على «ارشادات لمعرفة الاشياء المظلمة» ولكن وسائلهم في مسح الاراضي وهندسة المباني ظلت ترتقي ارتقاء مستمراً الى هذا العصر . واذا وازنا بين باستور وداروين وجدنا هذا الفرق واضحاً . فباحث باستور الاساسية مضمونة الخلود لان كل امة لا تؤمن بها تنزل بها الاوبئة ويتضاعف عدد وفياتها ولكن مع ان آراء داروين مسلم بها عند اكثر العلماء فلا اعرف نكبة ما تنجم عن رفضها او نسيانها . على ان باستور لم يكن مفكراً نابغاً فقط بل كان صانعاً صناعاً . انهُ استنبط اكثر وسائل البكتيريولوجيا المستعملة الآن . فجانب كبير من تفكير باستور تمَّ في يديهِ . واما داروين فعمل نقيض ذلك

الى هؤلاء الصناع اعود في تعليل معظم ما يصيب الامم من ارتفاع وانحطاط . فالامبراطورية البريطانية لم تصبح في حيز الامكان الاَّ باتقان الملاحة البحرية في القرنين السابع عشر والثامن عشر . ولولا ارتقاء السكك الحديد لكان نصف الولايات المتحدة الآن براري وصحارى . ولعل الطيارة تكون اداة في خلق « الدولة العالمية »

ان هذا النظر الى التاريخ لا ينال رضاء عاماً لسببين اولاً — لان الذين يكتبون التاريخ عادة هم رجال تهمهم كثيراً آراؤهم السياسية ومعتقداتهم الدينية فجلُّ ما يكتبونهُ يلوّن بهذه الآراء والمعتقدات ويكون دعاية لها . والثاني — ان المؤرخين لا يعالجون الاَّ الالفاظ . يطالعون كتباً كثيرة ويطلعون على وثائق خطيرة ويكشفون عن مدونات مجهولة . لقد كان بعضهم من الكتاب البلغاء لكيون ومكسول وممسن . فهم يدركون اثر الالفاظ في تحريك الجماهير . ولكن لم يتح لهم ان يكونوا صناعاً فغاب عنهم ان ايدي الانسان اكثر « انسانية » من فمهِ . على اني ارى ان التاريخ انما هو محاولة الانسان لحل مشكلة معيشته العملية . وانجح الذين عالجوه ليسوا الذين فكروا فيها اكثر من غيرهم ، ولا الذين تكلموا عنها اكثر من غيرهم ، بل هم الذين مضوا في عملهم من غير ثرثرة او تبجح

أمير الشعر في العصر القديم[1]

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

الوجه في إفراد شاعر او كاتب من الماضين بالتأليف ، ان تصنع كأنك تُعيده الى الدنيا في كتاب وكان انساناً ، وتُرجعهُ درساً وكان عُمراً ، وترده حكاية وكان عملاً ، وتنقلهُ بزمنه الى زمنك ، وتعرضه بقومه على قومك ، حتى كأنه بعد ان خلقه الله خلقة إنسان يخلقه العقل خلقة تفكير

من اجل ذلك لا بدَّ ان يتقصّى المؤلف في الجمع من آثار المترجَم وأخباره ، وان يحمل في ذلك من الهمة ما يحمله لو هو كان يجري وراء سَلَكيّ من يترجمه لقراءة كتاب أعماله كتابه في يديها .... ولا بدَّ أن يبالغ في التمحيص والمقابلة ، ويدقق في الاستنباط والاستخراج ، ويضيف الى عامة ما وجد من العلم والخبر خاصة ما عنده من الرأي والفكر ، ويعمل على ان ينتج ما انتهى اليه الماضي في أدبه وعلمه بما بلغ اليه الحاضر في فنه وفلسفته . وذلك من عمل العقل المتجدد ابداً والمترادف على هذه الحياة بمذاهبه المختلفة ، يشبه عمل الدهر المتجدد ابداً والمترادف بالليل والنهار على هذه الارض . كل نهار او ليل هو آخر وهو اول ، وكذلك العقول كلها آخر من ناحية وأول من ناحية

والتجديد في الادب انما يكون من طريقتين : فأما واحدة فابداع الاديب الحي في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، وأما الاخرى فإبداع الحي في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الإبداع الاول ايجاد ما لم يوجد ، وفي الثاني اتمام ما لم يتم ، فلا جرم كانت فيهما معاً حقيقة التجديد بكل معانيها ولا تجديد الا من ثمة فلا جديد الا مع القديم

واذا تبينت هذا وحققته ادركت لماذا يتخبط منتحلو الجديد بيننا وأكثرهم يدّعيه سفاهاً ويتقلده زوراً ، وجملة عملهم كوضع الزنجي الدُّرور الابيض (البودره) على وجهه ثم يذهب يدعي انه خرج ابيض من أمه لا من العلبة . . . . . فان منهم من يصنع رسالة في شاعر وهو لا يفهم الشعر ولا يحسن تفسيره ولا يجده في طبعه ، ومنهم من

---

(١) وضع الاديب محمد سالم سمك رسالة قيمة في امرىء القيس « امير الشعر في العصر القديم » تقع في نحو مائتين وخمسين صفحة سلك فيها مسلكا طريفاً وحلاها بمقدمة بليغة للاستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعي . نقدم المؤلف المقتطف بنشر المقدمة وبعض ابحاث الرسالة فيها ضنّاً لرغبتنا

يدرس الكاتب البليغ وقد بلغه الله من البلاغة ومذاهبها واسرارها ، ومنهم من يجدد في تاريخ الادب ولكن بالتكذب عليه والتهجم فيه والذهاب في مذهب الخائفة ، يضرب وجه المقبل حتى يجيء مدبراً ووجه المدبر حتى يعود مقبلاً فاذا لكل طريق جديد . وينبغي أن جديده بالصنعة لا بالطبيعة وبالزور لا بالحق

ألا إنَّ كل من شاء استطاع أن يطب لكل مريض لا يكلفهُ ذلك الاَّ قولاً يقوله وتلفيقاً يدبرهُ ، ولكن أكذلك كل من وصف دواء استطاع أن يشفي به ؟

وبعد فقد قرأت رسالة امرئ القيس التي وضعها الاديب السيد محمد صالح سمك فرأيت كاتبها — مع انهُ ناشئ لا بعد — قد ادرك حقيقة الفن في هذا الوضع من تجديد الادب فاستقام على طريقة غير ملتوية ومضى في المنهج السديد ولم يدع التثبت وإنعام النظر وتقليب الفكر وتحصين الرأي ، ولا تقصر في التحصيل والاطلاع والاستقصاء ، ولا اراهُ قد فاته الاَّ ما لا بد أن يفوت غيره مما ذهب في اهمال الرواة المتقدمين واصبح الكلام فيه من بعدهم رجماً بالغيب وحكماً بالظن

فان امرأ القيس في رأيي انما هو عقل يأتي كبير من العقول المفردة التي خلقت خلقها في هذه اللغة ، فوضع في بيانها اوضاعاً كان هو مبتدعها والسابق إليها ونهج لمن بعده طريقتها في الاحتذاء عليها والزيادة فيها والتوليد منها وتلك هي منقبته التي انفرد بها والتي هي سرُّ خلوده في كل عصر الى دهرنا هذا وإلى ما بقيت اللغة . فهو اصل من الاصول في أبواب من البلاغة كالتشبيه والاستعارة وغيرهما حتى لكأنهُ معنى من معاني اللغة لا رجل من رجالها . وكما يقال في زمننا في امم الصناعة : سيارة فورد وسيارة فيات ، يمكن ان يقال مثل ذلك في بعض انواع البلاغة العربية : استعارة امرئ القيس وتشبيه امرئ القيس

ولكن تحقيق هذا الباب واحصاء ما انفرد به الشاعر وتأريخ كلماته اليانية مما لا يستطيعه باحث وليس لنا فيه الا الوقوف عند ما جاء به النص

ولقد نبهنا في (إعجاز القرآن) الى مثل هذا إذ نعتقد ان اكثر ما جاء في القرآن الكريم كان جديداً في اللغة لم يوضع من قبلهِ ذلك الوضع ولم يجر في استعمال العرب كما اجراهُ ، فهو يصب اللغة صبًّا في اوضاعه لا هلها لا في اوضاع اهلها ، وبذلك يحقق من نحو الف واربعمائة سنة ما لا نظن فلسفة الفن قد بلغت اليه في هذا العصر ، إذ حقيقة الفن على ما نرى ان تكون الاشياء كأنها ناقصة في ذات انفسها ليس في تركيبها الا القوة التي بثت فيها . فاذا تناولها الصَّنيعُ الحاذق الملهم اضاف اليها من تعبيره ما يشعرك أنه خلق فيها الجمال النفسي فكأنها كانت في الخلقة ناقصة حتى اتمها

وهذا المعنى الذي بيناه هو الذي كان يحوم عليه الرواة والعلماء بالشعر قديماً يبحثونه ولا يجدون بيانه وتأويله ، فترى الأصمعي مثلاً يقول في شعر لبيد : إنه طيلسان طبري . اي محكم السدى ولكن لا رونق له . اي فيه القوة وليس فيه الجمال ، اي فيه التركيب وليس فيه الفن

والعقل البياني كما قلنا في غير هذه الكلمة هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ وهو الذي يحقق فيها فن القاظها وصورها ، فهو بذلك امتدادها الزمني وانتقالها التاريخي وتخلقها مع اهلها إنسانية بعد انسانية في زمن بعد زمن ، ولا تجديد ولا تطور إلا في هذا التخلق متى جاء من اهله والجديرين به . وهو العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقي الوحي وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وإدارة الأسلوب على كل ما يتصل به من المعاني والآراء فينقلها من خلقتها وصيغها العالية إلى خلق انسان بعينه هو هذا البقري الذي رزق البيان

وللسبب الذي اومأنا اليه بقي امرؤ القيس كالميزان المنصوب في الشعر العربي يبين به الناقص والوافي . قال الباقلاني في كتابه (الاعجاز) : وقد ترى الادباء أولاً يوازنون بشعره (يريد امرأ القيس) فلاناً وفلاناً ويضمون اشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه (توفي الباقلاني سنة ٤٠٣ للهجرة) وبين شعره في اشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه او سوّوا بينهم وبينه او قربوا موضع تقدمه عليهم وبروزه بين ايديهم . اه

ومعنى كلامه ان امرأ القيس اصل في البلاغة ، قد مات ولا زال يخلق ، وتطورت الدنيا ولا يزال يجيء منها ، وبلغ الشعر العربي غايته ولا تزال عربية عند الغاية

وعرض الباقلاني في كتابه طويلة امرىء القيس [1] فانتقد منها ابياتاً كثيرة ليدل بذلك على ان اجود شعر وأبدعه وأفصحه وما اجمعوا على تقدمه في الصناعة واليان هو قبيل آخر غير نظم القرآن لا يمنع من آفات البشرية ونقصها وعوارها ، فركب في ذلك رأسه ورجليه مما . . . . . فأصاب وأخطأ ، وتعسف وتهدّى ، وأنصف وتحامل . وكل ذلك لمكانة امرئ القيس في ابتكاره اليباني الذي لا يمكن ان يدفع عنهُ . ولما انتقد قوله:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

قال : « فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر في صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هي دائرة في افواه العرب » . ألا ليت شعري هل كان الباقلاني يسمع من افواه العرب في عصر امرئ القيس قبل أن يقول (وبيضة خدر) ؟

على ان الكناية عن الحبيبة (ببيضة الخدر) من أبدع الكلام واحسن ما يؤتى العقل الشعري ولو قالها اليوم شاعر في لندن او باريس بالمعنى الذي اراده امرؤ القيس — لا بما

(١) اي معلقته وهذه القصائد التي تسمى المعلقات لم تكتب وتعلق كما سنبينه في تاريخ آداب العرب

فسرها به الباقلاني — لاستبدعت من قائلها ولاصبحت مع القبلة على كل فم جميل . بل هم يمرون في بعض بيانهم من طريق هذه الكلمة فيكنون عن البيت الذي يتلاقى فيه الحبيبان (بالعُشّ) ، وما يتخذ العش الا للبيضة . انما عنى الشاعر العظيم ان حبيبته في نومتها وترفها ولين ماحولها ، ثم في مسّها وحرارة الشباب فيها ، ثم في رقتها وصفاء لونها وبريقها ، ثم في قيام اهلها وذويها عليها ولزومهم اياها ، ثم في حذرهم وسهرهم ، ثم في انصرافهم بجملة الحياة الى شأنها وبجملة القوة الى حياطتها والحماية عنها ، هي في كل ذلك منهم ومن نفسها كبيضة الجارح في عشه ، الا انها بيضة خدر ، ولذلك قال بعد هذا البيت :

تجاوزت احراساً اليها ومشرعاً علي حراصاً لو يسرون مقتلي

فتلك بعض معاني الكلمة وهي كما ترى ، وكذلك ينبغي ان يفسر البيان .. ..

رياضيو العرب القدماء مباحث تاريخية علمية

ابو الوفاء البوزجاني الحاسب

مع ان الغربيين قد ضربوا بسهم وافر في البحث عن مآثر علماء العرب في مختلف الفروع فان شخصيات كثيرة لعظماتنا السالفين لا تزال غامضة اذ لم يكن لها نصيب يذكر من البحث والتحليل ، والمصادر التي بين ايدينا عن تاريخ الرياضيات لا تفيض في البحث بل تكتب باختصار لا يفي بالمراد ولا يطفي غلة المنقب . والملاحظ ان المتقنين كما تقدموا في البحث عن مآثر العرب تجلى فضل العرب في السبق الى اكتشاف كثير من النظريات والابحاث الرياضية . فهم (اي العرب) سبقوا فرما (Fermat) في اكتشاف النظرية المسماة باسمه[1] كما انهم سبقوا ديكارت وتوماس باكر (Descartes and Thomas Baker) في حل بعض معادلات الدرجة الثالثة[2] . والغريب ان بعض مؤلفي الفرنجة لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها او نقل عنها كأنهُ يدّعيها لنفسه ، فليوناردو (Leonardo of Pisa) كتب في الجبر والهندسة وقد ظهر حديثاً انهُ كان يعتمد كثيراً على التآليف العربية

(١) مجلة الكلية الاميركية : عدد مايو سنة ١٩٢٨ ص ٢٦٩ اما النظرية فهي : مجموع عددين مكعبين لا يكون عدداً مكعباً (٢) كاجوري — تاريخ الرياضيات — سنة ١٩٢٤ ، ص ١٠٧

من ذلك ما اثبته كارپنسكي (Karpinski) بان ليوناردو اخذ كثيراً عن كتاب جبر ابي كامل [١] كما ان كتابات بعض علماء انكلترا في اوائل القرن الرابع عشر في المثلثات كانت مأخوذة عن الكتب العربية [٢]. كذلك حنا مللر (John Muller) المعروف بريجيومونتانوس (Regiomantanus) وهو اول من ادخل المثلثات (بصورة منظمة) الى الغرب في منتصف القرن الخامس عشر، فقد الف كتباً كثيرة في الرياضيات اهمها كتاب المثلثات (De Triangulis) وهذا الكتاب ينقسم الى خمسة فصول كبيرة اربعة منها تبحث في المثلثات المستوية والباقي في الكروية. ولئن ادّعى بعضهم ان كل محتويات هذا الكتاب هي من مستنبطاته فهذا غير صحيح لأن الأصول التي اتبعها ريجيومونتانوس في الفصل الخامس الذي يبحث في المثلثات الكروية هي بعينها الأصول التي اتبعها العرب في الموضوع ذاته في القرن الرابع للهجرة [٣]. وهناك امور اخرى في علم المثلثات كانت منسوبة الى ريجيومونتانوس ظهر حديثاً انها من وضع العرب وانهم سبقوه اليها [٤]

* * *

ومن الذين كان لهم فضل كبير في تقدم العلوم الرياضية محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس ابو الوفاء البوزجاني الحاسب، ولد في بوزجان وهي بليدة واقعة بين هراة ونيسابور [٥] سنة ٣٢٨ هـ، ٩٤٠ م. وقد « قرأ على عمه المعروف بابي عمرو المغازلي وخاله المعروف بابي عبدالله محمد ابن عنبة، ما كان من العدديات والحسابيات، وقرأ ابو عمر الهندسة على ابي يحيى الماوردي وابي العلاء بن كرنيب » [٦] ولما بلغ من العمر العشرين انتقل الى بغداد حيث انجز اكثر مؤلفاته

يقول كتاب قاموس الاعلام ان ابا الوفاء توفي سنة ٣٧٦ هـ في بوزجان ويقول كتاب « آثار باقية » انهُ توفي سنة ٣٨٨ هـ في بغداد ويعتمد في ذلك على ابن القفطي حيث يقول في كتابه (كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء) « ولم يزل (اي ابو الوفاء) مقيماً في بغداد الى ان توفي بها في ثالث رجب سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة » [٧]. فلدينا روايتان عن وفاة ابي الوفاء تؤيد اكثر المصادر التي اعتمدتُ عليها الثانية منهما. على ان كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان يقول بالرواية الأولى ولكنهُ لم يذكر محل الوفاة.

(١) كاجوري — تاريخ الرياضيات — سنة ١٩٢٤، ص ١٢١
(٢) « « « « « « ، ص ١٢٨
(٣) صالح زكي — آثار باقية — مجلد اول « « ، ص ١٥٤
(٤) كاجوري — تاريخ الرياضيات — ، ص ١٣٢ (٥) معجم البلدان — ج ٤، ص ٣٠٢
(٦) ابن النديم — الفهرست — طبعة سنة ١٣٤٨، ص ٣٩٤
(٧) ابن القفطي — كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء — طبعة سنة ١٣٢٦، ص ١٨٩

وكتاب الفهرست لابن النديم لم يذكر شيئاً بهذا الصدد ، وكتاب الاعلام للأستاذ خير الدين الزركلي يقول بان ابا الوفاء توفي سنة ٣٧٦ هـ في بغداد ولكنهُ لم يذكر المصدر الذي استقى منهُ ذلك . أما المصادر الانكليزية والأميركية فتأخذ بالرواية الثانية ، وهنا نترك هذا البحث لصعوبة الجزم في صحة احدى الراويتين

كان ابو الوفاء احد الائمة المعدودين في علمي الفلك والرياضيات وله فيهما مؤلفات قيمة سنذكر بعضها ونبحث في اهمها . وقد اعترف له كثير من علماء الغرب بأنهُ من اشهر الذين برعوا في الهندسة « وله فيه (اي في علم الهندسة) استخراجات غريبة لم يُسبق اليها وكذلك في استخراج الاوتار تصنيف جيد نافع » [1] . وابو الوفاء قضى حياته في بغداد في التأليف والرصد والتدريس ، وقد انتخب ليكون احد اعضاء المرصد الذي انشأه شرف الدولة في سرايه سنة ٣٧٧هـ[2]. وكان ملمّاً بمبادىء المثلثات التي احبها فتكلف عليها وله فيها اكتشافات وأبحاث اعترف له بها معاصروه وعلماء الفرنجة ، فهو اول من ادخل الماس في عداد النسب المثلثية [3] ، وقد قال ابو الريحان البيروني في هذا الصدد :

« ان السبق في استنباط هذا الشكل (شكل الظل — او ما نسميه الماس) لأبي الوفاء بلا تنازع من غيره [4] » ويقال ايضاً انه اول من استعمل الماسات والقواطع ونظائرها في قياس المثلثات والزوايا ، وقال احد علماء الافرنج ان ابا الوفاء ادخل كل النسب المثلثية وعمل الجداول الرياضية للماس ونظيره [5] . وهو الذي اخترع طريقة لعمل الجداول الرياضية للجيب وتمكن من ايجاد قيمة جيب زاوية نصف درجة مقرباً الى ثمة ارقام عشرية صحيحة [6] . وله مقالة عن الرسم اسمها Geometric Construction [7] لم نعثر على اسمها العربي الاصلي ومعناه الترتيب او البناء الهندسي

ومن هنا نستدل على ان العرب وهم اول من عرف اصول الرسم على سطح الكرة لم يتركوا هذا الباب بل برعوا فيه وساروا به الى الأمام شوطاً بعيداً

وقد اختلف علماء الغرب في نسبة اكتشاف بعض انواع الخلل في حركة القمر

---

(١) ابن خلكان — وفيات الاعيان — ج ٢ ، ص ٨١

(٢) يؤيد هذا القول كتاب آثار باقية مجلد اول — ١٦٢ . وكذلك كاجوري — تاريخ الرياضيات — ص ١٠٥ (٣) دائرة المعارف البريطانية — مادة مثلثات «Trigonometry»

(٤) صاغ زكي — آثار باقية — مجلد اول ، ص ٥٤

(٥) بول — مختصر تاريخ الرياضيات — سنة ١٨٨١ ، ص ١٥٥

(٦) كاجوري - تاريخ الرياضيات - ص ١٠٦

(٧) « « ص ١٠٦

الى تيخوبراهي او الى ابي الوفاء [١] ولكن ظهر حديثاً ان اكتشاف هذا الحلل يرجع الى ابي الوفاء فقط [٢] . وأبو الوفاء لم يترك معادلات الدرجة الرابعة اذ حل هندسيًّا المعادلتين : س = أ ، س + أ س = ب [٣] . وألف ابو الوفاء كتاباً في الحساب في النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد وفي هذا الكتاب لم يستعمل الارقام الهندية [٤] ويرجح انه كان يكتب الارقام بالحروف ، فإهمال استعمال هذه الارقام لا نراه عند غيره من علماء العرب الا ما ندر كالكرخي . وقد علّل كانتور (Cantor) ذلك تعليلاً حسناً بقوله انه قد يكون وجد في ذلك الزمن مذهبان مختلفان احدهما يتبع الطريقة الهندية والآخر الطريقة اليونانية في كتابة الأعداد وقد يكون المذكوران من الذين اتبعوا الطريقة اليونانية [٥] . وعلى كلٍّ لم يتمكن العلماء بعد من اكتشاف السبب الذي حدا بابي الوفاء والكرخي الى اهمال استعمال الارقام الهندية

﴿ بعض كتب ابي الوفاء ﴾

كتاب ما يحتاج اليه العمال والكتاب من صناعة الحساب : اشتهر هذا الكتاب باسم كتاب « المنازل في الحساب . » [٦] وهو سبعة منازل وكل منزلة سبعة ابواب المنزلة الاولى في النسبة ، المنزلة الثانية في الضرب والقسمة ، المنزلة الثالثة في اعمال المساحات ، المنزلة الرابعة في اعمال الخراج ، المنزلة الخامسة في اعمال المقاسات ، المنزلة السادسة في الصروف ، المنزلة السابعة في معاملات التجار [٧] . وقد كان هذا الكتاب أساساً لمعاملات كثير من العاملين في عصر مؤلفه وفي العصور التالية . وله ايضاً كتاب تفسير ديوفنطس (Diophantus) في الجبر [٨] ، وله ايضاً كتاب تفسير كتاب ارخس في الجبر . يقول صاحب كتاب « آثار باقية » ما معناه « ان هنالك اختلافاً في معرفة الكتاب الذي وضع له التفسير المذكور . ففي بعض نسخ فهرست العلوم كتب اسم (ارخس) على صورة (ابو حسن) [٩] بينما ورد في بعض نسخ تاريخ الحكماء (ابو يحيى) او (ابن يحيى) وزيادة على ذلك فان الفهرست يذكر ما يلي عند البحث عن ارخس « وله أثر اشتهر باسم كتاب التعريفات » وهذا الكتاب ترجمه وصححه ابو الوفاء الذي شرحه ايضاً ببعض براهين هندسية ، فالنظر

(١) ذسيك — علم المثلثة — ص ١٣٧ (٢) كاجوري — تاريخ الرياضيات — ص ١٠٥
(٣) كاجوري تاريخ الرياضيات ص ١٠٧ (٤) كاجوري — تاريخ الرياضيات — الطبعة القديمة ١٠٧
(٥) كاجوري — تاريخ الرياضيات — الطبعة القديمة ، ص ١٠٧ (٦) صالح زكي — آثار باقية — مجلد اول ، ص ١٦٣ (٧) ابن النديم — الفهرست — ، ص ٣٩٤ (٨) كاجوري — تاريخ الرياضيات ، ص ١٠٥ (٩) ابن ابي الفهرست — فهرست العلوم — خلط بين الاسمين (ارخس) و(ابو حسن) لتشابه رسمهما في الكتابة

الى هذا القول يجب ان يكون تفسير ابي الوفاء المذكور هو بعينه تفسير كتاب (ابرخس ؟. اما ابو يحيى الذي ذكره تاريخ الحكماء بدلاً من (ابرخس) فقد يتبادر إلى الذهن انهُ (ابو يحيى الماوردي) الذي علّم معلم ابي الوفاء في الحساب والهندسة ولكنه يصعب مع ذلك البتّ في الامر[١] » . اما كتاب الفهرست لابن النديم فانه يقول تحت اسم ابرخس « وله من الكتب كتاب صناعة الجبر ويعرف بالحدود نقل هذا الكتاب واصلحهُ ابوالوفاء محمد بن محمد الحاسب ، وله ايضاً شرحه ، وعلله بالبراهين الهندسية »[٢]

وله ايضاً كتاب فيما يحتاج اليهِ الصناع من اعمال الهندسة : هذا الكتاب الفهُ ابوالوفاء بين ٣٨٠ هـ و ٣٨٨ هـ بأمر من بهاء الدولة ليتداوله ارباب الصناعة ولذلك فهو خلو من البراهين الرياضية . وهو محفوظ الآن في الآستانة في مكتبة جامع ايا صوفيا[٣] . ولأبي الوفاء مؤلفات اخرى بعضها مذكور في كتاب الفهرست لابن النديم ككتاب تفسير كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة[٤]، وكتاب المدخل الارثماطيقي ، وكتاب فيما ينبغي ان يحفظ قبل كتاب الارثماطيقي ، وكتاب البراهين على القضايا التي استعملها ديوفنطس في كتابه وعلى ما استعمله هو في التفسير ، وكتاب معرفة الدائرة من الفلك ، وكتاب الكامل وهو ثلاث مقالات : المقالة الاولى في الأمور التي ينبغي ان تعلم قبل حركات الكواكب المقالة الثانية في حركات الكواكب المقالة الثالثة في الامور التي تعرض لحركات الكواكب ، وكتاب استخراج ضلع المكعب بمال مال ، وله ايضاً كتب اخرى مذكورة في كتاب ابن القفطي و« كتاب اخبار العلماء باخبار الحكماء » وكتاب « آثار باقية » ككتاب العمل بالجدول الشيخي ، وكتاب استخراج الاوتار ، وكتاب الزيج الشامل وكتاب المجسطي وهذا الاخير من اشهر آثاره ويوجد منهُ نسخة ناقصة في مكتبة باريس الوطنية[٥] والغالب أنهُ كتب بعد سنة ٣٧٧ هـ[٦]

نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

---

(١) صالح زكي — آثار باقية — مجلد اول — ص ١٦٣ — ١٦٤

(٢) ابن النديم — الفهرست — ص ٣٧٦

(٣) صالح زكي — آثار باقية — مجلد اول ص ١٦٤

(٤) سأتي البعض عن معنى الكلمتين (الجبر والمقابلة) وليبان ذلك اقول : عني بكلمة « جبر » نقل الحدود السالبة الموجودة في احد طرفي المعادلة الى الطرف الآخر ، وعني بكلمة « مقابلة » جمع الحدود المتشابهة . مثال ذلك : س٢ — ٤ س + ٣ س + ١٢ بواسطة الجبر تصبح المعادلة س٢ = ٤ س + ٣ س + ١٢ وبواسطة المقابلة تصبح المعادلة الاخيرة : س٢ = ٧ س + ١٢

(٥) صالح زكي — آثار باقية — مجلد اول — ص ١٦٤

(٦) » » » ص ١٦٥

التجارة عند العرب ومجاوريهم

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
صاحب مجلة الآثار ومؤلف تاريخ الامم الشرقية القديم

تجارة العرب في الجاهلية

ان موقع بلاد اليمن المتوسط بين الامم الاخرى حمل سكانها على التجارة منها واليها فاتصلوا بالهند واستجلبوا حاصلات بلادها ومصنوعاتها مما كان يروج عند الامم المصرية والفينيقية والبابلية والاشورية والكلدانية وغيرها

فنقلوا تلك الحاصلات والمصنوعات بحراً وبرّاً فسرت مرافقهم ومحطاتهم التجارية وكان من اهمها جزيرة سقطرة لحسن موقعها المتوسط . وعدن وحصن غراب (قانا) وسمحط

وكانت لقوافلهم مراحل ومخافر والعرب في طريقها كلما وصلت الى قبيلة حفرتها باجور خاصة الى ان تصل بامان الى محطاتها الاخيرة ولكنها كانت تقاسي من ذلك الامرّين

وفي اسفار التوراة ذكر القوافل الاسماعيلية التي كانت تنقل الحاصلات والبضائع الى مصر . واحدى تلك القوافل هي التي اشترت يوسف الصديق من اخوته ونقلته الى البلاد المصرية فاشتهر فيها بعفته ودرايته وحكمته . وفي كتب بليني وبطليوس وغيرهما تفاصيل لهذه التجارة ومسافاتها ومحطاتها وشؤونها الاخرى . ومن راجع سفر حزقيال في التوراة (ص ٢٧ ع ٢١ — ٢٣) وجد اسم العرب ورؤساء قيدار وتجار عدن وغيرهم

وعقدت معاهدة تجارية بين العرب والرومان وفقاً لقانون سنّهُ تاودوسيوس الكبير رتّب فيه شؤون الوفود الذين كانوا يرحلون من الاسكندرية الى بلاد حمير والحبشة ونظامهم التجاري . وكان العرب في القرن السابع قبل الميلاد صلة للتجارة بين الشرق والغرب يتناقلونها بينهما ويربحون اموالاً طائلة . وقد قدر بعضهم ثمن البضائع التي كان ينقلها تجار العرب على قوافلهم في كل سنة بنحو مائة وسبعين الف ليرة استرلينية من نقودنا الحاضرة . وما كان يدفعه التجار سنويًّا اجرة قوافل قدر بنحو ثلاثة وثلاثين الف ليرة

ومعظم ما كان اليمنيون يتجرون به الذهب والحجارة الكريمة والقصدير والعاج وخشب الصندل والافاويه والتوابل والقطن من الهند . وريش النعام والعاج والذهب والسمور والاطياب والابنوس من شواطىء افريقية الشرقية . والالبان والبخور والمرّ واللادن وبعض الحجارة الكريمة من اليمن . والعود والند من سقطرة . واللؤلؤ من البحرين

فصار اتصال تام بين افريقية والشرق الاقصى والبلاد اليمنية وشاعت التجارة بينهم

كما شاعت بين الفينيقيين والبابليين ونحوهما. وفضل اليمنيون الطرق البرية على البحرية لاخطار الانواء في هذه كما فضلوا احياناً الطرق البحرية لما يتجشمونه من غزوات القبائل في طريقهم

وكان السبئيون من العرب يحملون مصنوعات صور وحاصلات الشام إلى بلادهم كالحنطة والخمر والزيت وصناعات الفينيقيين كالزجاج والارجوان . ويأخذون من اسية الشرقية المنسوجات والآنية الحديدية والصفرية وسبائك الفضة وأشباهها. وبقيت تجارة اليمن متسعة النطاق رائجة الاسواق يشتغل بها من قبائلهم القديمة المعينيون والحباشيون والسبئيون والتنابيون والقدريون . الى ان امتدت سلطة الرومان على البحار ونزعت التجارة من ايدي الامم الاخرى فضعف امر العرب . وكانت مملكة زنجبار تابعة منذ القرن الاول للميلاد للمملكة العربية الجنوبية العربية التي كانت قد مدت سلطتها على شرق افريقية كله وكان من ملوكها عفير وسبأ وحمير فبعض اولاد هؤلاء جلسوا على عرش زنجبار وحكموا في تلك البلاد

وكان ملوك قحطان سنة ١٨٠٠ ق. م. غزوا جنوبي جزيرة العرب وحكموا فيها

وذهبت طائفة منهم الى حضرموت وطائفة اسست مدينة سبأ الشهيرة بحضارتها وعمرانها وموقعها وهؤلاء هم بنو يعرب. وحكم بعضهم المملكة المعينية ومن ملوك عمّان ومن سكانها عمروا السلطنة الزنجبارية فتاريخ زنجبار مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ ملوك سبأ وعمّان. وكان عرب سبأ يحتكرون التجارة في الشاطىء الشرقي الافريقي وهم اشبه بالفينيقيين في البحر الابيض. فالاول ملوك الشواطىء العربية والبحار الشرقية الهندية والآخرون ملوك شواطىء البحر الابيض المتوسط والبحار الغربية الاوربية . اما العرب الذين حكموا هذه البلاد فكانوا تجارة ماهرين وكان بطء سير السفن واستدلالها لهبوب الرياح لايخفف من نشاطهم وسعيهم في بحر البحار فكان الاسطول التجاري يؤلف من نحو اربعين سفينة تحمل اكثر من اربعة آلاف نسمة. وكان ثمر زنجبار هو المركز المتوسط في اسفارهم التجارية فيستريحون فيه زهاء سبعة اسابيع من رحلتهم ويعرّض بعض تجارتهم من البلح والتوابل واللبن والصحناة (السمك المجفف) والمخارق العربية (البسط او السجاد) فيستبدلونها بالحبوب والاخشاب وبعض مواد البناء. فمتى اتمّوا اسابيعهم السبعة غادروها في اذار الى شبه جزيرة العرب . وذكر بطليوس الجغرافي الشهير ثمر افريقية وما كان معلوماً منه لعهده واكتشف اثراً نفيساً اسمه « المرشد للمحيط الهندي » ولعله لمؤلف يوناني عاش على ضفاف البحر الاحمر . ويقال انه كتب سنة ٦٠ للميلاد . وفيه وصف التجارة في افريقية مع العرب ولا سيما مع الزنجباريين

وكان الانباط في وادي موسى يتخزون بضائعهم بترة او سالع التي اشتهرت بموقعها التجاري فكانت موقفاً للقوافل ومحطاً لرحالها . فحفروها من غزوات البدو وعززوها

وبسطوا جناح الامن في تلك البقاع فأزهرت التجارة اينما أزهار وافقت شهرتهم بها

وامتدت تجارة العرب في اياها الاولى الى جهات الهند والصين وبلاد فارس رما اليها برّاً وبحراً وجلبوا حاصلات تلك البلاد ناقلين اليها ما لديهم من المواد التجارية . حتى امتزجوا بالامم المختلفة واحتكوا بهم فاقتبسوا من مدنيتهم ما اضافوه الى عمرانهم واجتماعهم وحرصوا على ما يفيدهم ونبذوا ما يخالفهم فلذلك بقيت مدنيتهم وطنية ثم تغيّرت بتغيّر الازمان وتأثير الفاتحين مما هو معروف عند جميع الامم من التقلبات الاجتماعية والتغيرات المدنية وانتشر المذهب الاسلامي في كثير من البلدان التي خالطوا سكانها بعد ذلك

وكانت تقام للعرب اسواق تجارية وادبية مشهورة في التاريخ اعظمها (سوق عكاظ) في بلاد العرب . فكانت اشبه بالمعارض الصناعية والزراعية للتجارة عندنا وكانت لها اخوات في كثير من العواصم والمدن تهافت عليها الناس للبيع والشراء والمباحثة فجمعت بين المعارض ومنتديات الادب او المجامع العلمية عندنا . ومن ذلك اسواق العراق قال التغلبي

وفي كل اسواق العراق اتاوة[1] وفي كل ما باع امرؤ مكس[2] درهم

التجارة في صدر الاسلام

اشتهرت قبيلة النبي (ص) المعروفة باسم قريش بتجارتها . وكان نبي المسلمين (ص) تاجراً قبل اظهار دعوته . وقد دخل دمشق تاجراً وله اخبار فيها مشهورة

ومن الاقوال المأثورة في التجارة قول القرآن الشريف : « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاّ ان تكون تجارة عن تراضٍ منكم » و« أحل الله البيع وحرم الربا » وعن مجاهد في قول القرآن الشريف : « يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم » يعني التجارة في الاسواق . ومن احاديث النبي (ص) قوله : « ما امسى تاجر صدوق وما افقر بيت فيه خل » و« اطيب ما يأكل الرجل من كسبه » والكسب في القرآن الشريف التجارة — و« التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » و« تسعة اعشار الرزق في التجارة » و« ان اطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا أؤتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذمّوا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا » و« خير تجاركم الخزّ وخير صبيانكم الخرز » اي الخياطة وفي الحديث عن قيس بن ابي غرزة : « كنا نسمى (السماسرة) فمرّ بنا النبي (ص) باحسن منه فقال (يامعشر التجار) »

---

(١) استعمل الشاعر (الاتاوة) لما يؤخذ رسماً على الاسواق كما تؤخذ الاتاوة على الارض الخراجية

(٢) (المكس) دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في اسواق الجاهلية . وفي المصباح : قد غلب (المكس) في ما يأخذه اعوان السلطان عند البيع والشراء . وفي الحديث « لا يدخل صاحب مكس الجنة »

وقال الامام عمر ابن الخطاب (رضه) : « لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهمَّ ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » — وقال ايضاً : « ما مِيتة بعد القتل في سبيل الله احبُّ اليَّ من ان اموت بين شعبتي رحلي اضرب في ارض اللهوابتغي من فضل الله » . وقال الامام علي بن ابي طالب : « لم يذهب من مالك ما وعظك[1] » و « خير المال ما اغناك وخير منهُ ما كفاك » . و « تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الاَّ من اخذ الحق واعطاه » . وكان الامام علي هذا يدور في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا . لا تردّوا قليل الربح فتحرموا كثيرهُ »

وقيل لعبد الرحمن بن عوف الصحابي : « ما سبب يسارك قال ثلاث (١) ما رددت ربحاً قط (٢) ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعهُ (٣) ولا بت بنسيئة »

وكان العرب يتجرون مع الهند والصين لقربهم منهما كما اتجروا مع البعدين عنهم . وفي زمن الخلفاء الراشدين سافر ابن عبد الوهاب وكثيرون غيره من البصرة الى بلاد الصين وسنة ٢٣ هـ (٦٤٣ م) كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص بعد فتحه لمصر : « ان الغلاء قد وقع بالمدينة وان الناس في جهد من الغلاء » . فبعث عمرو بجمال موقرة حنطة اولها بالاسكندرية وآخرها بالمدينة . قال : فكتب عُمَر الى عمرو : بأن يحفر خليجاً يحمل فيه الغلال الى القلزم (البحر الاحمر) ومن القلزم الى المدينة في البحر المالح. فحفر عمرو الخليج المعروف (بخليج امير المؤمنين) وكانت المراكب تحمل الغلال من الاسكندرية الى القلزم في الخليج ومن القلزم الى المدينة في البحر المالح

قال ابن علي الدمشقي في كتابه (الاشارة الى محاسن التجارة [2]) والشيء بالشيء يذكر : « والتجار المجربون يقولون اشترِ غالي الرخيص ولا تشترِ رخيص الغالي . . . . واعلم ان البضائع صاحبها معرض لتعلل القلب والخوف من اضاعتها سيما اذا كانت غالية او مما يفسد بسرعة قال الله تعالى : « وتجارة تخشون كسادها » وروي عن النبي (ص) انهُ قال : « نزعت البركة من الشيء الغالي والشيء الرديء » . فالشيء الغالي قد اخذ الفائدة فيه غيرك ونزعت منهُ البركة فهو الى الخسران اقرب منهُ الى الربح » — الى ان قال : وأصل التجارة في البيع والشراء ان يشتري من زاهد او مضطر الى اخذ الثمن ويبيع من راغب او محتاج الى الشراء . لان ذلك من اوكد الاسباب الى مكان الاستصلاح في المشترى وتوفر الربح »

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة ومن والاهم اصحاب اعمال تجارية ونحوها فكان ابو بكر الصديق بزّازاً ومثلهُ كل من عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف . وكان عمر ابن

(١) وتقول العامة في سورية ولبنان: «الخطرة اللي ما بتخسر ما بتمر» و«الانسان ما بيتمثل الا من كيسه»
(٢) سيأتي وصف هذا الكتاب في آخر المقالة وهو في ادب التجارة وشؤونها وطرقها واخبارها

الخطاب دلالاً او تاجراً وابو سفيان بن حرب بيّاعاً . وعبدالله بن جدعان نخّاساً . وثابت بن ترة صيرفيًّا بحران . وكثير غيرهم كانوا كذلك

ووجد سند دين لعبد المطلب عم النبي (ص) قد دوّن على رق غزالٍ وهذا نصهُ : « باسمك اللهمّ ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من اهل مكة على فلان الحميري من اهل زبد صنعاء عليه الف درهم فضة كيلاً بالحديد . ومتى دعاه بها اجابهُ . شهدالله بذلك والملكان »

وقال ابن الاثير في اسد الغابة (٥:٢١٦) : « كان (ابوسفيان) تاجراً يجهّز التجار بماله واموال قريش الى الشام وغيرها من ارض العجم وكان يخرج احياناً بنفسه وكانت اليه راية الرؤساء التي تسمّى العقاب . واذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس » ونسبت اقوال في ذم التجارة ومدحها للنبي (ص) والخلفاء والشعراء جمعها المقدسي في كتابه (اللطائف)

وضرب اليمنيون نقوداً نقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم والمدن التي ضربت فيها وذلك بالحرف المسند ووشوها بالرموز السياسية والاجتماعية مثل رمز الحراثة بالبومة او النصر او الثور . ورمز الدين بالهلال . وحوطها كتابات بالمسند . ومن هذه النقود مجاميع في المتاحف اهمها في (متحف فينا) الادبي . وكانت نقود لتدمر في زمن وهب اللات (اثينودورس) ابن زنوبيه الذي خلع سلطة الرومان وتولى حكم تدمر سنة ٢٧١ م فأزال اسم اورليان الامبراطور من النقود التدمرية ، وسكها باسمه ولقبه واضاً رسمه عليها. وكانت نقود والدته زنوبيه مصورة برسمها وحولهُ اسمها بالاحرف اليونانية (سبتيا زنوبيا) وعلى الوجه الآخر رسم اشبه برسم المشتري

وكان على النقود النبطية صورة غزال وكتابة عبرانية اولاً تدل على انهم اخذوها عن العبرانيين . وأول من ضرب النقود من الانباط الملك الحارث الثالث الذي كان حاكماً في دمشق والبقاع متسلطاً عليها سنة ٨٥ ق . م اقتبس ذلك من اليونان في اثناء تسلطه على دمشق . وقد وجد دينار من سكّه عليه صورة جمل وشجرة عطرية ورمز اتفاق الحارث وسكاوروس والي البقاع . وسكت نقود باسماء النساء اللواتي شاركن الملوك بالحكم . وصوّر كثير من هذه النقود وعلى بعضها النسر وغيره وكتاباتها نبطية الحروف . وكانت تجارة الممالك العربية من المرّ واللبان مما تنتجه شبه جزيرتهم ثم العاج والابنوس والصدف والودع والذهب والرقيق الاسود (الخاسة) . وكان الذين يتجرون معهم من اغنى الممالك المتحضرة قصر وسورية وبابل واشور والفرس واليونان والرومان كانت أسواق ملوكاً وبلاد العرب وكانوا ينقلون بضائعهم مشحونة في مراكبهم الراسية بمدينة سيراف على الخليج العجمي وفي غيرها واول ميناء يصلون اليه مدينة مسقط في خليج عمان فيأخذون منها حاجتهم من الزاد

والماء وما يريدون نقله من الامتعة ويسيرون ماخرين ابحار الى الهند فيأخذون منها الماء والزاد ويتجرون مع سكانها ثم يستأنفون مسيرهم جنوبي سيلان (سرنديب) حتى يصلوا الى جزائر نيقوبار ومن هناك الى مضيق ملقة (ملقا) . ومن هنا يحولون سفرهم تلقاء الشاطىء الجنوبي من شبه جزيرة ملقة سائرين شمالاً حتى يصلوا الى خليج سيام ومنه الى جزيرة كندور ثم الى مدينة كنفو الصينية وهي مرفأ هنكشوفو القديم

هذا بعض ما ذكره الرحالة والملاحون في كتب مخطوطة منها في (دار الكتب السورية بدمشق) للملاحة لابن ماجد بالعربية وغيره بلغات اجنبية سيأتي ذكر بعضها

وروى غوسطاف لوبون الفرنسي ما ملخصه : أن للعرب ثلاث طرق للتجارة طريق برية وطريقان بحريتان فالبرية كانت تربط مراكز الشرق الكبرى كسمرقند ودمشق وبغداد حتى بلاد فارس وكشير مما يجاورها . والطريقان البحريتان من الهند الى مرافىء خليج فارس ومنها الى شبه جزيرة العرب حتى البحر الاحمر . والبضائع تصل الى بغداد فتحملها القوافل موزعة اياها على البلدان . وكانت عدن محل تبادل حاصلات الصين والهند ومصنوعاتها بحاصلات الحبشة ومصر ومصنوعاتها . فتنقل الى قناة السويس ومنها الى الاسكندرية والى سواحل سورية وكان تجار اوربة من جنوى وغيرها ينزلون في الاسكندرية لابتياع البضائع الشرقية وحملها الى اوربة فكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب فاثرى الخلفاء بواسطتها وكانت علاقة العرب مع الصين قبل الاسلام ثم اشتهرت بعد الخلافة الاسلامية وكانت طرقهم برية وبحرية . فالبحرية من سواحل شبه جزيرة العرب او مرافىء خليج فارس الى جنوبي الصين

ولقد حمل تجار العرب من بلادهم الحجارة الكريمة والعقود النفيسة والاقمشة الصوفية والاجواخ والحيول واستبدلوها بالشاي والاقمشة الصينية والخزف ونحو ذلك . وعقدت بينهم معاهدات تجارية ووصل العرب الى شمالي اوربة بتجاراتهم كما دلت النقود التي تركوها في تلك الاصقاع الشاسعة والخطوط الكوفية ونحوها . وكانت البضائع التي يتناولها العرب من شمالي اوربة كثيرة منها المعدن ولاسيما القصدير والفرو والعنبر . ويأخذ التركيون مقابلها من العرب انواع الاقمشة والسجاد الشرقي النفيس والاباريق المحلاة بروائع النقوش والحلى النفيسة . وعلى الجملة فان اكثر الامم التي كانت بين العرب ولاسيما اليهود اشتهرت بالتجارة والصرافة وكانت القوافل التجارية كثيرة تدفع لقطاع الطرق الخفارة لتسلم من غزوهم ومتى وصلت سالمة تقيم لها البلاد الافراح

وكذلك قبائل الترك القديمة كانت صلة تجارية بين الشرقين الاوسط والادنى تحمل حرير الصين وغيره من حاصلاتها مما ادى الى علاقات اقتصادية بين خاقان الترك وشاه الفرس وامبراطور الروم فكانت لهم سفارات للمفاوضات بالتجارة ومعاهدات ومنافسات

الى صاحب البؤساء

لمحمود ابو الوفا

يا صاحب البؤساء جاءك شاعر يشكو من الزمن اللئيم الجاني

لم يكفه أني على عكازة امشي بخط العسر في طرقاتي

ثم اثنتي يزجي عليّ مصائباً شتى كقطعان الدُّجى جهماتِ

في ليلهنَّ فقدت آمالي الأُلى صاحبتني منذ لاح فجر حياتي

فغدوت في الدنيا ولا ادري أمِنْ أحيائها أنا ام من الاموات

***

خففت يا (هوجو) عليك فلم أُطل وبعثتها فصلين من مأساتي

ولو أنني أعطيت بؤسي حقه وصفاً لصوّرَ مبرض النكبات

عجائب ارز لبنان

ليس بين قراء العربية من لا يعرف شيئاً عن ارز لبنان . ولكن هذه المعرفة قد لا تتجاوز عند السواد الاعظم حد القول بأنهُ هو الارز الذي اخذ منه سليمان اخشاب هيكله المشهور . وانهُ غابة موجودة في لبنان. فمن الغريب ان هذه القيمة التاريخية العظيمة التي للارز لم تدفع سوى عدد قليل من الناس لزيارته ولم تكد تحمل احداً من زوار تلك الغابة الساحرة الى درس حالتها او تحقيق شيء عنها

اصبح الناس بعد ما امتدت الطريق الى الارز في هذه السنة وبعض السنة الماضية يقصدون غابة الارز لمشاهدة اشجارها زرافات ووحداناً . ولكن كل ما يفعلونه هناك هو انهم يصعدون الى الرابية القائمة عليها الغابة ويشاهدون عرضاً بعض الاشجار الضخمة ويكتفي من يتوغل منهم في الغابة باصطياد عصفور ببندقية صغيرة او بمشاهدة اللوحة التي وضعت على احدى الاشجار تذكاراً لزيارة لامرتين شاعر فرنسا المشهور وابنته جوليا للارز منذ مائة سنة او برؤية شجرة « الجيش » التي سنتكلم عنها فيما يلي

اما التأمل فيما تحتويه الغابة ذاتها من عجائب هذا الشجر وغرائب نموه فلم ار بين جميع الذين قابلتهم في الارز من يهتم له وقد حاولت كثيراً ان اعثر على شيء من المعلومات المكتوبة لاستعين بها مدة اقامتي القصيرة في الصيف الماضي في تلك الغابة على جلاء شيء من اسرارها فخانني الحظ حتى الآن . على ان ما فاتني استطلاعه من ثنايا التاريخ لم يفتني استجلاء بعضه بالمشاهدة والتتبع . فقد جبت اطواف الغابة كل يوم واتأمل في اشجارها شجرة شجرة والاحظ كيفية نموها وانتشار اغصانها فرأيت في ذلك بعض العجائب والغرائب التي لم ارَ لها نظيراً في أية غابة اخرى او في اي شجر آخر

اما ضخامة الارز فانها نادرة في غير بعض انواع الشجر التي تعيش في المناطق الحارة وولاية كاليفورنيا ففي الغابة شجرة يبلغ محيط جذعها نحو ١٦ متراً وتكثر فيها الاشجار التي يتراوح محيط جذعها بين ١٠ و١٥ متراً وقد روى لي الاب الفاضل وكيل وقف الارز ان الاب لاماس اكد عند ما شاهد تلك الشجرة وفحصها فحصاً سطحيًّا ان عمرها لا يقل عن ٤٠٠٠ سنة

اما الغابة ذاتها فانها قائمة على رابية يشرف عليها « قم المزاب » من الشمال « وظهر القضيب » من اليمين . وهاتان القنتان اعلى قمم جبل لبنان بعد القمة المسماة «قرنة السوداء»

ويبلغ علو كل منها نحو ٣٤٠٠ متر عن سطح البحر. اما راية الارز فقد تحققت من مقياس العلو الذي كان بيدي ان علوها يبلغ ١٩٤٠ متراً عن سطح البحر. والهواء هناك جاف كل الجفاف يبث في الجسم نشاطاً عجيباً ولا تستطيع الاجسام الضعيفة ان تتحمله مدة طويلة. وقد جيء الى الارز بماء من اقرب نبع اليه يسمى نبع « شاغورة » وبنيت في وسطه بركة كبيرة الى جانب الكنيسة الموجودة هناك. والماء عذب خفيف فوّار يشعر شاربهُ انهُ اخف والذ واعظم ساعد للهضم من اكثر انواع المياه المعدنية التي تباعها زجاجات مختومة

ويحيط بالغابة من كل جانب حتى قمة الجبل اراض بعظمها جرداء وبعضها يزرع ويروى بماء نبع « شاغورة » تبدأ الزراعة في اول شهر سبتمبر فلا يكاد ينقضي شهران سبتمبر واكتوبر حتى يكون الزرع قد نما قليلاً. وبعد ذلك يأتيه الثلج ويغطيه حتى شهر ابريل من السنة التالية، وعند ما يذوب عنهُ يكون قد تلف اخضره ولكن جذوره تبقى حية في الارض ولا تلبث ان تنمو بفعل حرارة الشمس ومياه الري ولا يدنو حصاده الا في اواخر شهر يوليو

روى لي بعض العارفين من ابناء تلك الانحاء ان جميع تلك الروابي الجرداء المحيطة بغابة الارز كانت مملوءة بهذا الشجر في الازمنة الماضية ولكن الناس جعلوا يقطعون الاشجار منها ويستعملونها حطباً في حاجاتهم المنزلية الى ان جاء رستم باشا احد متصرفي الجبل السابقين فاحاط البقية الباقية من الارز بسور من الحجر لكي يمنع الاعتداء عليها. وجاءت الحكومة اللبنانية بعد ذلك فاقامت سوراً آخر من الملك الشائك بعد ذلك السور الحجري وضمت اليهِ عدداً من الاشجار التي بقيت خارج السور الحجري الى الغابة

ولم يكن الارز وقفاً فيما مضى من الزمن ولكن يخيل اليَّ ان السبب الذي دعى الى جعله وقفاً هو في الغالب الحرص على استبقائه. لذلك سمي «ارز الرب» واقيمت كنيسة فيهِ. واعطى معنى القداسة وحرّم قطع شيء من اغصانهِ وحفر الاسماء على اشجاره. وهذه الصفة الدينية التي صبغ بها الارز كانت خير وسيلة لجعل الناس يتحاشون اتلاف حريق هذا الشجر التاريخي العظيم والامتناع عن الاحتطاب في تلك الغابة. وصبحوا بدلاً من ذلك يحجون كل سنة في عيد ارب حد لاعياد الكاثوليكية الى تلك الغابة ويصلون في كنيستها ويقيمون ليلة تحت اشجارها

وللارز حراس رسميون يتقاضون مرتباتهم من الحكومة اللبنانية ويقيمون في الارز صيفاً يعشش مبنية بحجارة مكدسة بعضها فوق البعض بلا تحت ولا مونة. اما في الشتاء فانهم ينزلون الى احدى القرى المجاورة لان الثلج يغمر تلك الانحاء ويبلغ علوه عدة امتار. وهم يخدمون زائري الارز بكل بشاشة ولطف ويرافقونهم مشاهدة ما يريدون مشاهدتهُ من اشجاره

واشجار الغابة متفاوتة في اعمارها كل التفاوت. فمنها ما يبلغ عمره بضعة آلاف من

السنين كالشجرة التي اشرت اليها فيما تقدم ومنها مالا يبلغ علوه عن سطح الارض الاّ بضعة سنتمترات لانهُ بعد ما اتم السور حول الغابة وحفظت من الايدي جعل بعض الشجر ينمو داخل السور . فترى الآن في الجزء الشرقي من الغابة بضع عشرات من الشجيرات تتراوح اعمارها بين عشر سنوات وماتي سنة . وهنالك شجرة لا يزيد ارتفاعها على متر ونصف ويؤكد حرّاس الارز ان عمرها يزيد على خمسين سنة . فاذا قسنا حجم هذه الشجرة الى حجم الاشجار الضخمة التي يبلغ محيط جذعها نحو ١٥ متراً لم نستغرب ان يحسب عمر هذه ببضعة آلاف من السنين

ومعظم اشجار الغابة متوسطة الحجم فعدد الاشجار التي يزيد محيط جذعها على عشرة امتار لا يتجاوز بضع عشرة شجرة . وقد حاولت كثيراً ان اعرف عدد الاشجار في الغابة فلم يستطع احد ان ينبئني عنها . ولكن الحراس يؤكدون انهُ يزيد على خمسمائة شجرة . ومن الراسخ في اذهان الناس ان شجر الغابة لا يمكن عده . ولكنني لم اجد صعوبة في ذلك الا انني لم احاول ان اقوم بهذا الاحصاء . وليس للارز ثمر بل هو من اشجار الظلال فقط . وتنمو عليه اكواز كاكواز الصنوبر تحتوي على بذر الشجر . وهي بطيئة النمو تظهر اولاً في شكل عود مستطيل يبرز عمودياً من الغصن ثم تبدأ بالتضخم الى ان تصبح في شكلها البيضوي وتظل كذلك على الشجرة الى ان تيبس وتسقط الى الارض وعندئذٍ تنتشر بزورها وتأخذ في نموها البطيء . ولا تظهر الشجيرة على سطح الارض الاّ بعد ان تتجاوز من العمر سنتين او ثلاثاً

ومما يمتاز به شجر الارز على كل شجر في العالم ان اغصانه تتجه في نموها اتجاهاً افقياً ولكن من ينظر الى الشجرة ويفحص نمو اغصانها الاصلي فحصاً دقيقاً يدرك ان هذا الاتجاه الافقي لم يكن في اصل النمو اي عند بروز الغصن من جذع الشجرة بل حدث بعد ذلك . والتعليل الوحيد الذي خطر لي عند ما راقبت هذه الظاهرة هو انهُ عند ما يأخذ الغصن في البروز يأتي الثلج ويغطي الشجرة ويتجمد عليها ويظل كذلك نحو اربعة اشهر او خمسة . ولما كان نمو الارز بطيئاً جداً فان اغصانه تتحمل ضغط الثلج عشرات من السنين قبل ان تشتد ويصبح ثقل الثلج عاجزاً عن احنائها . ويبدأ الثلج بالتساقط في تلك الانحاء في شهر نوفمبر ويعلو حتى يبلغ خمسة امتار او ستة . فاذا نظرت الى غابة الارز في اواسط فصل الشتاء لا ترى بارزاً منها فوق الثلج الاّ المقدار الذي يزيد على هذا العلو فجميع الاشجار التي تقل عن ذلك يغمرها الثلج فلا بدع اذا انحنت الاغصان تحت ضغط الثلج وهي غضة رطبة واستمرت فيما بعد على اتجاهها الافقي

على ان اعجب مظهر من مظاهر نمو الارز هو تداخله وتداخل اغصانه واشجاره بعضها في بعض . فهناك بضع شجرات تقاربت بفعل تضخمها مع مرور الزمن . ولما اتصلت احداها

بالاخرى التصقت واصبحت الشجرتان شجرة واحدة . وكلما مر عليهما الزمن زال آثار الاندغام حتى يصعب على الفاحص المدقق أن يعرف في النهاية ان الشجرتين اللتين كانتا منفردتين من قبل اصبحت شجرة واحدة

وهناك شجرة امتد منها غصن طويل الى ان بلغ شجرة اخرى قريبة منها واتصل بغصن من هذه الشجرة وبمرور الزمن التصق به الى ان اصبح الغصنان غصناً واحداً . فتستطيع ان ترى الآن مكان اتصالها وكيف صار كجذع تتفرع فيما بعد الى غصنين مع انك ترى ان هذا الجذع يتصل باحدى الاشجار من ناحية وبشجرة اخرى من ناحية اخرى. فلا بد لك والحالة هذه ان تقرر ان التداغم بين الاغصان والاشجار من خصائص الارز اللبنية. ومتى اتضح لك ذلك لا تستغرب ضخامة الاشجار الآ انك تستطيع في الحال أن تثبت ان هذا التضخم لم يكن نتيجة عمر طويل بقدر ما هو نتيجة تداغم بين شجرتين او اكثر

وفي الغابة امثلة عديدة على هذا التداغم بين الاشجار من ناحية وبين الاغصان من ناحية اخرى. ويستطيع المرء أن يشاهده في حالة التطور. فهناك شجرتان اصبحتا متلامستين الآن واتصل جذعاهما من الاسفل واندغما. وتستطيع ان ترى الشجرتين الآن واحداهما لا تبعد في اعلى جذعها عن الاخرى الا نحو ١٥ سنتمتراً وهذه المسافة تضيق رويداً رويداً الى ان تتلاشى في أسفل الجذع حيث التصقت الشجرتان. واذا نظرت الى الجذعين الى الجانبين المتقابلين من الداخل رأيت ان الشجرتين تستعدان استعداداً طبيعياً للالتصاق . فقشر الشجرة لا وجود له من الناحية الممدة للالتصاق بل الطبقة التي تحته . وهذه الطبقة ظاهرة للعيان . والقشر يصل الى جانبها فقط ويقف وتفرز الشجرة على هذه الطبقة الظاهرة مادة غروية اذا لمستها وجدت انها بمثابة صمغ او غراء قوي. ورأيت هذه المادة تكثر في اسفل الجذعين حيث يلتصقان وتقل كلما تباعد الجذعان بعد ذلك وهذا يدل على ان الطبيعة هيأت للالتصاق كل اسبابه . فنمت نمو القشر حيث يجب ان يجري للالتصاق كل اسبابه . وزادت من افرازها حيث بدأ الالتصاق وقل الافراز حيث ينتظر أن يتم الالتصاق في وقت قريب . فتستطيع ان تستنتج من هذا ان التداغم الذي تم في ما هو الآن اشجار ضخمة قد بدأ على مثال ما هو مشهود في الشجرتين المتقدمتين الذكر

اما المادة الغروية التي ذكرتها فهي غزيرة في شجر الارز . واكوازه تفرز منها مقداراً غير قليل ولا يستبعد ان تكون ذات فائدة كبيرة للصناعات المختلفة التي تستعمل انواع الصمغ والغراء وهي كثيرة لا يكاد يحصرها العد وقد يكون لصمغ الارز مزية كبائية لا تتوفر في غيره من انواع الصمغ والغراء. ومن السهل استخراجه سواء من جذوع الاشجار

او من الاغصان التي تتكسر كل سنة تحت اثقال الثلج واهوال العواصف في الشتاء او من الاكواز التي لافائدة منها سوى الزينة . ويتساقط الالوف منها كل سنة تحت الاشجار فيجمعها الحراس ويضعونها في اكياس كبيرة ويوزعون منها على الزوار من قبيل التذكار . اما الاخشاب فانها تباع لتجار خصوصي مقيم في قرية بشري أقرب قرى لبنان الى الارز وهو يصنع منهُ صلبانًا وصواني وقطعًا مختلفة من لوازم المكاتب والمنازل ويبيعها للطالبين باثمان غير قليلة

واما شجرة «الحيس» التي اشرت اليها في اول هذا المقال فهي شجرة ضخمة مجوفة في اعلى جذعها . ويروى ان ناسكًا كان يقيم فيها منذ نحو ٤٥٠ سنة . وينام في جوفها وان الله كان يرسل اليهِ الطعام والشراب وذلك ان الماء كان يقطر عليهِ من داخل الشجرة فيشرب منهُ ، وان الطعام كان منًّا يطلع لهُ على اغصان الشجرة وجذعها . اما المن فمعروف واما تقطر الماء فلا يزال موجودًا حتى الآن لان فوق التجويف الذي يقال ان الناسك كان يقيم فيهِ تجويفًا آخر . ولا بدَّ ان هذا التجويف كان يمتلئ ثلجًا في الشتاء . فني الصيف يذوب الثلج ويتحول الى ماء ويتسلسل هذا الماء في جذع الشجرة حتى يتقطر فوق المكان الذي يقال ان الناسك كان يقيم فيهِ . ويستطيع كل من يفحص التجويف الذي كان يقيم فيهِ الناسك والتجويف الذي فوق ان يجد هذا التعليل معقولاً

وكان السياح الذين كانوا يقصدون الارز ينقشون اسماءهم على جذوعهِ . ولكن نقش الاسماء منع منذ زمن طويل وانقضت عشرات من السنين على الاسماء القديمة فلم تعد الآن مقروءة . واقدم اسم محفور على الارز ومعروف التاريخ يرجع الى ١٥٠ سنة كما هو ظاهر من التاريخ الذي لا يزال مقروءًا حتى الآن وصاحبهُ فرنسي في الغالب . واما الشجرة المسماة شجرة « لامرتين » فهي التي وضعت عليها لوحة تذكارية لزيارة شاعر فرنسا العظيم للارز ونقش اسمهِ واسم ابنتهِ جوليا على هذه الشجرة منذ ١٠٠ سنة . والاسمان الآن ظاهران على الشجرة بكل جلاء واللوحة موجودة في مكانها فوق الاسمين على علو مترين عن الارض ومشدودة الى الشجرة

وقد بنى الاب الفاضل المونسنيور اغناطيوس كيروز وكيل وقف الارز فندقًا جميلاً عصريًّا على رابية مقابلة لرابية الارز تظله ثلاثة اشجار من الارز وجر الى الفندق مياه نبع شاغورة العذبة وأدخلها الى جميع غرفهِ . وراعى فيهِ احدث وسائل الراحة المعروفة في الفنادق العصرية . وقد مهدت حكومة لبنان الطريق الموصلة الى الارز فأصبحت السيارات تصل الى باب الفندق بعدما كانت تصل الى بشري فقط ومن هناك يركب المرء دابة توصله الى الارز . وكانت المسافة تبلغ نحو ساعة . اما الآن فانها لا تتجاوز بضع دقائق بالسيارة

القاهرة توفيق اليازجي

بين المعري وداعي الدعاة

— ٢ —

« أنا ذلك المريض رأياً وعقلاً
وقد أتيتك مستشفياً فاشفني »
داعي الدعاة

ابو العلاء كما تخيله ورسمه
جبران خليل جبران

قلنا — في المقال السابق[1] — : إن داعي الدعاة لم يزد مناقشة ابي العلاء للاسترشاد والاستفادة منهُ بل قصد الى التحرش به قصداً ورمى الى استفزازه واحراجه وتسويء سمعته . وقد لخصنا المذهب الاسماعيلي الذي كان يدعو اليه داعي الدعاة ليعرف القارىء أن الغيرة الدينية كانت آخر شيء يدور بخلد داعي الدعاة ، وان الخصومة الشخصية والمآرب السياسية هي وحدها الحافز الاول والاخير . وما كان المعري ليجهل خطر داعي الدعاة ومرامي كلماته ، وفي ثنايا تواضعه الذي يذيعهُ في اثناء كلامه كبرياء وسخرية دونهما كل كبرياء وسخرية . ولعل القارىء لا يخفى عليه ما يعنيه بقوله : « انا ذلك المريض رأياً وعقلاً ، وقد أتيتك مستشفياً فاشفني » . فهو يقرع المعري ويسخر منهُ في صورة المتواضع المسترشد

وقد جامله المعري في رسائله بكل ما وسعه طوقه من مجاملة وغمره بعبارات الثناء والمديح رغبة في صد هجماته ودفعاً لشره ، فما أغنت هذه المجاملات إلاَّ قليلاً ؛ وكان المعري لا يكاد يجيبه عن سؤال إلاَّ حشر في تضاعيف اجابته امثال هذه الجمل :

« سيدنا الرئيس الأجل عصمة المؤمنين هدى الله الامم بهدايته وسلك بهم طريق الخير على يده » « ضوَّأ الله المُسْلِم ببصيرته وأذهب شكوك الافئدة برأيه » « أيد الله الحق بحياته » « أدام الله قدرته » « عصمة المؤمنين لا زالت القلوب معمورة بعطاته » « لا زال يُضَوِّي قلوب المؤمنين » « جعل الله بحياته الشريعة وتصر بحجته الملة »

فإذا رآهُ يمثل ببيت للمتنبي في احدى رسائله اكبر منهُ هذا وعدهُ تفضلاً منهُ على المتنبي ، وقال — : « وأما مثله بيت أبي الطيب ، فلو بلغهُ ذلك لابتهج إذ كان مثله يمثل بشيء مما نظمه » . ويبالغ المعري في مجاملته والتحبب اليه فيقول — : « ولو ناظر ارسطاطاليس لجاز أن يفحمه أو افلاطون لنبذ حجتهُ خلفهُ »

---

(١) ارجع الى ص «٦٧» من مقتطف شهر «يونيو ١٩٣٠»

وحاول المعري أن يتفصل من الرد عليه — لما رأى ما يرمي اليه متعللاً — بضعفه وشيخوخته « وأنه لو مثل في حضرة « داعي الدعاة » لعلم أنه لم يبق فيه بقية لان يسأل ولا أن يجيب، لأن أعضاءه متخاذلة وقد عجز عن الصلاة قائماً وإنما يصلي قاعداً »

ثم يقول — : « وإني لاعجز — إذا اضطجعت — عن القعود ، فربما استعنت بالسان فإذا هم باعانتي وبسط يديه لينهضني اضطربت عظامي لأنهن عاريات من كسوة كانت عليهن فمرّتهن منها الاوقات المتمادية ، وانما عنيت ما كان عليهن من اللحم[٢] »

ويقول — : « وسيدنا الرئيس الأجل صاحب ورع ودين وهداية ينتفع بها المهتدون ومن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز فانما مثله مثل من طلب في القتادة ثمر النخلة، وانما حمل سائله على ذلك حسن الظن الذي هو دليل على كرم الطبع وشرف النفس وطهارة المولد وخالص الخيم . ومن استرشد بسيدنا الرئيس الاجل المؤيد في الدين — أجزل الله حظ الاسلام بدوام ايامه — كان كطالب الذهب من معدنه » ويقول : « وهو بكتابه اليّ متواضع ، ومن انا حتى يكتب مثله لمثلي ، مثله في ذلك مثل الثريا كتب الى الثرى الخ »

ولكن ماذا يعني مناظره من ذلك كله إنه يريد من المعري — كما يقول — جواباً صريحاً يشفي الغلة، وقد رأى في هذه المجاملات ما يضيع عليه القصد فقال في ختام رسائله انه يريد منه الاستدلال ورفض الحشمة وحذف تكلف الخطاب «سيدنا » و« الرئيس » وما يجري هذا المجرى ، لانه — فيما يزعم — لا يريد أن يتخلل كلامها « شيء من زخارف الدنيا »

وقد طلب الى المعري أن يكف عن السجع حتى لا تضيع المعاني بين شتى اسجاعه، فقال — :

« ثم إن قام من الشيخ نشطة للجواب — أعفاني فيه عن قصد الاسجاع ولزوم مالا يلزم فان ملتمسي فيه المعاني لا الالفاظ » . وادرك المعري ما يعنيه داعي الدعاة بهذا الرجاء ، فلم يأل جهداً في اضاعة قسم كبير من رسالته الثانية في الدفاع عن السجع والانتصار له ،

---

(٢) وقريب من هذا قوله في رسالة الملائكة :

« وحق لمثلي أن لا يسأل ، فان سئل تعين عليه ان لا يجيب ، فان اجاب تفرض على السامع ان لا يسمع منه فان خالف باستماعه فقريضة أن لا يكتب ما يقول ، فان كتبه فواجب ان لا ينظر فيه ، فان نظر فيها فقد خبط خبط عشواء وقد بلغت سن الاشياخ وما سار بيدي قط من هذا اطيار والظن بالآخرة اريب الخ »

وقد عودنا المعري الافراط في التواضع كما عودنا الافراط في ذم نفسه وتنقصها دائماً ، فهو القائل :

« روينك لا تغتر يا أخي بي فانا الرجل الساقط
ولو كنت مثلي يظهر الطريق لم يلتقط مثلي اللاقط »

وهو القائل : — « دعيت أبا العلاء وذاك مني ولكن الصحيح أبو الغزول »

والقائل : — « تشابه انفس الحشرات فيما يكون لهن بالصيف ارتباط »

والقائل : — « اقرون بالجهل وادعى فهمي قوم فأمري وأمرهم عجب
والحق بأني وانهم هدر لست نجياً ولا هم نجب »

وقد أحسن المعري في دفاعه عن السجع وتخير لذلك الدفاع اقوى الحجج والبراهين وأيد دفعه بما استشهد به من الاحاديث والآيات القرآنية ليسد عليه هذه الطريق

دفاع المعري عن السجع

على أن السجع كاد يصح من مقتضيات هذا العصر ولوازمه ، وقد أفلتت من داعي الدعاة عدة سجعات جاءت عفواً في رسائله لتغلب السجع عليه وعلى معاصريه جميعاً . ولم يكن بدعاً أن يولع المعري بالسجع بعد أن رأيناه يولع بكل قيد من قيود الحياة ، فيرضى لنفسه بالحبس ، ويحرمها لذات الحياة ولعبها الجثمانية ، ويروّض نفسه على التزام ما لا يلزم في الشعر فيضاعف قيد القافية الى آخر ما أخذ به نفسه من هذه القيود

وقد دافع المعري عن السجع بأن الناس في الاسلام قد استحسنوا السجعات وكثرت في خطبهم ومراسلاتهم فقل ما يخطب خطبة على منبر الا وفيها سجع . قال : « وأما خطباء العراق فلهم خطب تكون من اولها الى آخرها مسجوعة — على الباء او التاء وغيرها من الحروف — وروى ان بعض الملوك قال لبعض الفقهاء : — « بلغني انك تحب السجع فقال « نعم » . وقرأ عليه آيات من قوله تعالى : — « والشمس وضحاها [1] » »

والفواصل التي جاءت في الكتاب الأشرف على ضروب منها ما هو متباعد لا يجري مجرى السجع ، وفيها ما يجري مجرى المسجوعات ، كقوله تعالى : — « والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر » وكذلك قوله : — « ألم تر كيف فعل ربك بعاد [2] » . وقد ابدع المعري ما شاء له ظرفه وكياسته ان يبدع ، فقال يداعب داعي الدعاة ويسخر من الذين يحرمون السجع : « ولو علمت الحمائم الساجعة ان الله — سبحانه — او نبيه — ص — يكره سجعها على الغصون لخرست عنه وتبرأت منه ، وكذلك النوق الموصوفة بأنها ساجعات ، كما قال تميم بن نويرة : — « اذا حنت الأولى سجعن لها معاً » . ثم علل النهي عن السجع بقوله : — « وانما كرهه النبي (ص) لأنه كثر في كلام الكهان فنهى عنه غير محرّم له ، وقد روى عنه كلام مسجوع الخ »

محور الرسائل

أما المحور الذي دارت عليه الرسائل فهو سر امتناع المعري عن اكل اللحم ، وقد احسن المعري ظنه بسائله في رسالته الاولى ، فلما رأى في رده عليه ما يبيته له ، رجع

(١) يشير الى الآيات الكريمة : — « والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها الخ »

(٢) يشير الى الآيات الكريمة : — « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد »!

على أعقابه وراح يتلمس من المعاذير كل ما وسعه ، وما زال مناظره يضيق عليه الخناق حتى دفع آخر عذر له، وهو الفقر، فقال له :— « وقد كاتبت مولاي « تاج الامراء » — حرس الله عزه — ان يتقدم بإزاحة العلة فيما هو بسبيله من ألذ الطعام ومراعاته على الادرار والدوام، ليتكشف عنه غاشية هذه الضرورة ويجري امره على احسن ما يكون من الصورة[1] »

ولكن المعري أعتذر عن قبوله توسيع رزقه بأبلغ اعتذار وأرق اسلوب فقال : —

« وأما ما ذكره من المكاتبة في توسيع الرزق فيدل على افضال ورثه عن أب فأب، وجد في اثر جد ، حتى يصل النسب الى التراب . فالعبد الضعيف العاجز ما له رغبة في التوسع ومعاودة الاطعمة — وتركها صار له طبعاً ثانياً — وانه ما اكل شيئاً من حيوان خمساً واربعين سنة :

والشيخ لا يترك اخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

وقد علم أن السيد الاجل تاج الامراء فخر الملك عمدة الامامة وعدة الدولة ومجدها ، وود لو ان قلعة حلب وجميع جبال الشام جعلها الله ذهباً لينفقه تاج الامراء ، فصير الدولة النبوية — على امامها السلام وكذلك على الائمة الطاهرين من آبائه — من غير أن يصير الى العبد الضعيف من ذلك قيراط ، وهو يستحي من حضرة « تاج الامراء » ان ينظر اليه بعين من رغب في العاجلة — بعد ما ذهب، وهو رضي ان يلقى الله — جلت قدرته — وهو لا يطالب الا بما فعل من اجتناب اللحوم ، فان وصل الى هذه المرتبة فقد سعد » .

وليس عجباً من داعي الدعاة هذا الاصرار ، وما هو بعجيب من أبي العلاء أن يصر على امتناعه وإبائه رغم تفاني هذا الاصرار من امتحاط مناظره العنيد

وكيف يرضى ابو العلاء أن يريق دم حيوان ، بعد أن وصل به العطف على كل ذي روح إلى أبعد غاياته ، فأصبح يشفق على البرغوث وينهي عن قتله ويدلل على رأيه تدليلاً جديداً غير عابث ولا هازل ، فيقول : —

تسريح كفك برغوثاً ظفرت به أبرّ من درهم تعطيه محتاجا
ولماذا ؟ كلاهما يتوق — والحياة له عزيزة — ويروم العيش مهتاجا

ثم يغضب للغراب ، فيطلب اليه ان يجزي الناس على ظلمهم عدواناً بمدوان واساءة باساءة ، إذ يقول : —

جر يا غراب وأنسد لا أرى أحداً إلا مسيئاً وأي الناس لم يجر
لو كنت حارس اثمار لهم ينمت وصادقوك — لما أحلوك من حجر

(١) وهذه بعض سجايا داعي الدعاة الذي نهى المعري عن السجع !

ويتألم للعصفور يعذبه الوليد القاسي بلا رحمة ولا شفقة ، فيقول : —

«رأيتك على طائر — رماه فتى لاه — فأوهى بفهره[1] الكتفا
يكبر يبغي العاش مغتبطاً فقصَّ عند الشروق أو نتفا
كأنه في الحياة ما فرغ[2] القصـ ـن ففي عليه أو هتفا »

وينهي عن أكل البيض فيقول : —

« ولا تأخذ ودائع ذات ريش فذاك أيها الانسان بضنه »

الى آخر هذه الامثلة التي امتلأت بها لزومياته

ومن اظرف ما يلاحظهُ المتأمل أن المعري لم يظهر رضاءه عن ذبح الحيوان في الدار الآخرة — في رسالة الغفران — إلا بعد ان تخيل ان الحيوان يجد في ذبحه لذة لا تعادلها لذة ، وأنهُ — بعد أن يذبح — يعود الى سيرته الاولى فإذا عظامهُ قد اكتسين لحماً وسار يتخطر في مشيته في الفراديس كما كان يفعل قبل ذبحه

***

وما لنا نذهب بعيداً وقد لخص المعري فلسفته النباتية في قصيدته الحائية التي اتخذها داعي الدعاة تكأة يبرر بها هذه النظرة الحامية الوطيس

فهو يقول في هذه القصيدة الرائعة التي لخص فيها شريعتهُ النباتية أبدع تلخيص : —

«فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح»

ويدافع عن ذلك بقوله في رسالته : —

ولا يقدر أحد أن يدفع أن الحيوان البحري لا يخرج من الماء إلا وهو كاره ، وإذا سئل المحقون عن ذلك لم يقبح تركه أكله — وإن كان حلالاً — لان المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق

ثم ينهى عن استعمال اللبن في قوله : —

وأبيض أمَّات أرادت صريحهُ لأطفالها دون الغواني الصرائح

وهو يريد بالأبيض « اللبن » ، ويقول في تبرير رأيه في رسالته هذه : —

وإذا قيل إن الله سبحانه وتعالى — يساوي بين عباده في الاقسام فأي شيء أسلفته الذبائح من الخطأ حتى يمنع حظها من الرأفة والرفق ؟ . ثم يقول : —

ولا تنجعن الطير — وهي غوافل — بما وسمت فالظلم شر القبائح

وقد دلل ابو العلاء على صحة رأيه هذا ، متخذاً من قول الرسول « أقروا الطير في

(١) الحجر يملأ الكف (٢) علا

وكنائها » وما ورد في القرآن من النهي عن صيد الحرم — تكأة يبرر بها قصده ويقول إنه لا لوم عليه اذا طلب التقرب الى رب السموات والارضين بأن يجعل صيد الحل آمناً كصيد الحرم

وقد نهى عن استعمال العسل — كما نهى عن استعمال اللبن — فقال :

«ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من ازهار نبت فواتع
فما احرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمتالع »

وعزز هذا الرأي في رسائله بقوله : — « لما كانت النحل تحارب الشاتر عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد أن ترده من ذلك فلا غرو ان غرض عن استعماله رغبة في ان تجعل النحل كثيرها مما يكره ذبح الاكيل وأخذ ما كان يعيش به لتشربهُ النساء كي يبدنّ ، ولو عرف داعي الدعاة توكيد صديقنا الدكتور ابي شادي ان بعض النحل هادئ وديع لاعتبر الشاتر عن العسل كالنحل الكريولي والقوقازي لاحتجّ بهذا الرأي على ابي العلاء

***

وقد ذكر ابو العلاء شيئاً من كلام العرب ليدلل به على صحة رأيه ، ويثبت ما يعانيه الحيوان من الالم، كقول قائلهم ،يصف ما يلحق الناقة من الالم والوجد اذا افقدت فصيلها:—

« فما وجدتْ كوجدي ام سقب أضلته فرجعت الحنينا »

وقد قال المعري : — « وإن الضائنة تكون في محل القوم — وهي حامل — فاذا وضعت وبلغ ولدها شهراً أو نحوه اعتبطوه فاكلوه ورغبوا في اللبن وباتت امهُ ثاغية لو تقدر لسمت لهُ باغية » وفي هذه الصورة من الروعة ودقة التصوير ما لا يخفى على القارىء .

وقد نظم المعري في لزومياته قصيدة طويلة يمتدح فيها الديك ويثني بفضائله ويحض على الصائم أن يفطر على ازهاق روح فقال مخاطباً الديك — :

« ولو كنت لي ما ارهفت لك مدية ولا رام افطاراً بأكلك صائم »

ونحب أن يمتع القارىء نفسه بقراءة هذه القصيدة الفذة في لزومياته .

ولكن ما لداعي الدعاة وهذه الخيالات الشعرية ،ان الله قد أحلّ ذبح الحيوان وأكله فما قيمة هذه الاعتبارات بعد ذلك ، وما بال المعري يتأثر بالزهد في هذه الطيبات ؟ انه بلا شك رجل معاند جاحد ، ولا بد من ارغامه على أكل اللحم وإحراجه بكل وسيلة ، فاذا عجز عن ذلك فلا أقل من أن يظفر من كلامه بسقطة يظهره بها امام الناس بمظهر المعاند ، ثم يقول له في ختام رسائله : —

« وقيل وبعد — فأنا أعتذر عن سرعة أذعته ، وزمان بالقراءة والاجابة شغلته ، لأني — من حيث ماتفعته — ضررته » [لها بقية] كامل كيلاني

من المانيا الى اليابان بالبلون

رحلة تستغرق خمسة أيام

لا ريب في ان اسم الدكتور هيوغو اكنر بانى البلون الالماني « غراف زبلين » وربانهُ في غير رحلة واحدة جدير بان يدرج في عداد الخالدين من الروّاد المحدثين امثال بيري وامندسن وشاكلتن وسكوت وشفانسن وناتسن وبرد . وقد اكرمتهُ الجمعية الجغرافية الاميركية بضرب مدالية ذهبية خاصة به تخليداً لرحلته حول الارض. فلما قدّمها له رئيس الجمعية المذكورة خاطبهُ بقوله : اننا نكرم الدكتور اكنر الليلة للجهد الذي بذلهُ سنين طوالاً في التجربة والامتحان. ونكرم فيهِ نبوغهُ في الاستنباط وصبرهُ في البحث وجرأتهُ في المغامرة الصفات التي توّجت بعملهِ العظيم . أن شعوب العالم قاطبة وقفت منتظرة مصير هذه الرحلة الجريئة. وفي طريق بلونه الممتدة فوق البحار حاولت السفن التي تشقُّ عباب البحر أن تفوز بلمحة من جبار الهواء. ان الفوز في هذه الرحلة دليل على ما للدكتور اكنر من المقدرة العظيمة على التنظيم والادارة علاوة على خبرته الواسعة واستلاكهِ لزمام الملاحة الجوية وهي خبرة كسبها في مسل انطيمة بطيرانهِ اكثر من ثلاثة آلاف رحلة جوية »

ولما وقف الدكتور اكنر ليشكر لجمعية هديتها قال ان بأ عزم الجمعية على ان تهدي اليهِ مدالية ذهبية خاصة اوقعهُ في حيرة لانهُ لا يرى أن رحلات الغراف زبلين اسفرت عن توسيع نطاق الجغرافيا كما فعل الروّاد العظام . وانتقل الى البحث في ريادة الهواء وما لها من الشأن العظيم في الوصول الى البلدان النائية التي يتعذر على الرحالين الوصول اليها سيراً على الاقدام كالمناطق المتجمدة في الشمال والجنوب وبعض الصحارى في بلاد العرب واواسط افريقيا واسيا واستراليا والمستنقعات الشاسعة في سيبيريا. وحمل هدية الجمعية اليهِ على محمل رغبتها في تأييد تشجيع الريادة الجغرافية من الجوّ . ثم انتقل الى بسط الغرض من رحلته ووصف المرحلة التي قطعها بين المانيا واسيا مارًّا فوق سيبيريا . قال

لو سألني سائلٌ عن غرض رحلتنا حول الارض على متن البلون « غراف زبلين » لصارحتهُ القول باننا لم نرمِ الى غرضٍ معيّنٍ لم خطرت لنا فكرة هذه الرحلة . فقد ذكر الرئيس كولدج في برقية تهنئةٍ بعث بها الينا « ان عهد المغامرات العظيمة لم ينقضِ بعد » . ان دائماً

شيئاً بالدافع الذي بعث مجلاّن وبيري ونانسن وغيرهم الى مغامراتهم العظيمة كان في دمنا لا نفكر في ذلك . فقد كنا نعلم اننا نملك سفينة جوية متينة يصحّ الاعتماد عليها وقد اثبتنا ذلك في رحلات سابقة رحلنا بها في احوال جوية غير ملائمة فكافحنا بها العناصر الثائرة فصمدت في الكفاح وانتصرت فحرك ذلك فينا حب المغامرة والاستكشاف فوضعنا خطة رحلتنا حول الارض لكي نرى بلداناً جديدة وبحاراً جديدة ولنوسع نطاق معارفنا

وكنا نرغب قبل كل شيء في ان نثبت ما تستطيعهُ السفينة الجوية (البلون) وما لا تستطيعهُ توطئة لانشاء مواصلات جوية في مناطق مختلفة واقاليم متباينة . فقلنا ان رحلة حول الارض لطير في اتمامها فوق اكبر المحيطات والقارات ، من شأنها ان توسع نطاق معرفتنا بتصرف البلون في الاحوال المتقلبة . وعليهِ ترون ان الرحلة في البدء كانت رحلة الى « عالم مجهول » لزيادة خبرتنا بالملاحة الجوية

ثم خطر لنا ان خروج البلون من هذه الرحلة ظافراً يثبت للجمهور ان « السفينة الجوية » تصلح للسفر مهما تتقلب احوال الجوّ وخصوصاً في الاسفار الطويلة فوق البحار

فقد كان الناس يظنون ان البلون سفينة لا تصلح للملاحة الجوية الاّ في جوّ صافٍ وهواء راكد ولبثوا ينتظرون حلاً لمشكلة المواصلات الجوية عن طريق الطيارات نظراً الى الاعتقاد السائد بان البلون ضخم البناء غير سهل التناول بطيء الحركة

فقلنا نستطيع ان نثبت بهذه الرحلة هل يصلح البلون للملاحة في الجو الصافي الهادئ فقط او يصلح كذلك للملاحة في مناطق تهبُّ فوقها الرياح وتثور العواصف وتهطل الامطار . ولكي تكون التجربة علمية قرّرنا ان نضع خطة الرحلة والبلدان التي نريد ان نمرَّ فوقها والمحطات التي ننزل فيها الى الارض والاوقات المعينة لذلك لكي تثبت ان السفر منتظم

ومنذ بدأنا التفكير في هذه الرحلة خطر على بالي ان الطريق بين فردريكسهافن وطوكيو فوق روسيا وسيبيريا جديرة بالعناية . وذلك لان احوال الجوّ من ناحية الرحالة الجوي صعبة وغير مستقرّة على حال من الوجهتين الجغرافية والميتورولوجية . والخرائط المتداولة عن سيبيريا غير وافية من حيث ما يقوم فيها من الجبال وعلوّ هذه الجبال المدقق . وتعلمون ان ربان الطائرة — سواء كانت طيارة او بلوناً — يجب ان يعرف معرفة دقيقة ارتفاعات الجبال وخصوصاً اذا عرف انهُ قد يجوزها في ضباب او غمام . فعليهِ ان يظلّ مرتفعاً فوق اعلاها ارتفاعاً كافياً مأمناً للاصطدام بها . ولكن التحليق الى هذه الاعالي ليست في مستطاع البلون او الطيارة دائماً وخصوصاً في مستهلّ الرحلة اذ تكون الطائرة مثقلة بالبنزين المعد للحرق في آلاتها

فلما تدبرنا هذه الامور قررنا ان نصرف النظر عن الطيران فوق جنوب سيبيريا في

طريقنا الى طوكيو لان السكابين اركوتسك وفلاديفستوك تخللها جبال عالية تغطيها الثيوم في الصيف . فقررتُ ان انقل خط السفر الى شمال سيبيريا فندور حول الجبال الواقعة في الجنوب الشرقي من سيبيريا ولا تعترضنا جبال في طريقنا الاَّ جبال ستانوڤوى بين نهر الينا وبحر اخوتوسك وحينئذٍ يكون حمل البلون قد خفَّ فيسهل عليه التحليق فوقها

ولما عنينا بدرس احوال سيبيريا المتيورولوجية ثبت لنا ان منشوريا والجنوب الشرقي من سيبيريا عرضة لامطار غزيرة وبوارق في شهري يوليو واغسطس . وهذه الاحوال الجوية تضع عقبات كاداء في سبيل تحقيق الرحلة بل قد تجعلها مستحيلة . فقررنا ان ننقل خط سفرنا الى الشمال ما استطعنا فوق مصبي نهري الاوب واليسي ثم فوق منتصف نهر الينا فوق جبال الستانوڤوى . وكان السفر فوق هذا الخط ذا قيمة جغرافية خاصة لانهُ يمكننا من ارتياد مجاهل سيبيريا الشمالية من الجوّ . ولسوء الحظ لم تتبع هذه الطريق لاننا لما كنا محلقين فوق روسيا المتوسطة بعيد قيامنا من فردريكسهافن جاءتنا الانباء اللاسلكية بأن عاصفة شديدة ثائرة في شمال روسيا الاقصى في الولايات المجاورة لسيبيريا . وعليه فجبال الاورال في الشمال التي يبلغ ارتفاعها سبعة آلاف قدم مغطاة بالثيوم المتلبّدة . فاذا سرنا في خطتنا المرسومة اضطررنا ان نرتفع في بدء رحلتنا — والبلون لا يزال متقلاً — الى علو سبعة آلاف قدم. وهذا الارتفاع لم يكن في مستطاع الفراف زبلين . فاضطررنا ان نسير اولاً الى الجنوب فاجتزنا جبال الاورال على ٦٥ ميلاً الى الجنوب من اكاترنبرج حيث قل التيصر وأسرتهُ وكان الجو صافياً والهواء ساكناً فلم نضطرَّ ان نرتفع بالبلون فوق طاقته

وقد مررنا بعد اجتياز جبال الاورال فوق بلاد جديرة بالاهتمام بها من الوجهة الجغرافية فلم نأسف على تغيير خطتنا في آخر لحظة ونحن في الجو . ذلك اننا رأينا في الجهة السيبيرية من جبال اورال عشرات من الحرائق الكبيرة التي تشبّ في الحراج وكان الدخان الكثيف المتصاعد منها يغطي مساحة من الارض تزيد على مائة ميل مربع فيحجب منظر الارض عنا . واضطررنا احياناً ان نمرَّ في طبقات الدخان عشرات الاميال من غير ان يتجلى مشهد الارض لنا من خلالها . وكانت رائحة الحرائق منتشرة انتشاراً عظيماً حتى ظللنا مرّةً نشمها حتى بعد اجتيازنا لمكان الحريقة بضع ساعات

وبعد ما قطعنا هذه المنطقة اتجهنا الى الشمال الشرقي فوق منعطف من منعطفات نهر الاوب فوصلنا فوق منطقة « التيجا » وهي مستنقعات شاسعة على جانبي النهر فطرنا بضع مئات من الاميال فوقها ثم شاهدنا سلسلة من برك الماء تليها بحيرات وكلها متصلة بعضها ببعض بمستنقعات وتلا ذلك حراج تمتدُّ عشرات الاميال. والاثر الذي تركتهُ تلك الناحية في ذهننا هو انها

بقعة مقفرة لا تصلح للانسان ولا للحيوان بل ولا للطيور المائية فانا لم نرَ اثراً لها هناك

وعلى الضدّ من هذا المشهد الخاوي المقفر تحتنا كانت سفينتنا الجوية تشقّ طريقها في الفضاء وركابها يروحون ويجيئون ويأكلون ويسمرون كأنهم على متن سفينة ضخمة من السفن التي تمخر البحار. ومع ذلك لم استطع ان ابعد عن ذهني صورة مخيفة . ذلك انهُ اذا اضطررنا ان ننزل في تلك القفار فلن يتاح لاحد منا أن ينجو من هذه المستنقعات

طرنا فوق هذا القفر الخاوي ليلة كاملة من الساعة السابعة مساء الى الساعة التاسعة صباحاً فلما جزناهُ شعرتُ كأن عبئاً ثقيلاً نزل عن عاتقي وأخيراً لما بلغنا نهر النيبي شعرت انهُ رغماً عن بعده وانفراده طريق سليم يفضي بنا الى قرى وناس

ولما كنا لا نستطيع ان نعرف من الخرائط التي معنا النقطة المعينة التي وصلنا اليها في مجرى هذا النهر اضطررنا ان نجري فوقهُ الى الشمال لكي نصل الى المحطة اللاسلكية التي في بلدة تدعى « اباتسك » . فسرنا فوق ضفاف لا اثر للعمران عليها فانا لم نرَ كوخاً على جانبي النهر ولا زورقاً على سطحه . وبعد مسيرة ساعة وصلنا اباتسك . ولا بدَّ ان يكون ظهورنا فوق تلك القرية قد أثار الرعب في الاهلين الذين تضواحيائهم في تلك البقعة النائية لا يعرفون شيئاً عن مستحدثات العلم والصناعة فانا لم نرَ احداً منهم خرج من داره وكان في الشارع ثلاثة حيوانات او اربع من حيوانات النقل فهربت الى زرائبها

ومن ثمَّ اخذ مشهد المستنقعات تحتنا يتبدل بارض جرجاء تحددها هنا وهناك أودية عميقة ولكنها كلها مقفرة من الناس ومن آثارهم . والتفتنا الى الجنوب والى الشمال الغربي فرأينا سلاسل من الجبال متدرجة الارتفاع . وظللنا على هذا المنوال حتى وصلنا الى نهر تونغوسكا فسرنا محاذين لهُ ثلاث ساعات لم نرَ في اثناء الاّ زورقاً واحداً وثلاثة رجال واربعة اكواخ او خمسة على ضفافهِ مع انهُ على ما ظهر لنا يصلح للملاحة

وقبيل غروب الشمس اصطدمنا بعاصف من الريح فحاولنا التغلب عليهِ بالارتفاع فوقهُ ولطرنا الى الامام فشاهدنا جداراً كثيفاً من الغمام ولكن الارض تحتهُ كانت منورة بنور الغروب . واذ نحن نحاول الارتفاع فوق الريح ارتجَّ البلون ارتجاجاً مخيفاً ولكنهُ لم يلبث حتى استقرَّ ومضى في سبيلهِ

وفي الساعة السابعة مساء وصلنا فوق مدينة يا كوتسك المشهورة بتجارة الفراء الروسية ومن هناك قامت جبال الستانوفوي امامنا فصرنا نسير فوقها صُعُداً فرأينا من المشاهد الطبيعية الفتانة ما عوضنا من الساعات الثلاث التي قضيناها فوق المستنقعات

وكنت قد عزمت بدرس هذه الجبال قبل بدء الرحلة فلم اجد في كتب الجغرافيا شيئاً علمياً عنها. ولكنني وجدت في احد الكتب ان متوسط علوها لا يزيد على ٣٥٠٠ قدم وان اعلى قممها لا يزيد على ٥٠٠٠ قدم. فظهر لنا من ذلك انهُ اذا اتفق وكانت هذه الجبال محجوبة بالغيوم امكننا اجتيازها بالارتفاع الى علو يتراوح بين ٥٣٠٠ و ٥٦٠٠ قدم من غير ان نتعرض لخطر ما. والحقيقة ان هذه الجبال تتدرج ارتفاعاً من الغرب الى الشرق فاذا طرنا لدى بلوغنا اياها على علو ٣٣٠٠ قدم. ولكن لما اجتزنا طرفها الشرقي اضطررنا ان نرتفع الى علوّ ينبان من ٦٢٠٠ الى ٦٥٠٠ قدم فحمدنا الله صفاء الجوّ الذي مكننا من اجتيازها بسلامة لانهُ لو كانت هذه الجبال محجوبة بالغيوم واعتمدنا في اجتيازها على قول الكتاب الجغرافي لاصطدم مقدم البلون باحدى قممها. وثمة سبب آخر لحمدنا. ذلك ان بحر اخوتسك الذي يلي هذه الجبال مشهور بين البحارة باشتداد العواصف فيهِ وتلبد الغيوم الكثيفة. ولكننا لما طرنا فوقه كان تحتنا صفحة صقيلة من الياقوت الازرق

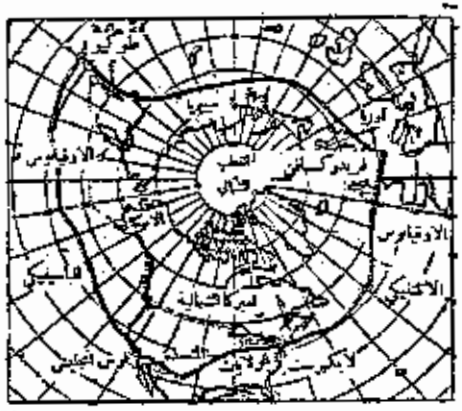

وكانت بعض الجبال على جانبي هذا البحر مغمورة بالثلج فرأينا في مقابلتها بالبحر فتنة رائعة

وبلغنا بورت لايان وهي آخر ثغور البلاد فانتهت بوصولنا اليهِ رحلتنا عبر القارة الآسيوية. وكان الغروب والجوّ صافٍ فأخذنا نستعدُّ لقطع القناة الضيقة الفاصلة بين جزيرة سخالين وشواطىء آسيا ليلاً ولكن عند منتصف الليل تلبدت حولنا الغيوم فجأة وأخذ المطر ينهمل بغزارة فعرفنا اننا ادركنا اعصاراً مرَّ امامنا في اليوم السابق. فحمدنا الله. ولكن هذه العاصفة جاءت معواناً لنا لان ريحاً هبَّت من وراء ظهورنا فحملتنا معها وزادت سرعتنا. على ان الحالة كانت تقتضي كل دقة في الملاحة لاننا كنا نطير فوق بحر ضيق تحف بهِ الجبال العالية عن جنبتيهِ فهبَّت شديدة من الريح تدفعنا الى اليمين ارالى اليسار ويتحول الفوز الذي احرزناه الى فشل فنجم فارتفعنا الى علوّ ٦٥٠٠ ميل لنجتنب كل اصطدام بالجبال. ومع ذلك فرحنا فرحاً لا يوصف لما طلع النهار ومكننا من رؤية ما نحن فيهِ وقضينا اليوم الثاني الى الساعة الخامسة مساء تقريباً وحلنا طوكيو فلما بلغناها كنا قد قطعنا من فربدركسها ثمن اليها ٧٥٠٠ ميل في اقل من مائة ساعة

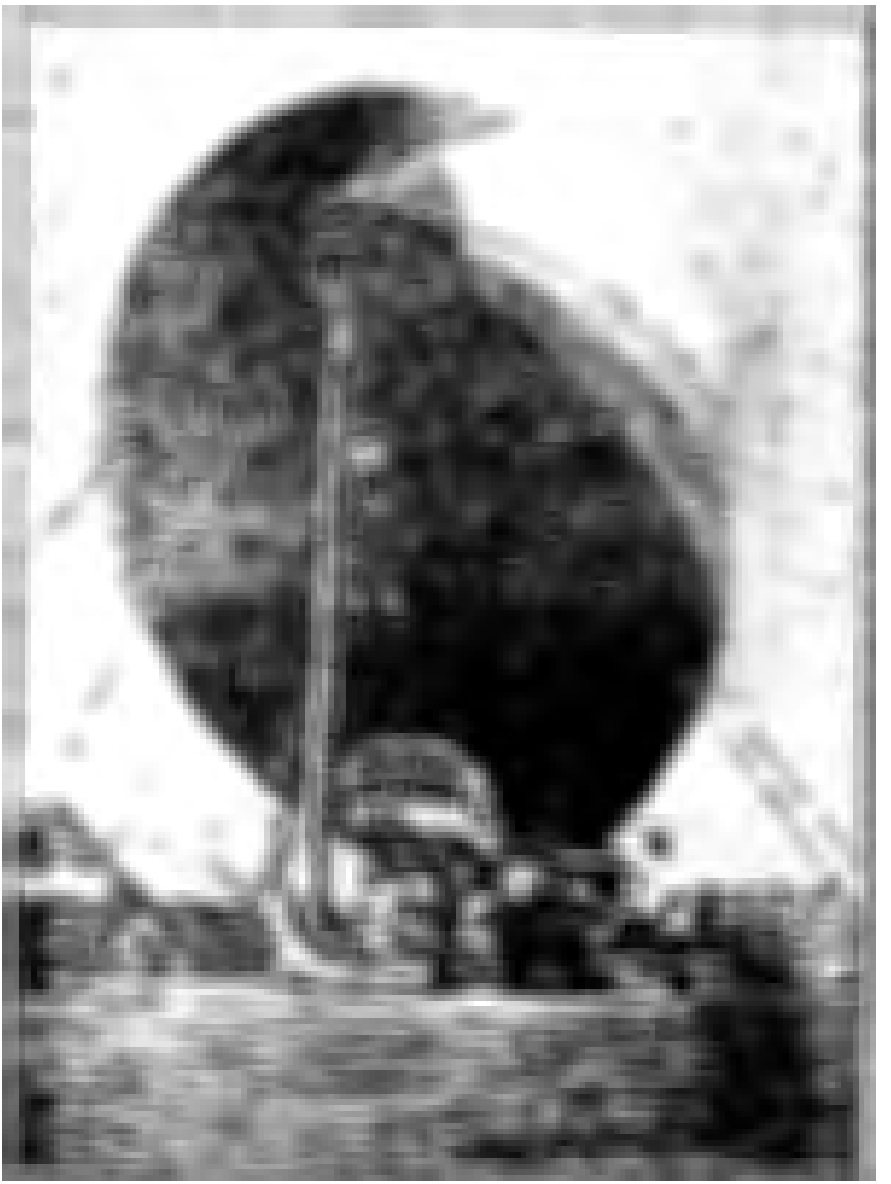

الثور غراف زبين قيس قيامه من لايكهرست نيو جرزي في رحلته حول الارض
مقتطف نوفمبر ١٩٣٠ تمام الصفحة ٤٨٥

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ومهنتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اتحاد النسائي السوري اللبناني

خطاب السيدة جوليا دمشقية

في مؤتمره المنعقد في ٢٣ — ٢٦ ابريل ببيروت

ليست غاية المؤتمر الا نتيجة اجتماعية لتطور نفسية المرأة ، وانقلابها الفكري التابع للانقلابات العامة ، في المعتقدات، الدينية ، والسياسية والاجتماعية . هي مظهر من مظاهر الفكر الذي وان لم تره العين، فقد تخطت اشعته اسوار الحدود التي قامت في سبيله حتى الآن لتمتزج بموجات الافكار الاخرى الجديدة في الحياة التي تولدت من الاكتشافات العصرية والاختراعات العلمية ، والصناعية . هي صورة من صور الحياة التي تتلمس دائماً ما حولها من الاحياء لتنضم اليها فتزداد قوة ومناعة

هذه قضايا ثلاث يسلم بها علماء الاجتماع وتلاميذهم من اخوتنا الرجال ، ولكن لا اعلم هل هم يتيحون تطبيقها على النساء ايضاً في ما سوى التطور في الجمال والازياء . ولهذا لابدَّ من ان يتساءل بعضهم عما تنطوي عليه نياتنا من هذه الحركة الفكرية الجديدة في الشرق وقد انضمَّ تحت لوائها سيدات من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان . ولازالة ما قد يعلق بالاذهان من المشوهات لجمال غايتنا ، اشرح اجوبة مقتضبة للسؤالين التاليين :

١ — لماذا نحن النساء هنا مجتمعات ، وعلى ماذا نحن مؤتمرات ؟

٢ — لماذا اتركنا رجال حكومتنا ومحافلنا في جلستنا هذه الاولى ونحن ظاهراً في عملنا مستقلات ؟

منذ يفتح ابن آدم عينيه للنور يندفق منهُ واليهِ تيار كهربائي يصله بباقي المخلوقات الحية ، وهو لا يفتأ عن التقرب منها والالتصاق بها والعمل معها ولها ، فهو مرتبط بها كل الارتباط لا ينفكُّ عنها الاَّ بانفكاك اعضائه وانطلاق روحه الى عالم اللانهاية . ولو شئنا انصاف علماء

الفلسفة لقنا ان كل مخلوق متصل بكل ما في هذا الوجود قبل ان يولد وبعد ان يموت

أفليست المرأة هي احدى تلك المخلوقات الحية ذوات الفكر الذي يتطور مع تطور الاشياء ؟!!

أليست هي احدى تلك المخلوقات الحية التي تتطلب الانضمام بحكم الطبيعة الى ما يجانسها تكويناً ومزاجاً من الاحياء الاخرى فتزداد قوة ونمواً ؟ ! !

بزغ النور فكحلت به المرأة عيونها . اشرقت الشمس فرجحت بشعاعها اشعة روحها وكهربائيتها . انتجت الارض محاصيلها وأثمارها فهفت اليها اعضاؤها . هبت العاصفة فاهتزت لها اعصابها . زلزلت الارض زلزالها فتخلخل مجموع كيانها . اسدل الظلام ستائره فملع منهُ فؤادها . وراحت تختفي تحت رهيب استاره

انه ولسوء الحظ قد طال ليلها . وأبى ذاك الظلام مغادرة خدورها . حتى خيل للرجال ان للمرأة عالماً مستقلاً تمام الاستقلال عن عالمه وانها في سبات ما من يقظة لها بعده ، ونسي ساحه الله وعافاه ، ان الحياة الكامنة لوقت طويل هي اضمن للحياة المقبلة من تلك التي تظهر للوجود بين عشية وضحاها شأن تلك الاشجار التي لا تنبت ان تورق اشجارها وتعقد اثمارها ، حتى يلفحها هبوب العاصفة ، فتقضي عليها لتعود الى امها الطبيعة هباءً منثوراً

نعم نامت المرأة تحت ما يسميه الكتّاب نير العبودية ، ولكنها في الحقيقة التي لا جدل فيها انها لم تذق للنوم طعماً . وهل من انجبت الابطال وأوجدت النوابغ ، وغذت بلبها البنين والبنات ، جيلاً بعد جيل ، يجوز ان ندعوها نائمة ؟

سادتي — بينما كنتم انتم تتقلدون المناصب السامية ، وتخوضون غمار السياسة والتجارة ، وبكلمة كنتم تمثلون جميع ادوار الحركة والحياة ، كانت المرأة تتمخض عن روح حية تحيش في صدرها وفكر يختمر ورويداً رويداً بين احشائها حتى مطلع الحرب الكونية . عندئذ ادخل الرجل ذلك المرأة الثاني ، حلت هي مكانه في ساحة الاعمال الحرة حيث تجلت قواها الكامنة فبرهنت عن مقدرة ونبات وحنكة رفعت مقامها للمستوى اللائق بها الذي تراها فيه اليوم في العالم الغربي

وضعت الحرب اوزارها ، وعاد الرجل الى تتمة جهاده في حلبتي الاقتصاد والادب ، فأسس الشركات ، وشكل الجمعيات والنقابات ، حتى بتنا لا نرى اليوم رجلاً واحداً منعطاً لا ينتمي الى جمعية او حزب او نقابة ، كأنه بذلك اراد ان يزيد قوته مناعة ضد طوارئ الدهر التي ذاق سمها الامرين . وهكذا قد حل في ايامنا هذه تأثير الجماعات محل تأثير الافراد ، واصبح من اخص صفات الحياة الحاضرة . ثم انه كان للجمعيات المنظمة على الدوام تأثير شديد في حياة الامم : ان هذا التأثير لم يبلغ في زمن من الازمان مبلغه في الزمن الحاضر

رأت المرأة كل ذلك ، وادركت انه لا بدَّ لها من اللحاق بالرجل ، وهي شريكته في

الدكتور هيوغو كبر

في البلون غراف زبلين وربانهُ . وقد طلعا في صحن اميركا على انهُ
بدأ العمل الآن في بناء بون ضخم جدًّا سعتهُ نحو ستة ملايين من
الاقدام المكعبة للمواصلات بين ورو وأميركا الجنوبية

تمام الصفحة ٤٤٨

الجهاد والنهضة ، فأسست الجمعيات العديدة التي وان اختلفت غاياتها . فهي كلها ترمي الى اغراض سامية « كعضد اليتيم » و « اغاثة البائس » و « مأوى العجزة » و « مقاومة السل » و « الرحمة المتبرة » . وقد تناولت تلك منهن تنشيط الصناعات الوطنية كجمعية « النهضة النسائية » وجمع كلمة المرأة وتعزيز مقامها « كجامعة السيدات » و « تهذيب الفتاة » . والسعي دور للمرضى والاندية الادبية، الى ما هنالك من الاعمال التي قامت بها جماعات من النساء كل تعمل بمفردها في الحي او القرية ، او المدينة التي تقطنها

لم يمض زمن قصير على تأسيس هذه الجمعيات المختلفة ، حتى شعرت اعضاؤها العاملات بلذة العمل ونبل المسئولية ، فاستزادت منها وسرت عدواها في الاقطار العربية كافة ، وراحت الصحف تنشر اخبارها وتقرظ حفلاتها وجعل القوم يقبلون على نصرتها بالقول والفعل حتى شعر الناس جميعهم بقوة تأثيرها وشعرت تلك الجماعات النسوية بوجوب الاستزادة من المعرفة في كيفية تنظيم صفوفها ودرس احوال البلاد درساً يؤهلها لتأدية الخدمة التي تسعى اليها بشكل يتمشى مع المدنيات الاخرى الراقية

شاقها ماتسمعهُ عن اعمال المرأة وجمعياتها في البلدان الاخرى وعما وصلت اليهِ من القوة والتأثير من الوجهتين الادبية والاجتماعية ، فارادت هي كذلك لنفسها وبلادها ما لاولئك. ولكنها ادركت في الوقت نفسهِ ان القوة التي لكل منها على حدة يجب استخدامها للمصالح العامة ، ولا يمنع من اتساع نطاقها وازدياد تأثيرها سوى عدم ارتباط بعضها ببعض فلا بد اذاً من السعي لتوثيق عرى المودة والاتلاف بين الجمعيات على اختلاف غاياتها وطوائفها . وذلك بلمّ شعثها وتوحيد صفوفها باجتماع عام كهذا الذي ترون ، تعقده ولو مرة على الاقل في كل سنة . وهذا ما دعاهن الى تسمية هذه الفئة التي اخذت على نفسها تنظيم هذه الاجتماعات « الاتحاد النسائي »

لا وحياتكم ايها السادة اننا لم نقصد بهذه التسمية سوى الدلالة الصريحة على ما تنويه هاته الفئات — التي كانت معجزة نبا مضى — من الجهاد الموحد والخدمة المجردة

سيدي نخامة الرئيس . وسادتي معالي وزراتنا الكرام

كونوا على ثقة ، اننا لم نقصد يوماً من هذا الاتحاد سوى الاعتصام بالقوة السامية التي ترتفع عن كل مايشين سمعة نهضتنا النسائية الحاضرة ، تلك القوة التي ترفع عن العمل في الخفاء ، او بث الدعايات المشبوهة او عرقلة مساعي حكومتنا المحلية[1] كلا ، بل ان الاتحاد

(١) كنا طلبنا رخصة من الحكومة فلم جميتنا « الاتحاد النسائي » فرفضت الترخيص لنا خوفاً من كلمة اتحاد واشارت علينا بتسمية الجمعية « المؤتمر النسائي » نتأمر! وهذا ماحدا بي الى مخاطبة الحكومة مكذا

الذي نعنيه هو تلك القوة المعنوية التي حشاها من النزول الى الانقسامات الارضية ، بل تسير طليقة حرة فوق رؤوس بنات الله في الشرق والغرب على السواء تدعوهن للسير تحت راية «الاتحاد النسائي» لا السياسي ، لنشر الحرية والعدالة والسلام العام .

فللاسباب التي حثثت على ذكرها ، وطلباً لتلك القوة التي لا يمكن تحقيقها بسوى الانضمام والائتلاف نحن النساء هنا مجتمعات . وعلى توحيد النيات ، والغايات ، بدرس طرق التربية ، والتهذيب ، ومواضيع العائلة او الامومة ، والاقتصاد ، والظهور ، والعادات ، نحن مؤتمرات

والآن اتقدم الى الجواب على السؤال الثاني : لِمَ اشركنا حكومتنا المحلية وصحافيينا الكرام في جلستنا هذه الاولى مع اننا ظاهراً في عملنا مستقلات ؟

إن الامة ليست كوماً من الرمال تذروه الرياح وتبعثره ، ولكنها جسم حي كبير تجمعهُ روح واحدة مكونة من ارادات مختلفة ومن افكار مشتركة . ويجب ان تكون تربية الامة قائمة على المحافظة على هذه الروح . وكيف يتسنى لنا ذلك اذا انفردت المرأة عن الرجل بعلمها وعملها وطرق تفكيرها ؟ او انفرد الشعب عن حكومته بتنظيم جهوده وعقائده وتكوين آرائه ؟

كلنا يعلم ان اعضاء الجسم الواحد وان اختلفت وظائفها بعضها عن بعض فكل منها يؤدي الوظيفة التي خلق لاجلها ، لا غاية لهُ سوى اسعاد واحياء ذلك الجسم الذي هو جزء صغير منهُ ، اما اذا طرأ طارئ وانفصل عنهُ شُلَّ في الحال ومات

هكذا نحن النساء وان فزنا بالاستقلال في الظاهر تبعاً لما فرضتهُ علينا العادات الموروثة من الوقوف جانباً في جميع شؤون الحياة ، فنحن الاعضاء الحية الرئيسية المكونة لجسم الامة . وكل ما نأتيه سواء أكان في عالم الاعمال ام الاقوال هو موحى من هذه الامة وراجع اليها . ولكي نبقى على اتصال دائم مع بقية اخوتنا الاعضاء ، وحرصاً على التقرب والتفاهم المتبادل مع اخينا الرجل ، الامرين اللذين لا بد منهما لنجاح مسعانا — والبعد جفاء — جئنا نعرض الساعة هذه امام رجال حكومتنا المحلية وهي الهيئة المسيطرة على الامة ، وقوادنا المفكرين وهم الممثلون للاعضاء الباقية من اخوتنا الرجال ، صورة من اعمالنا وثمرة من ثمرات جهودنا النسائية علَّهم باخلاصنا يثقون وصواب خطتنا يعتقدون

عند هذا الحد ينتهي بي الواجب الذي تحدد لي غاية المؤتمر والى هنا تسير معي اخواتي الاعضاء ككتلة واحدة ، لا كافراد غير ان هذه القوة التي سلحتني بها هذه الجمعيات المتحدة وهذه الروح التي استمدها الآن من مجموع الارواح المشتركة ، تجرئني وتشدد عزمتي على اغتنام فرصة عليا لا تعود ، فابوح ببعض الاماني التي لم تزل مدفونة في صدور الكثيرات من بنات بلادي ، تلك الاماني التي وان كان الكلام فيها اليوم همساً ، اخاف ان الحوادث

السرعة ، والانقلابات المستعجلة ، لا تترك لنا مجالاً كما فيما مضى للتأني ، والسير التدريجي للوصول الى هدفنا المشترك

قالت احداهن : « ولماذا نحن النساء نخاف ان نرفع صوتنا في طلب الاصلاح حتى في الشؤون الصحية التي لها مساس بصحتنا وصحة اولادنا ؟

وقالت الثانية : « ولماذا عدد مدارس البنات قليل جداً اذا قيس بمدارس الذكور ، والاهتمام بهذه من جانب الحكومة والاهلين يزيد اضافاً على اهتمامهم بتلك ؟

وقالت الثالثة : « لماذا نسمع كل يوم خبراً جديداً بتأسيس نادٍ ادبي او رياضي للرجال ونحن حتى الآن لم تساعدنا الحكومة لتأسيس نادٍ واحد نقيم فيه حفلاتنا واجتماعاتنا ؟»

وقالت اخرى : « لماذا ونحن في عصر الحرية والنور نسمع كل يوم عن استبداد بعض الرجال بالمرأة واحتقارهم لها ، وابتذالهم لكرامتها ما يحرجها فيخرجها للانتقام لنفسها بما هو محط بشأن الجنسين معاً ، فالامة جمعاء ؟ »

وهنالك الف لماذا ولو جئت على تعدادها لاستغرقت الساعات ، لا الدقائق المعدودات سادتي — سواء كانت المرأة على صواب في جميع طلباتها او لم تكن ، هل يمكننا ان نتعامى عن شتى الحواجز المنصوبة في طريقها ، التي تعيقها عن السير الى الامام ؟

وهل ترون من الحكمة دوام الصبر على هذه الحواجز بعد اليوم والى متى ؟

اخواني ، ولا اظن ان فيكم من ينكر عليَّ هذه الاخوة ولو فرقتنا المراتب ، فالمرأة اخت الرجل شاء او لم يشأ ، زد على ذلك ان هذه الاخت تطلب قسطها من الحياة ، فلا تقفوا في سبيلها . واذا خطر لاحدكم ان يمضي في جهاده منفرداً فسيضطر عما قريب ان يقف في سيره على مفرق الطرق حيث ينتظر وصول نصفه الاقضل — بعد امركم — ليسيرا معاً ، اذ يستحيل عليه ان يصل الى غايته منفرداً بل يتعرض حتماً للسقوط والضلال

افتحوا بوجه المرأة ابواب العلم والعمل ، والاَّ طلبت الحياة من حيث لا تريدون وانتم المسؤولون . اشركوا المرأة بآمالكم وامانيكم ، والاَّ انجهت عواطفها الى ما تكرهون وأنتم الملومون . اشركوا المرأة بمسراتكم واسفاركم وبجالسكم والاَّ .... وانتم تعلمون !!

ان المرأة تريد ان تحيى ، وها هي الحياة تدفق بغزارة وسرعة من كل ما تراه العين وتسمع به الاذن . صباح متواصل ، ونداء ملح من السماء والارض والبحر ، من افواه الآلهة القديسين والملائكة الابرار ، من افواه المكتشفين والمخترعين على الاسلاك الجوية والبرية ، في المجلات العلمية والصحف السيارة ، دعوة عامة شاملة الى جميع مخلوقات الله من الانسان الناطق الى الحشرة المستترة عن العيان ! الى الحياة ! ! الى الحياة ! ! الى الامام ! ! !

اوهام الحامل

لقد اسفرت المباحث التي عني بها بعض الاطباء في عدد غير قليل من السيدات في زمن الحمل عن نتائج حسنة جداً مما تدعو بل تفرض على كل امرأة حامل الاهتمام بمعرفة ما يحيط بها من احوال وتستهدف له من طوارئ ومفاجآت وان تنقل ما تتناقله الالسنة من عقائد وعادات سخيفة فتها قائمة على الوهم بعيدة عن الصواب وعليها ان تلجأ الى طبيب مولد فيرشدها وينير ما تراه في طريقها من ظلام ومنهُ تفهم انهُ لا علاقة بين وجوه الشر في مختلف ادواره وبين جنينها في نشأته ولا اثر له في تذكيره ولا في تأنيثه ولا في طول قامته ولا في قصرها ولا في سمنه ولا في نحافة جسمه وتتأكد منهُ ان معظم ما كانت تسمعهُ من الاقاويل ليست الا خرافات واوهام

معرفة جنس الجنين

لم يدرك العلم حتى يومنا هذا قوة التحكم في نوع الجنين اي ليس في مقدرة احد ان يجعل المرأة تلد ذكراً اذا شاء او انثى اذا احب، ولا يستطيع ان يتنبأ بنوع الطفل الذي تلده المرأة من حصر ضربات قلب الجنين في الدقيقة ولا من انواع المآكل التي تميل اليها الحامل ولا من الوضع الذي يكون عليه الجنين في الرحم ولا من مشيتها او جلستها وليس في ذلك جميعاً ما يستدل منهُ على حقيقة نوع الجنين أأنثى هو ام ذكر . وسئل مرة المولد الاميركي الشهير الدكتور وليم ، ماذا تقول للمرأة الحامل عند ما توجه اليك سؤالها عن نوع جنينها فاجاب يقوله اني اسألها اي نوع تحب ان يكون جنينها فانها بخلاف ما تريد ان يكون حتى اذا جاء كما تريد انساها فرحها ما قلتهُ لها ، واذا جاء الجنين كما انبأتها به اصبحت في نظرها رجلاً عظيماً . أما الطعام فكلي منهُ ما يكون سهل الهضم ملائماً لذوقك ولا تذهبي فيه الى حد الاكثار فيسوء هضمهُ وتصابين بالتخمة او التلبك كما يقولون ولا تنسي ان تأخذي مقدار

رطلين من اللبن في اليوم اما مطبوخاً بانواع الاكل واما سائلاً صرفاً . وسبب ذلك ان الجنين يحتاج الى زيادة مايحتويه جسمك من الحليب ولاسبيل للجسم ان يحصل على الكفاية من هذه المادة الا بهذا المقدار من اللبن (الحليب) فضلاً عما يدخل اليه منهُ مع بعض المآكل التي تتغذين بها

العناية بالاسنان

واذا شعرت بالم في سن او ضرس اتعجي حالاً الى طبيب الاسنان لمداواته واجراء ما يراه لازماً لهُ ولا تبالي بما تقوله العامة من الاقاويل الخاطئة فانها قد تبعث فيك الخوف من الذهاب الى طبيب الاسنان على الجنين وهو خوف او حذر لا محل لهُ في نظر العلم وفي امكان الطبيب ان يداوي اسنانك ويزيل ما يكون بها من الم من غير ان تتعرضي انتِ او جنينك لخطر ما . ولك ان تأكلي من الطعام ما تشائين على شرط أن لا تتجاوزي في الاكل حد الشبع . واذا وقع اختيارك على انواع المآكل السهلة للهضم والغنية بقيمتها الغذائية كان ذلك ادعى الى توطيد نظام معيشتك ونمو جنينك ويحسن بك ان تكثري من اكل الفاكهة والخضروات وشرب الماء

اما الرياضة فالمشي في الخلاء افضل انواعها ولا سيما في اواخر مدة الحمل وعليك ان تامي تسع ساعات على الاقل نوماً هادئاً وفي الوضع الذي يريحك . واهم شروط العناية بالحامل هي ان تذهب في اوائل شهور الحمل الى طبيب العائلة وتستعين بعلمه وفنه على تخفيف اعباء الحمل وما ينشأ في مدته من طوارىء واحداث . ويرى الطبيب دفعاً لها ووقاية للحامل منها ان يدرس تاريخ العائلة فضلاً عن تاريخ المسألة نفسها ويجري البحث الدقيق في الدم والبول والاعراض الاكلينيكية وضغط الدم ووزن الجسم وقياس الحوض . وعليها ان تواظب على زيارة الطبيب مرة في الشهرة في اوائل الحمل وفي اواخره مرتين في الشهر الا اذا رأى موجباً لاكثر من ذلك

والحمل حادث طبيعي لاخوف منهُ ولكن قد يطرأ احياناً على الحامل طوارئ تكون بسيطة جدًّا في حدّ ذاتها انما الاهمال يجعلها وبيلة العاقبة نذكر منها اضطراب الجهاز الهضمي في اوائل الحمل والجهاز البولي في اواخره . واقل اهمال في بحث اسباب اضطراب كلا الجهازين يؤدي الى اسوإ نتيجة وخصوصاً اذا كان الاضطراب واقعاً في الجهاز البولي . وتأييداً لهذا القول اذكر حادثة جرت لزميل فاضل قال دعيت لعيادة السيدة نفيسة احمد من سكان شبرا في اوائل سبتمبر الماضي فوجدتها بحالة شيوبة وهي في الثامن من شهور الحمل وانهُ وهو يجري الكشف عليها حدث لها نوبة تشنج عنيفة زعزع أيمانه بشفائها وعلم انهُ قد عاودها طبيبان في صباح ذلك اليوم ووصف لها الدواء وان احدهما طلب ان

يرسل انبول للبحث. ولم تكن قبل ذلك اليوم تشكو علة بل كانت في جميع مظاهرها عادية. وبعد مداولة قصيرة اقنع زوجها ووالدتها بضرورة نقلها الى المستشفى لتوليدها في الحال وفعلاً نقلها بسيارته الى مستشفى كنشر. وفي حال وصولها اجريت لها الاسعافات اللازمة وصار توليدها وبعد ثلاثة ايام رجع اليها وعيها والامل بشفائها وبعد مضي اسبوع فقط نقلت الى بيتها بحالة جيدة. قلت لو لم تنقل نفيسة احمد الى المستشفى وبالسرعة التي تم نقلها اليه ولو لم تسرع طبية المستشفى في اجراء التوليد الاجباري لكان قد قضى عليها المرض لا محالة. وفي سنة ١٩٣٠ دخل مستشفى بلفيو في مدينة نيويورك ١٢٠٠ حامل اعتنت ادارة المستشفى بتسعمائة منهنَّ ولاسباب لم تتمكن من الاعتناء بالثلثمائة وكانت النتيجة ان التسعمائة وضعنَ اطفالهنَّ من غير ان يصبن بمرض ما. اما الثلثمائة فقد اصيب عشرة منهنَّ بمرض الاكلمبسية او التشنج القاسي وذهبنَ ضحية الاهمال. ومما تقدم اظنه كافياً لاقناع القارىء بأهمية العناية بالحامل

صحة المرأة

كانت السيدة المصرية الراقية فيما مضى تأنف من الاعمال المنزلية وتتركها للخدم حتى تربية اولادها كانت تفوضها الى المراضع والمربيات دون ان تشرف عليها وكثيراً ما نتج عن ذلك اضرار جسيمة قاست السيدة منها الامرين وظهرت نتيجتها السيئة على الاولاد في الكبر الامر الذي جعلهم يتذمرون على جهل امهاتهم مما يقاسون من الاسقام والاوجاع. وكذلك كانت السيدة تفوض امر الغذاء وطبخه الى الطباخة الذين لا يعرفون الا طبخ الاطعمة اللذيذة والفطائر الشهية دون مراعاة قواعد الصحة او ما يلائم الجو من الاطعمة الدسمة وغيرها فينتج عن ذلك كثير من سوء الهضم وأوجاع المعدة

اما الآن وقد اخرجت دور التعليم طائفة كبيرة من السيدات المتعلمات اللائي كوّنَّ اسراً تتمتع بكامل الصحة والعافية من حسن تعليمهن واشرافهن على كل اعمال المنزل من نظافة وترتيب وملاحظتهنَّ للغذاء وطبخه وتربية اولادهنَّ على احسن الطرق الصحية وصرنَ لا يأنفنَ من عمل الاطعمة بأيديهنَّ ويرحبنَ بكل ما يزيد في معارفهنَّ لذلك رأيت ان أوافي قارئات المقتطف بما يمنَّ لي او اطلع عليه راجية ان تحوز مقالاتي رضاءهنَّ

في المطبخ

فطيرة عباد الشمس

Sun Flower Cake

المقادير عدد

٦ اوقيات دقيق
٣ » زبد
٤ ½ بيضات
٦ أوقيات سكر ناعم
½ ملعقة بن خميرة Baking Powder
½ » روح البرتقال أو الفانيليا

الطريقة — يخفق البيض جيداً في وعاء ثم يخفق ثانياً بعد وضع الوعاء على قدر (حلة) بها ماء يغلي وبعدها يرفع ويخفق ثالثاً من دون القدر ثم يضاف اليه روح البرتقال والدقيق والخميرة بعد نخلها والزبد بعد اسالته (تسييحه) ويمزج ويعمل تسعان أو ثلاثة من هذا المزيج وتوضع في قوالب مستديرة متساوية الحجم مدهونة بالزبد أو مغطى قاعها بورقة خفيفة مدهونة بالزبد ويخبز في فرن معتدل الحرارة . وبعد ما يبرد توضع الفطائر الثلاث الواحدة فوق الاخرى وبين كل واحدة واخرى قليل من مربى المشمش أو أي نوع من المربى يليق بهذا الغرض وكذلك يدهن سطح الفطيرة العليا ثم يحلى بالمزيج الآتي : —

يخلط اوقيتان من السكر الناعم ومثلها من الزبد واللوز المدقوق أو المفروم فرماً ناعماً وقليل من الفانيليا ثم يعجن ويفرد على هيئة رقاقة صغيرة ثم يقطع على شكل اوراق زهرة (عباد الشمس) وتنسق على سطح الفطيرة

وفي وسط الزهرة مكان البذور يعمل المزيج الآتي : —

اوقية زبد مخفوق وأوقيتان سكر ناعم واوقية شكولاته او كاكاو وقطة او اثنتان من الكرز المسكر

يخلط الجميع ويملأ بهذا المزيج وسط الزهرة على شكل البزور

نحية عبد الحكيم

باب الزراعة والاقتصاد

الازمة العالمية في الصناعة والتجارة

لعمر عنايت

تقع مسئولية الازمة الحالية على فائق المنتج الاميركي اذا ساغ لنا التقاضي عن الحرب العظمى لانه انتهز فرصة نشوب الحرب الاوربية واشتغال العمال الاوربيين في ساحة القتال ليزيد عدد مصانعه . وقد استفاد من هذه العملية كثيراً لانه كان قوام حركة تموين تلك الجيوش والبلدان التي تتبعها . ولما انتهت الحرب خرجت اوربا منهوكة القوى فاستمر «العمل سام» في انشاء المصانع وغزو الاسواق والتفنن في طرق البيع ما شاء له فكره التجاري وابداعهُ . ومن أسوإ ما فتق به ذهنه هو البيع بالتقسيط الذي اغرى المستهلك على الشراء دون حساب . فلما افاقت اوربا من رقدتها وجدت اسواقها تحت رحمة المنتج الاميركي فسارعت الى حماية منتجيها منه برفع المكوس والاسراع في استبدال المصانع الحربية وسُرّ الوطنيون لهذه الحماية فاندفعوا الى الانتاج على اساس الاستهلاك المحلي السابق الواسع النطاق ولكن المستهلك كان قد تورط في الدين فأفاق من سباته وانحصر جهده في تسوية ديونه وبالطبع قلل من الشراء حتى يسدد ما عليه من اقساط فظلت البضائع مكدَّسة عند صانعيها لسببين اولهما عدم اقبال المستهلك على الشراء وثانياً لان نفقات الانتاج كانت كبيرة فلم يكن من السهل على المنتج تخفيض الاثمان لازادة المقطوعية فأثر ذلك اولاً في منتج المواد الخام لتوقف الصانع عن العمل وسيظل كذلك حتى يصرّف ما لديه من البضاعة المخزونة

نتج عن تسيطر « العم سام » على الاسواق العالمية ان زادت ارباح مصانعه زيادة مضطردة تبعها دون شك ارتفاع اثمان الاوراق المالية ارتفاعاً مدهشاً فتهالك المضاربون على الاشتغال بها لجني الارباح الكبيرة فلما اقفلت الاسواق الاوربية ابوابها في وجه الصناعة الاميركية اخذ المضاربون في الاقلال من غلوائهم وحين فجأة هبطت الاوراق الاميركية هبوطاً عظيماً أثر في اوراق العالم المالية وحدث هذا منذ عام او اكثر ولكن لم يلتفت الناس الى هذه الضربة كما لم يلتفتوا من قبل الى كساد المواد الخام

وثمت نظرية اقتصادية في نظرية الانتخاب ومعناها انه كلما زاد الطلب ارتفعت نفقات الانتاج لدخول صناع اقل خبرة واقل استعداداً في عالم الصناعة . وهؤلاء لا يعملون الا اذا ربحوا فالخط الفاصل بين نفقات انتاجهم وبين ارباحهم هو المعتمد في تقدير مصاريف الانتاج كافة بصرف النظر عن وجود مصالح تنفق نفقات اقل على الانتاج وفي مثل هذه الاحوال لا تكون هناك مزاحمة بين المنتجين لان الطلب شديد فالمزاحمة تنحصر على المنتجين على المعروض ولكن اذا فترت حماسة الطالبين وقل الطلب انقلبت الآية فيأخذ المنتجون في مزاحمة بعضهم بعضاً للاستئثار بالطلب المحدود . هذه هي الفترة التي تعد بحق « فترة التصفية » وبعدها يزول من عالم الانتاج اكثر المنتجين نفقات لان السعر لا يزيد كثيراً عن نفقاتهم بل ربما يقل ايضاً ولذلك يفضلون ايقاف اعمالهم وتصفية مراكزهم تاركين الميدان لمن نفقات انتاجهم قليلة فاولئك يربحون الفرق بين ثمن البيع والنفقات . ونحن الآن في فترة التصفية هذه وستظل الازمة مستحكمة حتى يتمكن اصحاب المصانع من تصريف المخزون لديهم باسعار يرتضونها او تضطرهم اليها الاحوال

للانتاج عوامل ثلاثة المواد الخام والعمل ورأس المال . فاذا التفتنا الى بريطانيا وجدناها تعتمد على غيرها من البلدان لاستيراد اهم موادها الخام فاذا درسنا حالة هذه البلاد الموردة وجدناها قد اخذت في تشييد صناعات محلية وستنشط في المستقبل القريب للازادة من المصانع لان ذلك اوفق لها فمصر مثلاً عندها القطن الخام وعندها الايدي العاملة الرخيصة غير المنظمة تنظيماً مهدداً للرأسمالي ولديها كذلك رأس مال يصح ان يكون نواة للعمل المرغوب القيام به فاذا لم يكن العالم الغربي يرحب بفكرة تشبر اموالها فيها فمن صالح مصر ان تنشىء مصانع محلية . وليس هذا فقط بل ويحميها ايضاً من تدفق سيل البضاعة الاجنبية برفع المكوس . واما ما نحتاج اليه من مواد كالحديد والفحم فان اسواق العالم في الوقت الحاضر تتنافس عند تقديم عطاءات التوريد فتشتريها مصر باثمان معقولة خصوصاً وان ليس في صالح تلك البلاد ايقاف عمليات التعدين فيها حتى لا تضطر الى القيام باود المعدنين اذا وقف العمل . وما نقوله عن مصر يصح أن يقال عن كل اقطار الشرق الاقصى والادنى مع فوارق تنتج عن اختلاف البيئات والمواد الخام التي تزرع فيها

ان تنظيم العمال في بريطانيا قد اصبح عقبة عسيرة التذليل فليس في وسع المصانع هناك ان تفصل عمالها حتى لا يضرب بقية العمال عن العمل وكذلك لا تسمح الحكومة بايجاد اضطرابات اجتماعية خطيرة ومن سوء حظ المصانع البريطانية انها في عصر التخصص فقد نشأ كل عامل على اتقان عمل مخصوص فلا يمكن والحالة هذه فتح اعمال جديدة لتشغيل

هؤلاء العمال فيها لانهم لم يتدربوا عليها — هذا ما يقترحهُ بعض الاقتصاديين البريطانيين لحل الازمة الحالية — وعلى فرض ان بريطانيا قد تتمكن من تذليل هذه العقبة فان أي فرع صناعي تبدأهُ المصانع البريطانية يحتاج الى زمن لاعداد اصناف مساوية في الجودة لما تنتجهُ المصانع الماثلة لهُ التي نشأت منذ امد طويل في البلدان الاخرى . فاسواق التخريم (الدنتلا) مثلاً عرفت الاصناف الفرنسية فاذا ما اقدمت بريطانيا على صنع الدنتلا يتحتم عليها ان تناضل نضالاً شديداً لتضع اقدامها في السوق . يضاف الى ما سبق ان اجرة الايدي العاملة في بريطانيا تزيد كثيراً عن امثالها في البلدان الاخرى — اذا استثنينا الولايات المتحدة — فكيف يتيسر لبضائعها مزاحمة البضاعة الفرنسية ومصانعها تتفق على العمال اقل من المصانع البريطانية ولديها احتياطيات متجمعة من صافي الارباح للسنين الماضية فمن السهل على المصانع الفرنسية والحالة هذه ان تضارب مع الخسارة على حساب الاحتياطيات التي لديها وهو مالا يمكن للمصانع البريطانية الجديدة عمله لان تاريخها في هذا الصنف المعين حديث العهد

قرأت حديثاً ان التول يكلف مصنع القطن الياباني ٨ جنيهات حتى ابتدائهِ في العمل مع ان نفقات التول في المصنع البريطاني تقرب من ٢٥ جنيهاً فهذه عقبة اخرى في سبيل الصناعة البريطانية ومن العبث تفهيم البريطاني وجوب استبدال سياسة الانتاج المتين العالي بآخر رخيص يساير التطور الناتج من استدامة تطبيق الاختراعات والاكتشافات الآلية. فالتول الياباني قليل الثمن ويستهلك سريعاً ولكن يمكن استبداله بآخر بثمن رخيص ايضاً يكون مصنوعاً على الطراز الحديث . والآلات الحديثة اكثر انتاجاً من القديمة دائماً اما الآلة البريطانية فانها تعمل عشرات السنين ولكن على وتيرة واحدة . فهي لا تمشي مع العصر ويقال ان آلات مصانع القطن الهندية اكثر انتاجاً من آلات المصانع البريطانية لانها احدث ولكن هذه الآلات الهندية ستكون لسيئًا اقل انتاجاً اذا قيست الى الانوال التي قد تستخدم بعد مرور عشر سنوات مثلاً . هذا بينما نجد الآلات اليابانية تتجدد دائماً مماشاة للعصر

وهناك سياسة اخرى مخربة تجري عليها بريطانيا وهي سياسة «المتانة مع ارتفاع الثمن» مع ان الواجب عليها أن تستبدل هذه السياسة فتقدم للسوق بضاعة يمكن للعامل المتوسط الحال — وهو نموذج اكثر المستهلكين وخصوصاً في البلاد غير الصناعية وفي المستعمرات — شراءها وقد نجحت اليابان والمانيا وتشيكوسلوفاكيا في اكتساب الزبائن الجدد الذين يمثلهم العامل المتوسط الحال فزيادة الطلب صادرة من هذا الصنف من المستهلكين

نستعرض الآن حال دولة اخرى تتبع سياسة المتانة وارتفاع الاسعار ولكن احوالها تختلف كل الاختلاف عن احوال بريطانيا وهذه الدولة هي الولايات المتحدة ولكن الولايات

المتحدة تصدر على اكثر تقدير ٢٠ ٪ من منتوجاتها في حين ان بريطانيا تصدر حوالي ٦٠ ٪ مما تنتجه . كذلك يلاحظ ان متوسط الايراد الفردي للامريكي يزيد كثيراً عن متوسط ايراد البريطاني وتجارة اميركا الخارجية تدور حول سياسة التفريق اي بيع البواقي بعد التصريف المحلي للخارج باي سعر . اما بريطانيا فكانت تتبع قبل الآن سياسة الاحتكار في حالتي البيع والشراء فتضطر مستعمراتها على تسليمها محاصيلها باقل الاسعار وعلى شراء المصنوعات البريطانية باعلى الاسعار . ولكن الحرب قد غيرت الحالة العامة في المستعمرات تغيراً ظاهراً فالمستعمرات المستقلة قد انتفضت واما الحمايات والوصايات والممتلكات ومناطق النفوذ فقد اضطرب حبل الامن فيها وليس من اليسير الضغط عليها مستقبلاً كما كان الحال في الماضي على الاقل . ويتلخص مركز الولايات المتحدة في كونها خسرت جزءاً مما سبق وربحته في الماضي وانها قد ضيقت بعض الشيء في الاسواق الاجنبية ولكن قد ثبتت اقدامها في جهات اخرى وذلك بفضل سياسة التفريق التي تتبعها بما يتبقى من منتوجاتها على العذب

اما فرنسا فلا تواجه ازمة للعمال فهي تستورد عمالاً من الاجانب واظنها الدولة الوحدة التي لا تواجه مسألة العمل في الحاضر وبالطبع قد تأثرت من الازمة الحاضرة ولكن افادها اختصاصها في بعض الصناعات من جهة ومن جهة اخرى كونها زراعية صناعية معدنية كالولايات المتحدة

اما ايطاليا ففي حالة عدم استقرار وهي في الغالب تعمل للاستهلاك الداخلي فهي في طور التدرج ويصح ان يقال ان معظم تأثيرها ناتج من وقع فترة التصفية على مصانعها

***

بقي عليّ التكلم عن اعلام سياسة البضاعة الرخيصة وهؤلاء هم المانيا وتشيكوسلوفاكيا واليابان وكل من الدولتين الاولى والاخيرة تعمل لسد الطلبات المحلية اولاً وعدد سكان كل منهما غير قليل. ثم نجد ان الثلاثة قد قسموا الدول الناهضة فيما بينهم فاهم اسواق المانيا هي روسيا والنمسا وتركيا واسواق تشيكوسلوفاكيا المهمة هي الشرق الادنى على وجه الخصوص واما اسواق الشرق الاقصى فمن نصيب اليابان . ولا تنحصر تجارة هذه الدول مع هذه المناطق فانها تغذي بقية انحاء العالم وقد تمكنت بعض مصانعها من غزو السوق البريطانية المحلية نفسها

فالازمة مستمرة رهناً حتى تتم عملية الانتخاب بين المصانع وسيعقب هذه الفكرة نشاط في الصناعات المحلية التي ستعمل لها كل الامم وربما نتج عنها تحول بريطانيا من سياسة المتانة وغلو الثمن الى سياسة الرخص على ان لا تبدأ هذا بعد فوات الاوان

المعرض الزراعي الصناعي

اغراض المعرض وامتيازات العارضين

من خطبة لفؤاد اباظة بك مدير الجمعية الزراعية الملكية العام

اتخذت الجمعية الزراعية الملكية العدة لتنظيم المعرض المقبل واظهاره بمظهر كبير يشبه مع سير البلاد الطبيعي نحو التقدم في جميع مواردها. وعلى الرغم من الاحوال الاقتصادية الحالية التي لا تدعو للاغتباط الى الآن فان الجمعية عقدت النية على بذل منتهى الجهود ومجالدة الصعاب وانفاق ما يجتمع عليها مركزها من الاموال غير متوقعة فائدة مادية للجمعية من اقامة المعرض وكل ذلك لخير تلك البلاد وسمعتها واظهار قوتها الحيوية في الزراعة والصناعة والتجارة

والغرض من اقامة المعرض هو السعي في تحسين شؤون الزراعة ومنتجاتها بالقطر المصري وترقيتها وتشجيع استعمال الآلات والمواد النافعة للزراعة وانتشار الصناعات التي لها علاقة بالمسائل الزراعية وسائر الصناعات والحرف المصرية بوجه عام ولذلك فان ادارة المعرض لا تقبل المعروضات الواردة من خارج القطر المصري الا ما كان منها ذا صلة بالمسائل الزراعية او تحسين الصناعات المصرية على ان يتبين من كيفية عرضها ان المقصود به هو الارشاد والتعليم

كما ان اهم اغراض المعرض هو تمهيد السبل للمشتركين فيه من المصريين والاجانب للاعلان عن معروضاتهم — وايجاد التعارف بين المنتج والمستهلك وتوسيع نطاق التعاون بينهما وعلى الاخص تحسين حالة البلاد الصناعية ونشر الصناعات بها واطلاع الجمهور والزراع على ما وصلت اليه جهود الامم والهيئات والافراد للاستفادة منها وقد تكونت فكرة اقامة هذا المعرض في صيف سنة ١٩٢٩ ثم قرر مجلس ادارة الجمعية بجلسته المنعقدة في ١٨ اغسطس سنة ١٩٢٩ الموافقة على اقامته في شهري فبراير ومارس ١٩٣١ بالقاهرة

وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٩ حظي بمقابلة جلالة الملك حضرة صاحب السمو السلطاني الامير كمال الدين حسين رئيس الجمعية وحضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون وكيلها للاستئذان من جلالته باقامة المعرض الزراعي الصناعي في فبراير سنة ١٩٣١ تحت الرعاية السامية فقبل جلالته بكل ارتياح اقامة المعرض في التاريخ المذكور تحت رعاية جلالته

وكان قد فكر حضرة صاحب السمو السلطاني الامير كمال الدين حسين رئيس الجمعية بعد انتهاء المعرض الاخير في تخطيط ارض المعرض وانشاء مبانيه اذ خشي انه اذا استمرت اقامة المباني من غير ان يوضع لها خطة عامة فربما تتنافر اذواقها ولا تتناسب اوضاعها لذلك رأى دراسة هذا الموضوع — وفعلا تمت دراسته والعمل جار الآن في المباني التي تشيدها الآن تنفيذا للخطة المذكورة

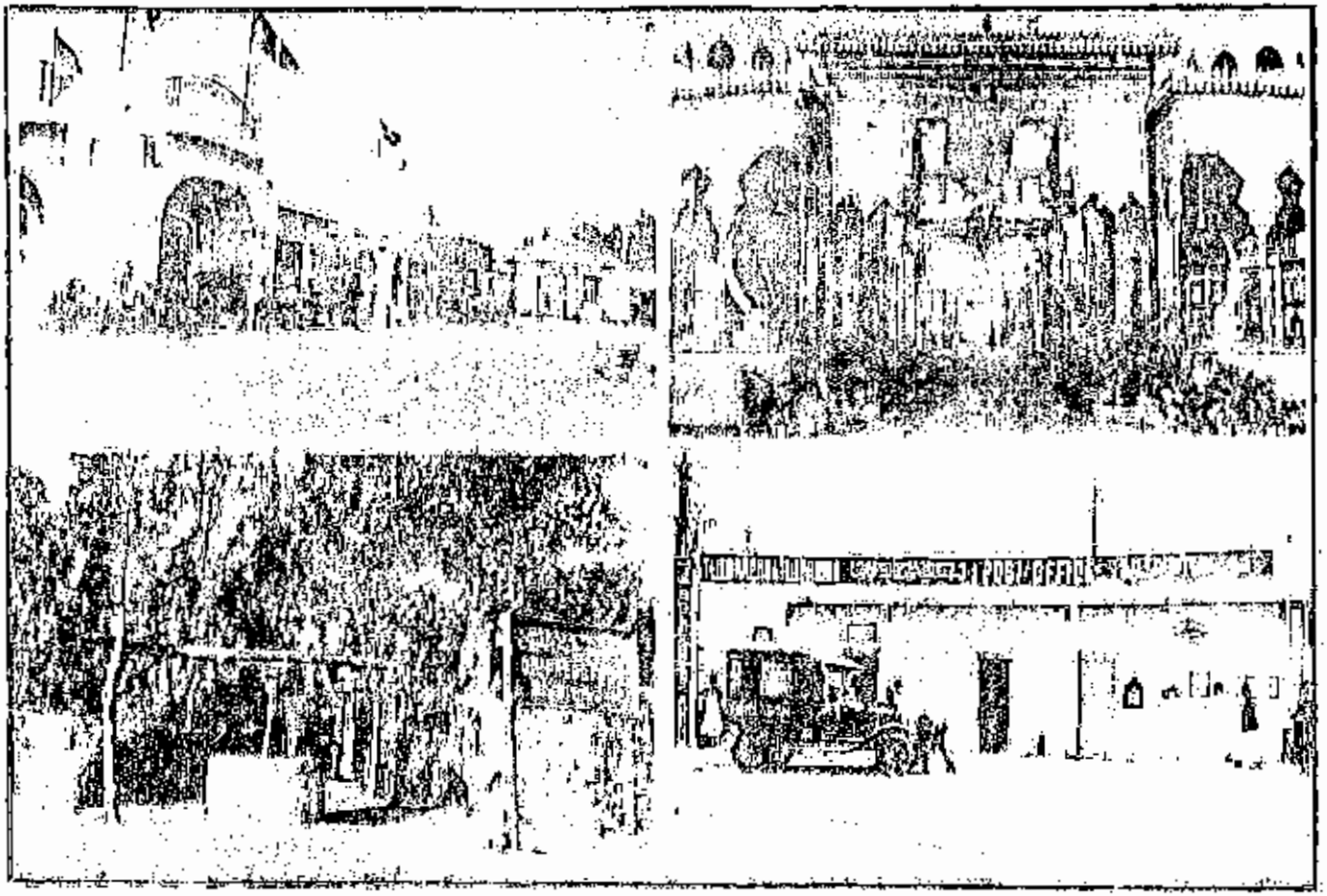

مقتطف نوفمبر ١٩٣٠ اربعة مشاهد في المعرض الزراعي الصناعي الذي اقيم سنة ١٩٢٦ امام الصفحة ٤٦٣

وقد تكونت لجنة للاشراف على اعمال المعرض برآسة حضرة صاحب السعادة عباس الدرامه لي باشا وأعضاؤها حضرات اصحاب السعادة والعزة والجناب حسن سعيد باشا وعبد الحميد بك السيوفي ويوسف نحاس بك وبشرى حنا بك والمسيو يو بك والمسيو البير مزراحي والمسيو برانش وفؤاد اباظه بك مسترشدة في اعمالها بآراء حضرة صاحب السمو السلطاني رئيس الجمعية ونصائح حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون نائب الرئيس

وبتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ قابلت هيئة لجنة المعرض حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وطلبت منه مدّ يد المعونة لمشروع المعرض فأصدر تعليماته للوزارات المختلفة للمساعدة في هذا المشروع الجليل . ولا تزال الهيئات الحكومية مستمرة في بذل جميع انواع المعونة لهذا العمل وقد تم وضع قانون المعرض بالفنين العربية والافرنكية وألحق به كشف بيان اقسامه واليك اهمّها

القسم الصناعي قد خصص له سراي الصناعات الاهلية والمظلات التي حولها وستعاون مصلحة التجارة والصناعة والاتحاد المصري للصناعات من ادارة المعرض في تنظيم هذا القسم. وستكون معروضات المدارس الصناعية في نفس المكان الذي عرضت فيه معرض سنة ١٩٢٦ وتحت اشراف وزارة المعارف العمومية. اما القسم الزراعي فيتفرع منه خمسة اقسام وهي —

(١) الحاصلات الزراعية
(٢) الصناعة الزراعية
(٣) الآلات الزراعية
(٤) الحيوانات والمواشي والطيور
(٥) متحف القطن

وقد تخصص لقسمي الحاصلات الزراعية والصناعة الزراعية سراي جديدة تشيّد بالاسمنت المسلح طولها ٩٠ متر وعرضها ٦٠ متر وتبلغ مساحتها ٥٤٠٠ متر مربع — وستبلغ نفقاتها وحدها ما يتوقع من ٢٢٠٠٠ جنيه . وخصص لقسم الآلات الزراعية نفس المكان الذي كان مستعملاً في معرض سنة ١٩٢٦ مضافاً اليه مظلتان جديدتان

اما قسم المواشي والحيوانات بأنواعها والطيور فقد خصص له مكانه في معرض سنة ١٩٢٦ وسيضاف اليه بعض مباني اخرى عدا المباني الحالية. وخلاف ذلك قد خصص مكان الملاهي والمطاعم والمقاهي وهو متنزه الجزيرة الصغيرة الذي تفضلت وزارة الاشغال ومصلحة التنظيم بالتعريض بضمه الى ارض المعرض لهذا الغرض. هذا وستشترك وزارة الزراعة بأقسامها في المعرض وكذلك الوزارات والمصالح الاخرى — وكما انها ستقوم جميعها بالمعاونة مع الجمعية بحسب

طبيعة علاقة كل منها بأعمال . وقد وافقت وزارة المواصلات على منح التسهيلات الآتية —

الركاب : تخفيض ٥٠ ٪ من اجور السفر المعتادة في الذهاب والاياب في الثلاث درجات للزائرين على كافة الخطوط ماعدا الضواحي. وتخفيض ٥٠ ٪ من اجور السفر المعتادة للعارضين وعمالهم على كافة الخطوط في تنقلاتهم الخاصة بالمعرض لمدة شهر قبل المعرض وبعده

البضائع والمواشي والحيوانات والطيور

نقل المصنوعات الوطنية التي ترسم المعرض مجاناً في الذهاب والاياب

نقل المواشي والحيوانات والطيور بتخفيض ٧٠ ٪ في الذهاب والاياب

نقل باقي المعروضات بتخفيض ٥٠ ٪ في الذهاب والاياب وستنشأ مكاتب للبريد والتلغراف والتليفون بساحة المعرض كذا سيخصص للمعرض طابع بريد تذكاري

وصرحت وزارة المالية لمصلحة الجمارك المصرية باعفاء المعروضات التي يصير استيرادها من الخارج باسم المعرض من الرسوم الجمركية — شرطاً اعادة تصديرها في بحر ستة شهور من تاريخ انتهاء المعرض — اما ما يكون قد بيع منها او بقي داخل القطر المصري بعد هذا الميعاد فتحصل الرسوم الجمركية عنها من العارضين

وستمنح اغلب شركات الملاحة تخفيضات في اجور نقل الركاب والبضائع على بواخرها بمقتضى شهادات تصرف من ادارة المعرض وسيعلن عن اسماء تلك الشركات وقيمة التخفيضات

[المقتطف] لقد اثبت الاختبار ان المعارض الزراعية والصناعية القومية منها والدولي من أفضل الوسائل لنشر المعارف العصرية والجمع بين المنتجين والمستهلكين في صعيد واحد ، وحث الصناع والزراع على الاتقان لان المنافسة وحب التفوق من الطبائع الاساسية في الانسان. وقد اثبتت المعارض الماضية التي اقامتها الجمعية الزراعية الملكية جميع هذه الفوائد اذ وجهت انظار اصحاب معامل الآلات والادوات الزراعية في الخارج ومعامل الماكينات البخارية وغيرها من القوات المحركة الى القطر المصري ووجهت عناية زراع القطر وصناعهُ الى هذه الوسائل الصناعية والزراعية الحديثة فأخذوا بها . وبثت بين هؤلاء حب الاتقان والتفوق في انواع القطن التي يزرعونها ويجنونها واصناف الماشية والطيور والخيل الخضروات والفواكه ومهدت السبيل للاعلان عن مصنوعات القطر كالنسوجات الحريرية والحلويات واشغال التطريز والجوارب ومصنوعات الاثاث وغير ذلك . فيسرنا ان نذيع في المقتطف فضل هذه المعارض وحث رجال الصناعة والزراعة على الاستفادة منها فقد جاء ان احد الثقات الاميركيين في شؤون الاعلان قال بان ما ينفقهُ على الاعلان في سني اليسر يضاعفهُ في سني العسر . وسنوالي الكتابة عن معرض السنة المقبلة في هذا الباب اذاعة لفوائده بين القراء

اصلاح الارض وتحسينها

— ٤ —

يراعي في حفر مجاري الري والصرف

(١) ان تكون المجاري خطوطاً مستقيمة لسهولة جري الماء فيها وان تحفر والارض لينة ليسهل حفرها وتنظيم ميولها كما ينبغي

(٢) ان يكون حجمها مناسباً للزمام الذي ترويه او تصرفه فتبدأ المراوي من جهة فمها كبيرة ثم تصغر بنسبة الفروع التي تخرج منها ويلاحظ ان يكفي قطاعها الاخير لتوصيل كل الماء الذي يلزم ان يحمله آخر فرع منها لري زمامه في اقصر وقت — واذا كانت الارض مقسومة على طول الري قسمين — مثلاً — يزرعان بالتناوب يلزم ان يبقى قطاعه كبيراً الى اول القسم الثاني حتى يحمل اليه كل الماء الكافي لريه

اما المصرف فيعتبر — من وجهه هندسية — بدؤه من جهة مصبه واذاً يكون اكبر قطاع له من جهة المصب ثم يصغر كلما قل عدد الفروع التي تصب فيه — اما من وجهة عرفية فبالعكس يعتبر بدؤه من اول استقباله ماء الصرف — واذاً فعكس التعبير فنقول انه يبدأ صغيراً ثم كبيراً بنسبة الفروع التي تصب فيه الى ان يصير اكبر قطاع له عند مصبه كما ذكرنا ولما كنا نكتب بمجتنا هذا لجمهور الزراع فنجري في التعبير في هذا على عرفهم

(٣) ان تبدأ الزواريق والمصارف الفرعية بعيدة عن المراوي بخمسة امتار على الاقل تترك بدون حفر ليسهل مرور الانفار والآلات داخل النيط في اثناء فلاحته — وكذلك تكون نهايات المراوي بعيدة عن المصارف بمسافة امتار لهذا الغرض ايضاً وحتى في كلتا الحالتين لا تقساب مياه الروي او الصرف احدها في الآخر — الا انه لا امكان تجفيف المراوي بعد كل ربة بسل لها اتصال باقرب مصرف منها ليصرف ما فوقها تحقيقاً لهذا التجفيف كلما لزم

(٤) ان تعمل جسور قوية لمجاري الري والصرف من التراب المستخرج من حفرها تحمل اكبر مقدار من الماء يمكن ان تغمر به الارض وتمنع انسيابها منها الى المصارف كما تمنع انسياب الماء من المراوي الى الارض الا من المطالق اي الفتحات المخصوصة للري عند لزومه — وما زاد من التراب عن ذلك يثر في الارض اذا كان بجوار الزواريق اي المصارف الصغيرة او تقوى به السكك اذا كان بجوارها وسيأتي الكلام على السكك بعد

(٥) لا تعمل مجاري الري والصرف عقب حفرها مباشرة وكذلك عقب تشريق الارض الا بعد ان تملأ بالماء اولاً وذلك حتى لا تنهار جوانبها من ضغط ماء ري الارض عليها

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

المتنبي

بقلم شفيق جبري ، عضو المجمع العلمي العربي

محاضرات القاها المؤلف في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢١٢ من القطع المتوسط عنيت بنشره مكتبة الترقي لصاحبها محمد عدنان الجزائري واخيه . طبع بمطبعة ابن زيدون بدمشق

للمجمع العلمي العربي فضل على الناطقين بالضاد لا يزيده الايام إلاَّ ذيوعاً . وقد عودنا اعضاؤه الافاضل الجد والمثابرة على احياء الآثار الادبية قديمها وحديثها وبعث الشخصيات العربية الكبيرة من مرقدها — بعد أن جرَّ عليها الزمن ثوب النسيان . وقد اهدى الينا الاستاذ « شفيق جبري » عضو المجمع كتابهُ الممتع الذي جمع فيه محاضراته عن المتنبي . وهي محاضرات اقل ما توصف به أنها ممتعة وشائقة ، ، وأصدق ما يقال فيها ، أنها طريفة ونافعة . ولسنا نمتدح الاستاذ الجبري حين نقول إن الكتاب قد سدَّ فراغاً كبيراً وسلك منهجاً مبتدعاً مجدياً ، بل نحن نصفهُ ونقرر الحقيقة بلا مبالغة او نقصان . ولعلَّ نظرة واحدة في فصوله المختلفة كفيلة بتقرير هذا الرأي ، فقد تناول فيها الكلام على الادب وثقافة الذوق ونقد المؤرخات الادبية والاسلوب وعبقرية المتنبي ووطنه ونسبه وعروبته ونبوته وحياته واخلاقه وفلسفته ولغته ، وهل كان شعوبيًّا واين تعلم الخ وكان موفقاً كل التوفيق في نظراته وغالب احكامه التي ذكرها في بحوثه الطريفة

وقد كانت المحاضرة الاولى خير تمهيد للكتاب ، لانه خصَّ بها درس الادب واثره وغايته ، وذكر نخبة رائعة من آراء أساطين رجال الغرب الممتازين ، وألمَّ فيها بموضوعه الهامة بحدية موفقة . وربما اخذنا على الاستاذ ان يستكثر على الادب ان يدرس لانه يعد الادب لهواً شريفاً ويرى ان كلة الدراسة تدلُّ على شيء من اجهاد الذهن واعنات الفكر ومهما حاول الاستاذ ان يتعنا بلباقته انه على حق فيما يراه ، فاننا نرى في تعبيره هذا ما يصدم الحقيقة ولا يتفق مع الواقع . فليس الادب لهواً — ولم يعتبر كذلك الا في عصور الانحطاط حيث يكثر الولوع بالمحسنات اللفظية والمجازات والاستعارات الخلابة التي لا طائل تحتها

ان الادب يتناول لب الحياة وما تحسب ان نظرة الادب — الجدير بهذا الاسم — الى الحياة والى الادب الذي يشرح اسرارها ولبابها مما يصح ان يسلك في عداد اللهو مهما قلنا انه شريف او كريم او سام الى آخر هذه النعوت التي لا تنفي عنه انه لهوٌ على كل حال

الاستاذ ان يقرر ان في الادب ودرسه لذة لا تعدلها لذة فليس لنا على قوله اعتراض لان العالم يرى في درس العلم لذة والفيلسوف يرى في درس الفلسفة لذة كما يراها الاديب سواء بسواء

على ان ذلك لا ينقص من فضل الاستاذ الاديب شيئاً. فقد ابدع في كثير من فصوله التي لا يتسع هذا الفراغ الضيق لاقتباس شيء منها . وقد قال في مقدمة كتابه إنه يرجو ان تكون محاضراته ذكرى طيبة لاول كلية ادبية انشئت في دمشق وانه يرجو ان تظهر في اصفافها نيات صاحبه في اخلاصه المحبة للادب . ونحن نقول ان محاضراته — بحق — خير ذكرى طيبة للكلية، وفيها اكبر دليل على اخلاصه المحبة للادب، وعلى ما احرزه من التوفيق في خدمته

الشرع الدولي في الاسلام

تأليف الدكتور نجيب الارمنازي مع تقدمة من قلم الاستاذ فارس بك الخوري في مائتي صفحة من القطع الاوسط اخرجته مطبعة ابن زيدون بدمشق الشام

لتطور فكرة الشرع الدولي في الاسلام ادوار من التدرج تابعة في كل عصور الاسلام لتكوّن الدولة الاسلامية من البعثة الى نهاية سقوط الدولة الاسلامية باعتبارها خلافة تجمع بين يدي الخليفة السلطتين الروحية والزمنية

ولقد كان لتأثر الروح العربية بتقاليد قبائل الجاهلية اثر في صبغ الشرع الدولي في الاسلام بصبغة خاصة ، جمعت بين هذه التقاليد وبين ما ادت اليه تجاريب الفتح الاسلامي خلال المائة العقود الاولى من تاريخ الدعاية الاسلامية

فليس من ينكر ان للجاهلية شرعاً شبيهاً بالشرع الدولي ، حتى لقد قال بعض الباحثين ان لكل قبيلة من قبائل الجاهلية شرائعها الدولية . وانا نقول « الدولية » هنا تجاوزاً على اعتبار ان كل قبيلة من القبائل كانت تعتبر في نظامها الداخلي وتقاليدها الموروثة « دويلة » صغرى لها شرائعها التي تلائم حالاتها البدائية الاولى ونظامها القراري الذي اخذته تقليداً عن اوائلها . ففي ايام العرب المعروفة في كتب الادب وفي المناقرات العديدة

التي وقعت بين رؤوس القبائل وفي المعاهدات التي عقدت بعد الحروب الطاحنة التي كانت تشتبك فيها اكثر من قبيلة عادة ، وفي طلب الديات والثأر وتجويز اخذ الدم بالدم في بعض الظروف ، وتحريم ذلك في ظروف اخرى ، ملابسات من الشرع « الدولي » كان لها اثرها في الاسلام وفي الدول الاسلامية بعدان خرجت الامة العربية بالدين الاسلامي امة غازية ، بل امبراطورية عظمى لم يعرف التاريخ من اشباهها الا القليل

وللاسلام في ذلك سوابق تاريخية عديدة اقربها اليه شريعة حمورابي في اشور وشريعة موسى عليه السلام ، تلك الشريعة التي قامت عليها دولة سليمان بن داود بعدان فتح اليهود ارض الميعاد . فان في شريعة موسى شبهاً من شريعة حمورابي ، وفي شريعة الدولة اليهودية كلّ الروح الموسوية التي اورثتها اياها تجاريب هذه القبيلة الفذة بعد ان غادر الخليل ابراهيم أور الكلدان الى ان خرج اليهود من مصر ونفخ فيها موسى من روحه ما حفزها الى الغزو والفتح

على ان الشرع الدولي في الاسلام قد تأثر بشرائع اهل البادية اكثر مما تأثر بشرائع اهل الحضارة . فليس في شرع الاسلام الدولي مثلاً شيء من تعصب الروح اليهودية التي كانت لا تجعل على يهودي لمن هو على غير دينه ذمة ولا عهداً . كذلك لا ينكر باحث ان هذا الشرع قد تأثر في الاسلام بالغزو والاحتكاك بأمم لها شرائعها ولها اصولها الفنية . فلا شبهة مطلقاً في انه تأثر بتقاليد فارس والهند وبشرائع روما

وللتوسع الاستعماري اثره في تكييف الشرائع الدولية وفي وضع شرائع جديدة والقضاء على الشرائع القديمة . فان اوربا قبل عصر الاستكشاف البحري مثلاً كانت تتبع من هذه الشرائع ما يلائم حالاتها وما تتطلب مقتضيات حياتها الحادثة في ظل النظام الاجتماعي فلما تغيرت اوربا بحاجات عصر جديد كانت له اسبابه ومهيئاته تكيفت شرائع قديمة وسنت شرائع جديدة ، لم يراعَ فيها الا مجرد الحاجة ولم تتأثر بشيء من روح التقاليد الموروثة . ذلك لان عيسى عليه السلام لم يترك من ورائه شريعة ، بل ترك روحاً أدبية مصبوبة في قالب ديني

والكتاب الذي بين ايدينا يعطي القارىء فكرة واضحة من تطور الشرع الدولي في الاسلام وهو كما قلنا قبلاً الرسالة التي نال بها الاستاذ الارمنازي لقب دكتور في الحقوق من جامعة باريس من درجة جيد جداً وقد ساعد على توضيح هذه الفكرة ذلك التقديم الذي وجهه براع الاستاذ الكبير فارس بك الخوري ، وعقب عليه المؤلف بما دل على طول اكبابه على هذا الموضوع الذي يتطلب من الصبر وطول الاناة والبحث ما يجعلنا نحث قراء الادب العصري ، قبل قراء التاريخ واصول الشرائع على اقتناء هذا الكتاب الثمين

بلاد العرب : جبلاً وصحراء

Arabian Peak & Desert by Ameen Rihani -- Constable London 10/

بلاد العرب من اقدم البلدان عمراناً ولكن ليس في اللغة العربية كتب عنها تضارع الكتب التي ألفت باللغات الاوربية في تاريخها ووصفها الجغرافي والعمراني مع ان ابوابها كانت موصدة في وجوه الاوربيين. ومن احدث الكتب الانجليزية التي صدرت في هذا الموضوع كتب صديقنا امين الريحاني. فقراؤنا يذكرون انهُ اصدر اولاً كتابهُ في «الملك ابن السعود» ثم وضع كتاباً دعاهُ «حول شواطئ بلاد العرب» وصف فيهِ زيارتهُ الى الملك حسين في جدة والى السيد الادريسي امير العسير والى شيوخ البحرين والكويت

والكتاب الذي بين ايدينا يشتمل على وصف الرحلة من عدن الى اليمن ومن اليمن الى الحديدة وما لقيهُ في اول الطريق من الصعوبة في الحصول على اذن الانكليز في السفر. فان فصول الكتاب الاولى حافلة بنوادر المداورات السياسية التي يمارسها ممثلو الحكومة الانكليزية في بلاد العرب وغيرها من بلدان الشرق واكثرها مبني على دسائس اصحاب الاغراض وذوي الريبة في الناس. قال صفحة ١٦ و١٧ «وقد علمت بعد ثلاثة اشهر ان تأخير صدور الاذن لنا بالسفر من لجج كان انتظاراً لتعليمات ترد من لندن ووشنطن (لان الريحاني يحمل جوازاً اميركيًّا). وقال صفحة ١٨ « ولما صدر الاذن بالسفر استخدمت دار المعتمد البريطاني في عدن عربيًّا ليرافقنا سرًّا الى صنعاء ويرسل اليها تقريراً بما نقول ونفعل . واُعطي ظرفاً مختوماً لا يفتح الاَّ بعد الخروج من لجج يشتمل على مسائل عليهِ ان يجيب عنها لدى رجوعه »

اما وقد تبدَّد شبحُ الانكليز من الرحلة فانت في هذا الكتاب رفيق امين الريحاني الكاتب الشاعر العمراني رسول السلام والوئام بين امراء العرب . تقرأ الفصل اثر الفصل وانت في شوق الى المزيد. هنا وصف البلاد التي يمرُّ فيها وصفاً جغرافيًّا عمرانيًّا اخَّاذاً . فاذا بك القوم في الحل والترحال . في الحرب (ما اكثرها) والسلام (ما اندره). في الاكل والشرب والضيافة والزواج . آراؤهم في السياسات العالمية ومشاهد الطبيعة في الفجر والغروب في صفاء أثيل وفي وهج الظهيرة . كل ذلك مرسوم هنا رسماً صادقاً بليغاً

ثم هنالك وصف صنعاء وبقاؤه فيها اسيراً تحيط به الريب اولاً لان الامير يحيى لم يقتنع بحسن نيته ثم صديقاً مكرَّماً مقرَّباً بعدئذٍ ومفاوضاً بارعاً يحاول ان يقرِّب بين ملك الحجاز وامير اليمن . ويتخلل ذلك ما جرى عليهِ القوم في رمضان ووصف الثلج الذي يدخنونهُ وباني صنعاء وصناعاتها وتاريخ الزبود ومقام اليهود فيها وبعض الحجارة الكريمة التي يمكن

استخراجها والاتجار بها والمخطوطات القديمة التي في خزائنها ومقام النساء وتعليمهن والعادات السياسية المختلفة ومصيرها كبعثة الكولونل جاكوب السياسية وبعثة فرنسية تجارية قدمت صنعاء في اثناء وجوده فيها . اما وصف الجبال والوهاد التي قطعها في اوبته من صنعاء الى الحديدة فلم نرَ وصفاً ابلغ منهُ لمشهد طبيعي كهذه الجبال

اشارت جريدة الديلي اليوز الانكليزية الى هذا الكتاب بقولها «امين الريحاني ابلغ الرحالين . انهُ يصف المشاهد العربية بكلمات مسحورة » . وهذا غاية ما يبلغهُ المديح

السيف والنار في السودان

سلاطين باشا رجل عصامي دخل في خدمة الحكومة المصرية سنة ١٨٧٨ تحت ادارة غوردن باشا . وعين حاكماً لولاية دارفور المعروفة سنة ١٨٧٩ . ووقع في اسر المهدي السوداني سنة ١٨٨٣ وظل محجوزاً تحت مراقبة الخليفة عبد الله التعايشي ١٢ سنة وصف حوادثها وصفاً مؤثراً يرقُّ له صلد الصخر . وهرب من السودان سنة ١٨٩٥ بمساعي ذويه وواسطة كثيرين من العرب والسودانيين . فكان طربه ضجة عظيمة اهزَّت لها قواعد دولة الدراويش لانهُ مطلع على حقيقة امرها . ومن عرف سقاتلك تتلك . وعلى اثر نجاته سارت الحملة المصرية الانكليزية لاسترداد السودان وكان من امر فوزها وسقوط المهدوية ما يعرفه الجميع . ترجم هذا الكتاب الى العربية جريدة البلاغ وهو يحتوي على ١٩ فصلاً في ٣٥١ صفحة . يقف مطالعهُ فيه على كثير من احوال السودان وتقسية اهله ومبدأ المهدوية وعلاقاتها التاريخية والسياسية والدينية مما لا يجده في مجلدات ضخمة

التقويم السوري الاميركي

اصدر الاديبان السوريان الاميركيان نسيب عريضه وصبري اندريا كتاباً قيماً يشتمل على تقويم ودليل للسوريين المهاجرين في اميركا . اما القسم الاول منهُ فيشتمل على بحث ادبي تاريخي في تاريخ سوريا وموقعها الجغرافي وتقسيمها الاداري في الوقت الحاضر ثم تاريخ المهاجرة السورية ويليه خلاصة للتاريخ الاميركي ودستور الولايات المتحدة الاميركية ثم كل ما يتعلق باشتقاق الرعوية الاميركية ويليه بيان وافٍ عن الجمعيات السورية في نيويورك وبروكلن وتاريخ انشائها ووصف اغراضها واعضاء مجالسها وعناوناتها . والقسم الثاني يشتمل على دليل تجاري لسوريي نيويورك مرتباً بحسب حروف الهجاء وبحسب المهن والحرف ثم دليل مثله لسوريي بروكلن

والكتاب مطبوع اتقن طبع على ورق صقيل ومجلد تجليداً متيناً حسن الرواء . ويطلب من صاحبيه بعنوان 31 W. 29 th St. نيويورك

التقرير السنوي للمعهد السمثسوني

Annual Report. Smithsonian Institution, 1928

قلما اوقف احد لخدمة العلم مالاً زادت فائدتهُ على فائدة المال الذي اوقفهُ المستر سمثسن الكيماوي الانكليزي لخدمة العلم ونشره في اميركا . فانهُ اوقف مائة الف جنيه يستغلُّ ريعها في النفع ما يستغل له المال اي ترقية العلم ونشره . ومن اشهر الذين تولوا ادارة هذا المعهد جوزف هنري الطبيعي الاميركي المشهور والاستاذ لنغلي وهو عالم طبيعي ايضاً درس مسألة الطيران درساً نظريًّا ثم حاول ان يطبق ما عرفهُ تطبيقاً عمليًّا . وللمعهد اليوم فروع كثيرة متصلة به منها مراصد لعلم الفلك الطبيعي لقياس حرارة الشمس والتغيرات التي تطرأ عليها واثر ذلك في اوزون الهواء ومقداره . ومنها بثات انثوغرافية مختلفة ومنها مطبعة كبيرة لطبع الرسائل العلمية ومبادلتها مع نشرات المطابع العلمية في اوربا ومنها دار للتاريخ الطبيعي والآثار العظيمة في وشنطن تدعى متحف الولايات المتحدة القومي وحديقة للحيوانات ومكتب خاص للعناية بوضع كتالوج دولي للمطبوعات العلمية . ويتصل به دار للآثار الفنية من صور وتماثيل وغيرها

وقد جرت عادة هذا المعهد ان يصدر كل سنة مجلداً ضخماً يحتوي على تقرير سكرتيره العام يبسط فيه اعمال المعهد في السنة السابقة ويلحق به مجموعة مختارة من المقالات العلمية نذكر منها في المجلد الذي بين ايدينا « المجرات الجزرية » للاستاذ فيرت دوغلس و « التلسكوبات الفلكية » للاستاذ بيز و « نتائج جديدة في الاشعة الكونية » للاستاذ ملكن ومساعده الدكتور كمرون . و« فوهات القمر » . و« بعض مسائل الجغرافية القطبية » . و« الجدال حول الحلقات المفقودة » و« المخاطبة بين الحشرات » و « فسيولوجية التدد الصماء » الخ

المختارات

تأليف الاب رفائيل نخله اليسوعي بيروت — الجزء الاول صفحاته ٢٢٤ من القطع الوسط طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت . ثمنه خمسة قروش مصرية

كتاب وضعهُ المؤلف للناشئة المتعلمة ليكون مرجعاً لقراءتهم ومطالعاتهم . وهو مجموعة طيبة منتقاة من اعذب الشعر وارق النثر لطائفة من كبار كتابنا وشعرائنا الشرقيين المعاصرين . وللمؤلف من ذلك غرض جليل كما ذكره في مقدمة كتابه وهو ان التلميذ دائماً يحب عصره ويحب وطنه ويحب التنوع في الكتابة ويحب جمالها فتشى المؤلف مع هذه المحبة الطبيعية في التلاميذ وأخرج لهم هذا الكتاب عربيًّا وطنيًّا شرقيًّا جميلاً ليوافق طبيعته في نفوسهم وقد جعل المؤلف الكتاب جزأين ظهر الاول منهما وظهرت معهُ غيرة الاب الجليل على اللغة العربية . وسيظهر الجزء الثاني في اواخر هذا الشهر

خمسة في سيارة

تأليف الاستاذ سامي الجريديني — صفحاتها ١٢٠ قطع المقتطف — في مطبعة المقتطف

لما نشرنا المقالة الاولى من هذه السلسلة القيمة في مقتطف يناير سنة ١٩٢٨ وعلقنا لها بالكلمة التالية : السفر مدرسة الحياة . والارض كتاب لا يقرأ منهُ المقيم في بلدٍ واحدٍ الا صفحة واحدة . لأن الارتحال يصقل الطبع . ويثقف العقل . ويهذب النفس . ويضبط الخيال الجامح بضوابط الحقيقة . ويطلق الفكر من اغلال التحزب الاجتماعي والتاريخي ويوسع افق النظر الى الحياة والعمران . فاذا كان المسافر ذا نظر نقّاد راوياً لحوادث التاريخ وعبره ، خبيراً بطبائع الشعوب وآدابها ملمّاً بنظم العمران واصولها ، وكان ذا قلم رشيق العبارة سلس الاسلوب جاءت كتاباتهُ عن اسفاره من امتع الكتابات والذها واكثرها فائدة . وقد اجتمعت هذه الصفات الممتازة لصديقنا الاستاذ سامي الجريديني المحامي ويسرنا انهُ قد عزم على ان يتحف قراء المقتطف بطائفة من اخبار اسفاره جرى في كتابتها على اسلوب جديد في الادب العربي . قلنا ذلك قبل نشر الرسائل . اما وقد نشر معظمها واطلع عليها القرّاء فهم ولا شك يقرون الحكم السابق

ومما يسرُّنا ان الاستاذ الجريديني قد ضرب في كتابة هذه الرحلة باسالب الرحلات القديمة عرض الحائط . فانهُ لم يترجم عنا كتاباً ليذكر ولا دليلاً لكوك كما يفعل بعض الرحالين فيُسئمون القارئ بقولهم «وصلنا في الساعة كذا من تاريخ كذا الى المدينة الفلانية ولبثنا فيها كذا ساعات ثم غادرناها في الساعة كذا من يوم كذا» وهلمَّ جرًّا . ان رحلات الاستاذ جريديني جغرافية وعقلية في آنٍ واحد . فهو ينظم مع اصدقائه زياراتهم الى الاماكن التي تستحق الزيارة في جبال فرنسا وسويسرا وميادين بلجيكا وغيرها من البلدان فيصف الاثر الذي تتركهُ هذه الزيارات في نفسه . وفي فترة الراحة بين رحلة ورحلة او في اثناء الرحلات نفسها يقدم الخمسة على رحلات عقلية ليستكشفوا خريطة الفكر الحديثة في كثير من مواقفها الغامضة . فهم يتناقشون في الفن والحرب والصهيونية والاستقلال والدين والحكومة النيابية واساس الامبراطورية البريطانية ومقام الرجل العظيم في التاريخ وسمرات الاولاد وفوائد الرقص واصوله فيبدي كلٌّ منهم رأياً يتسق في الغالب مع الفكرية التي ربي عليها والفلسفة التومية السائدة في بلاده . ومن هنا اختلاف وجوه النظر بين المتناقشين ووصولهم في غالب الاحيان الى حكم تطمئن اليهِ النفس ويسلم بهِ العقل

وقد اجاد المؤلف في وصف الانكليزي وزوجتهِ والفرنسي وزوجتهِ اللبنانية الاصل والمصريّ وصفاً دقيقاً تستطيع ان تفرق بهِ الانكليزي عن الفرنسي عن المصري وكان في

كثير من ملاحظاته الدقيقة ظريفاً كل الظرف كملاحظته على ندرة الصابون في نانسي ورنسا وبيع عيدان التقاب فيها ووصفه للمصري يجرب ان يفتد الانكليزي في شرب الوسكي وتدخين الغليون ووصفه لدوار البحر وغير ذلك

اما وصفهُ لروما المدينة الخالدة ولمدينة فينيسيا عروس مدن المياه والبحيرة التي والجبال القوج فآية في دقة الوصف وبلاغة التعبير فتحتُ عشاق الادب المصري على اقتنائه

في دمشق تحت القنابل

A Damas sous les Bombes. Alice Poulleau-Bretteville Frères

مؤلفة هذا الكتاب سيدة فرنسية كانت مقيمة في دمشق في اثناء الثورة السورية فكانت تدوّن في يومياتها ما تسمعهُ من الاشاعات وما يقع من الحوادث وما يخطر لها تعليقاً عليها. ومن يطلع عليه يقرُّ للمؤلفة بحكمة لو كان لبعض المسؤولين من بني قومها مثلها لتلافوا الحوادث الاليمة التي وقعت في البلاد السورية . فانها على ما يظهر لنا من مطالعة يومياتها المدوّنة هنا شديدة العطف على القضية السورية لاذعة النقد لاعمال الفرنسيين في البلاد حكيمة الرأي ذكية الفؤاد في تفهم طبائع السوريين وعاداتهم ومذاهبهم الدينية والعقلية والادبية حتى تستطيع ان تقدر ان عمل كذا يتسق وطبعهم او لا يتسق او ينال منهم رضا او لا ينال . واذا كانت هذه اليوميات لم تعدّل وتنقح بعد انتهاء الحوادث فالحكمة وصواب الحكم ودقة النظر التي تبدو في بعض صفحاتها جديرة بكل اعجاب

واذا صرفنا النظر عن الحوادث السياسية والتعليق عليها في هذا الكتاب وجدنا فيه وصفاً بليغاً لبعض مشاهد الحياة الشرقية كما رأتها سيدة غربية ترى في الشرق حضارة يجب تفهمها بالتقرّب منها والتغلغل فيها لا بالوقوف منها موقف المحتقر المصغّر لشأنها من غير درس او فهم او عطف

هرم الجيزة الاكبر

تأليف المهندس الانكليزي دافدسون — ونقله الى العربية احمد فهمي ابو الخير صفحاته ١١٠ قطع المقتطف — مزين برسوم — وطبع مطبعة الاتحاد بمصر

يشتمل هذا الكتاب على مباحث في القصد من بناء هرم الجيزة الاكبر المعروف بهرم خوفو ووصف تمثالهِ البنائية من وجهٍ هندسي والغرض الرئيسي من رسالة المهندس دافدسون ان يثبت ان الهرم الاكبر قد وضع تصميمهُ وتمَّ بناؤهُ لكي يظل قائماً الدهر كلهُ فاذا كان القصد من انشائه هو ذلك حقيقة فان الهرم الاكبر يكون بلا نزاع مسألة بنائية تستحقُّ من معهد المهندسين دراسة خاصة وقد فعل ذلك باسلوب يستهوي القارىء فلا يملُّ الحديث الهندسيَّ الدقيق . فنشكر للاستاذ احمد فهمي ابو الخير نقلهُ هذا الكتاب الى اللغة العربية

مطبوعات دار الكتب المصرية

اصدر القسم الادبي في دار الكتب المصرية ثلاثة مجلدات نفيسة لا يستغني عنها اديب شرقي وهي ككل الكتب الادبية التي تصدرها هذه الدار من نفائس الآثار الادبية التي لم تطبع او طبعت طبعاً تجاريًّا فلم يلتفت الى تصحيح مسوداتها وتحقيق قرآنها وجمال مظهرها . والكتب التي امامنا الآن هي :

(١) الجزء الثالث من ديوان مهيار الديلمي في ٣٧٠ صفحة من القطع الكبير

(٢) المجلد الرابع من كتاب عيون الاخبار تأليف ابن قتيبة الدينوري . في ٣١٠ صفحات افرد نحو نصفها لفهارس الكتاب وهي فهرس رجال السند وفهرس اسماء الشعراء وفهرس الاعلام وفهرس الامم والقبائل والارهاط والعشائر وفهرس الاماكن وفهرس الكتب وفهرس القوافي وفهرس انصاف الابيات

(٣) الجزء الخامس من فهرس الكتب العربية المحفوظة بدار الكتب المصرية لغاية شهر دسمبر ١٩٢٨ وهذا الجزء يشتمل على فهرس الكتب التاريخية وهو ٤٣٠ صفحة مرتبة بحسب الحروف الهجائية

الدهور

مجلة انتقادية في العلم والفلسفة والادب من ارقى المجلات الشهرية التي ظهرت في سوريا ولبنان بعد الحرب الكبرى . انشأها ابرهيم اقندي الحداد وجعلها لسان حال جمعية التضامن الادبي ببيروت . جاءنا العدد الاول فوجدناه حافلاً بالمقالات العلمية والفلسفية النفيسة مثل نشوء الجماعات وتطورها وتأثير الفلسفة الجرمانية في اوربا وتقسيم الحيوانات . وقد اطلعنا اتفاقاً على الصفحة ٦٢ فوجدناها انه ترجم Proboscidiens بالمجترة Ruminantes بالخرطومية مع ان الاولى يجب ان تترجم بالخرطومية والثانية بالمجترة وقد ترجم Primates بالقرود مع ان الرئيسات تشتمل على نوع الانسان Homo Sopiens وذكر الماشية للحيوانات Placentaires قابلاستنا باللغة العربية المشيمة وهي عضو اتصال الجنين بالرحم وواسطة اغتذائه والفصيلة تعرف بالمشيمية او بفصيلة الحيوانات ذوات المشيمة وسنعيد النظر في هذا الجدول لانهُ يظهر لنا ان واضعهُ خالف في كثير من مواضعهِ الشائعَ بين كتّاب العربية . وكان يحسن بهِ ان يذكر ابن رشد في السطر الاول صفحة ١٢١ بدلاً من الاكتفاء باللفظ الافرنجي المحرّف

﴿ الخيال الشعري ﴾ عند العرب . سمارة للاديب التونسي الجدّ ابي القاسم الشابي في ١٣٦ صفحة من القطع الصغير شعارها « لقد اصبحنا نطلب حياة قوية مشرقة ملؤها العزم والشباب ومن يطلب الحياة فليعبد غدهُ الذي في قلب الحياة اما من يعبد امسهُ ويتنى غدهُ فهو من ابناء الموت وانصار القبور الساخرة » . وقد طبعت بمطبعة العرب بتونس

﴿ حل مسائل خلاصة الطبيعة ﴾ تأليف علي حسين روحي ب. ع. المفتش بمعارف فلسطين. وهو يشمل حلّ جميع التمرينات الرياضية في كتاب خلاصة الطبيعة ج (١) الذي ألفهُ المغفور لهُ اسماعيل حسنين باشا وكيل وزارة المعارف المصرية سابقاً وهو يطلب من المكاتب الشهيرة في القطر المصري وفلسطين وشرق الاردن والعراق

﴿ شرح الارجوزة بالرَجز ﴾ كنا نودُّ ان لا يضيّع الناظم الوقت في شرح الارجوزة رجزاً فقد نظم الشيخ ناصيف اليازجي الارجوزة وشرحها نثراً في كتاب يبلغ عدد صفحاته نحو ٤٠٠ صفحة ومع ذلك يرى التلميذ بعض الصعوبة في درس علم النحو فيها ولا بدَّ لهُ من الاطلاع على قواعده والتمرن قبل الاقدام على درسه فيها. فاقدام الاستاذ نجيب فياض على شرحها رجزاً عملٌ في غير محلهِ من الوجهة التهذيبية فلا المبتدئون في علم النحو يستطيعون فهمهُ ولا المتقدمون يحتاجون اليهِ . والاعتماد على الذاكرة في التعليم العصري لا يكفي في علم من العلوم وخصوصاً في علم النحو

(الجديد) في القراءة العربية. وهو كتاب مطالعة للمبتدئين يشتمل على قطع نثرية ينطوي بعضها على فوائد علمية عملية كقطعة « الكهرباء » صفحة ١١١ واخرى على فوائد خلقية كقطعة « النحلة » صفحة ١٧ واخرى على فوائد لغوية كالقطعة ٥٢ صفحة ٧٤ ومما يزيد قيمته في عيون المربين ان الفاظهُ مختارة وعباراتهُ محكمة فمطالعتهُ تقوي في التلاميذ ملكة البلاغة

(اسامة بن منقذ) محاضرة القاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق السيد طاهر الصاني الحموي . وقد كان اسامة على ما يعرف قراء المقتطف « رجل سيف وعنان وادب وبيان » صفات قلَّ ان تجتمع لغيره من الامراء . صفحات المحاضرة ٤٠ صفحة وقد طبعت بنفقة المكتبة الوطنية بحماه

﴿ تعليم المرأة ﴾ كتاب يبحث في مقام المرأة في الهيئات الاجتماعية ووجوب تعليم المرأة العراقية في العصر الحاضر بقلم السيد جعفر حسين وقد طبع بمطبعة الشعب ببغداد

باب الأخبار العلمية

فاجعة البلون ر ١٠١

هل يمكن الانسان من القبض على ناصية القوى الطبيعية وهل يستطيع ان يسود العناصر ويسيّرها في الاتجاه الذي يريد والى متى يظل العلم يتقاضى الشهداء من بني البشر في جهادهم لاماطة اللثام عن اسرار الدر وشق الحجاب الذي انزل على اولياته ودقائقه؟

هذه بعض المسائل التي خطرت لنا لما فوجئنا بنبإ هذه الفاجعة المؤلمة. فاننا لا نعرف نكبة من نكبات الطيران الحديثة كان لها من الاثر المفجع في قلوب الشعوب قاطبة ما كان لهذه الفاجعة التي حلت بالبلون البريطاني ر ١٠١ في طريقه الى مصر فالهند قرب بوڤه وذلك في الساعة الثانية من صباح الاحد ٤ اكتوبر الماضي. هذه السفينة الهوائية، جبارة السفن الهوائية على الاطلاق، الجامعة في نظر كل الخبراء والفنيين، احدث ما بلغه العلم والصناعة في تصميم البلونات وبنائها وملاحتها. نقول ان هذه السفينة لم تكد تغادر سريتها في كاردنغتن وتطير بضع ساعات حتى حولتها العناصر الثائرة الى كوم من الرماد وحملت ركابها حمماً. وكان بين هؤلاء الركاب اللورد طمسن وزير الطيران البريطاني والسر سفتن بركر مدير الطيران المدني والكولونل سكت المدير المساعد لترقية السفن الجوية والكولونل ترشمند واضع تصميم البلون والمستر جيلت مندوب مكتب الظواهر الجوية وهو من العلماء الذين لهم مواقف مشهودة في هذا العلم في مجمع تقدم العلوم البريطاني. اما السفينة فيستطاع بناء سفينة غيرها تكون اكبر منها وأمتن واجمع لوسائل القوة والسلامة والراحة. واما خسارة هؤلاء الرجال وفجيعهم فخسارة قومية — بل خسارة عالمية — لا تعوّض

ويظهر من وقوع الفاجعة في بوڤه في الساعة الثانية صباحاً ان البلون لم يقطع مسافة طويلة في طيرانه بسبب الزوابع والعواصف والامطار الغزيرة. بل ان الذين شهدوه يرتفع فوق كاردنغتن رأوه يسير متثاقلاً فانقبضت نفوسهم للخطر الذي يحدق به. وبوڤه هذه عاصمة ولاية الواز الفرنسية وهي الى الشمال من باريس تبعد عنها نحو ستين كيلو متراً وهي البلد التي اجمع فيها مندوبو الحلفاء على تعيين الجنرال فوش قائداً

طائراً فوق الولايات المتحدة فاصابته زوبعة شديدة فوقع ولا يزال يطفو فوق الصاعقة الزوبعة فالتصم الى ثلاث قطع وقعت كل منها في مكان بعيد عن الآخر وقتل ربانه وطائفة من ملاحيه وفي سنة ١٩٢٦ وقعت نكبة البلون ايطاليا الذي طار به الجنرال نوبيلي الايطالي الى استكشاف القطب الشمالي . وفي سنة ١٩٢٩ تحطمت محركات الغراف زبلين في رحلته الثانية الى بلاد الولايات المتحدة الاميركية فعاد الى فرنسا يزن في مطير على مقربة مرطبون ولولا ذلك لزلت به نكبة مؤلمة

وهنا يسأل القارىء ان نفصل له مسألة الهليوم والهدروجين. فنقول ان الهدروجين اخف العناصر كلها يصلح لرفع البلونات ولكنهُ سريع الالتهاب . وفيه الهليوم في الثقل ولكنهُ لا يشتعل . فقائدة استعمال الهدروجين قائمة على ان بلوناً محلوءاً به يستطيع ان يحمل حملاً اكبر من بلون في الحجم نفسه محلوء بالهليوم ولكن الاول معرَّض دائماً لخطر الاحتراق . لذلك منع التدخين في البلون غراف زبلين وجعلت ادوات الطبخ والتدفئة فيه كهربائية . زد على ذلك ان الهليوم لم يستخرج حتى الآن بمقادير تكفي لاستعماله في رفع البلونات الا في الولايات المتحدة الاميركية . وقد بلغ من خطورة شأنه في نظرها ان حظرت اصداره من بلادها حتى للجامعات . ولكن بعد حدوث نكبة البلون زبلين جاء نبأ من اليابان الياحثين عثروا على مصادر غنية بالهليوم في جمهورية استونيا

تقويم عيد فرجيل

نشرنا في مقتطف اكتوبر الماضي وفي هذا العدد مقالين في سيرة فرجيل الشاعر الروماني العظيم على ذكر الاحتفال بانقضاء الفي سنة على ولادته لانهُ وُلد في ١٥ اكتوبر سنة ٧٠ ق . م . ولكن الدكتور پيير اميوانّي الفلكي بمرصد الڤاتيكان برومية حسب ان الاحتفال يجب ان يقام في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣١ اي انهُ يقول بتأخير ميعاد الاحتفال سنة كاملة . والسبب في ذلك انه لا يوجد في التقويم سنة فاصلة بين السنة الاولى ق . م والسنة الاولى ب . م . فحادث حدث سنة ٥ ق . م . يحتفل بعيده العاشر في السنة ٦ ب . م . لا في السنة ٥ ب . م لان عيد الاول يقع سنة ٤ ق . م والثاني سنة ٣ ق . م والثالث سنة ٢ ق . م والرابع سنة ١ ق . م . والخامس سنة ١ ب . م . والسادس سنة ٢ ب . م . والسابع سنة ٣ ب . م والثامن سنة ٤ ب . م والتاسع سنة ٥ ب . م والعاشر سنة ٦ ب . م

ولما كان المعترف به عند المؤرخين ان فرجيل ولد سنة ٧٠ ق . م فتقدير السنة التي ينقضي فيها الف سنة على تاريخ ميلاد لا يتم بطرح ٧٠ من ٢٠٠٠ بل يجب ان نضيف الى الباقي من الطرح سنة كما تبين لك فيما تقدم . وعليه فالاحتفال بانقضاء الفي سنة على ميلاد فرجيل يجب ان يكون في سنة ١٩٣٠

السكر يقاوم لسم الفروتال

ثبت ان حقن وريد الذراع بقدر كبير من محلول السكر يساعد الانسان او الحيوان الذي تجرّب فيه التجربة على تبديد آثار التسمم بالفروتال. والاطباء الذين اثبتوا ذلك هم جماعة من الباحثين في المعمل الفسيولوجي بجامعة شيكاغو الاميركية. والفروتال مسحوق منوّم يستعمل الناس او للحيوانات التي تجرب فيها التجارب الفسيولوجية في مسائل البحث ولكنهُ في بعض الاحيان يخرج عن طوق السيطرة عليه فيحدث تسمماً خطيراً في الجسم. وكان المشهور بين الاطباء ان هذه المادة تفرز افرازاً بطيئاً بتحولها الى بول فاذا وجد ما يسرع هذا التحول والافراز فشفاء المتسمم به يصبح مرجحاً. وقد قرر الدكتوران لوغارت وجنصن ان اسراع تحويل الفروتال الى بولة وافرازه عن طريق الكليتين بحقن محلول من السكر توتهُ تتفاوت بين ٥ في المائة و ١٠ في المائة. فحقنة تشتمل على ٣٥ قمحة من الفروتال تحدث نوماً في كلب يدوم ٤٠ ساعة عادة ولكن اذا حقن الكلب بلتر الى لترين من محلول السكر المذكور بعد حقنة الفروتال يرجع وعيهُ في زمن يتفاوت من ١٤ ساعة الى ١٨ ساعة بعد حقنة الفروتال. وذكرت امرأة كانت قد تناولت نحو ٦٠ قمحة من الفروتال بقصد الانتحار فحقنت بنحو نصف لتر من محلول السكر بعد انقضاء نحو ثلاث ساعات ونصف ساعة على تناول الفروتال فأحدثت هذه الحقنة زيادة ظاهرة في افراز البول اذ بلغ ١٠٠٠ سنتمتر مكعب في ست ساعات ولما انقضت خمس ساعات على تناول حقنة السكر كان في الامكان قياسها وبعد انقضاء ست ساعات اخرى كانت اعراض التسمم قد زالت جميعاً. ومما لا ريب فيه ان زيادة فعل الكليتين بحقن حقن كثيرة من محلول السكر يحفظ الحياة في حوادث التسمم بالفروتال عرضية كانت او متعمدة.

الغدد وغزارة اللبن

الغدة النخامية غصان قائمان في منخفض صغير في مؤخر الدماغ وهي من الغدد الصماء التي لمفرزاتها اثر كبير في تنظيم اعمال الجسم الفسيولوجية. وقد اثبت حديثاً الدكتور غرويتر السويسري في مؤتمر البحث الفسيولوجي الدولي الذي عقد في لندن انه اذا حقنا خلاصة من الفص الامامي في الغدة النخامية في الحيوانات الحلوبة كالبقر والماعز زاد افرازهُ من اللبن (حليبه) ولكن يجب ان تكون الغدد التي تدرّ اللبن قد وصلت الى درجة معينة في نموها. فحقن هذه الخلاصة يزيد ادرار اللبن لا يبدؤه. ولا بدَّ ان يستفيد اصحاب مزارع الالبان من هذا الاكتشاف لان اثرهُ في البقر جلي ويستمر طويلاً اي لا يحتاج الى اعادته في فترات قصيرة. وثمت غدة اخرى تظاهر في درّ اللبن هي الغدة الدرقية. فان ازالتها بعملية جراحية يسفر عنهُ نقص في اللبن الذي تفرزهُ البقرة وتأثير في نموه

النجوم بيضاوية شكلاً وتركيباً

انبأ الدكتور رسل استاذ الرياضيات في جامعة برنستون الى رأيه بان النجوم تشبه البيض شكلاً وتركيباً في رسالة بعث بها الى مجلة نايتشر. فكل نجمة لها قلب كثيف يقابل صفّ البيضة وغيط يقابل منطقة اقل كثافة تقابل زلال البيضة. والحرارة في منطقة القلب اعلى مما كان يتصوره العلماء وهو يقدرها بثمانية الف مليون درجة بميزان سنتغراد (٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠) بدلاً من عشرة ملايين درجة (١٠٠٠٠٠٠٠) وهو التقدير المسلم به حتى الآن. ويزداد على ذلك ان نواة النجمة عظيمة الكثافة فاذا اخذت منها كتلة تملأ ما يملأ نصف قدح من الماء بلغ وزنها ٣ طنّات. وسبب هذه الكثافة ان ذرات المادة التي انحلت كهاربها عن بروتوناتها سارت في الامكان حتى تمثلاً على ذلك صفيحتان من الزنك واسعتان مجارة كبيرة الحجم فيبقى لديك بين الحجر والآخر فراغ كبير. ثم اسحق هذه الحجارة جيداً واعصرها الى الصفيحة ترى ان الصفيحة تسع من الحجارة المسحوقة اكثر مما تتسع له من الكتل الكبيرة. ولما كانت ذرات المادة بروتونات تدور حولها كهارب والمسافة بين الكهارب شاسعة اذا قيست بدقة حجم الكهارب ذاتها فمن المعقول ان تستطيع حشرها في حيّز ضيق بعد انفصال الكهارب عن البروتونات بعض الزيادة اكثر مما تستطيع ذلك والذرات كاملة

وهذا يقلب نظرنا الى قلب النجوم. فان هذه الدرجات العالية من الحرارة والكثافة تمهد السبيل لتحول المادة الى اشعاع. وعليه فبحثنا عن مصادر الاشعاع الفضائي يجب ان يتجه الى قلوب النجوم

مكافحة التهاب الرئة

اكتشف الدكتور اوزولد اڤري والدكتور رنيه ديبو من اطباء معهد كفلر الطبي في نيويورك مادة جديدة في شكل انزيم قد تكون فعالة في الوقاية من التهاب الرئة وشفائها لانها تذيب النشاء الذي يحيط ببعض المكروبات التي تحدث هذا الالتهاب فالمعروف ان مكروبات التهاب الرئة ثلاثة انواع يختلف احدها عن الآخر باختلاف نوع السكر الذي في غشائه. والظاهر ان اي مقدرة هذه المكروبات في غزو انسجة الجسم توقف على النشاء. وقد ثبت لهذين الباحثين ان المادة التي كشف عنها لحلّ السكر الذي في غشاء الطائفة الثالثة من هذه المكروبات المعروفة (نموكوك ٣) والتغير في بناء النشاء لا بدّ ان يسفر عن تغير في المكروب المجرد من غشائه من اثر في الانسجة. ولدى تجربة ذلك في الفيران تأيّد هذا القول بنتائج التجارب. وقد استخرج هذا السلاح الجديد ضدّ التهاب الرئة من باشلس استخرجاه من المادة المعفرية في بعض مستنقعات نيوجرزي وفعله يقتصر على (نوموكوك ٣) ويزول بالاحماء

تحويل ذكور الضفادع اناثاً

التت الدكتورة كتي بونس استاذة علم الحيوان التجريبي بجامعة جنيف خطبة في المؤتمر الثاني للمباحث التناسلية الذي التأم في لندن في الصيف الماضي قالت فيها انها تمكنت من تحويل عدد غير قليل من ذكور الضفادع الى اناث ثم زوجت هذه الاناث بالذكور فحملت وولدت فاحدث خطابها هزة في دوائر العلوم البيولوجية . فانها ازالت اولاً الغدد الجنسية من الذكور البالغين فنتج ذلك نمو عضو صغير خاص في الضفدع يدعى « عضو بدر » ولدى فحص هذا العضو وجد انه يحتوي على بيوض جاهزة للتلاقح ولم تفز الذكور من هذه الاناث بل اقبلت عليها . ومما ادهش العلماء ان نسل الفريقين كان كله ذكوراً . ولعل ذلك يرجع الى تركيب خاص في البيوض التي في عضو بدر . وعلى ذكر هذا نذكر ان الدكتور دُم Domm الاستاذ بجامعة شيكاغو تمكن من تحويل بعض ذكور الطيور اناثاً وبعض الاناث ذكوراً . فانه ازال من ١٧٥ من اناث العصافير البيض الايسر وهو البيض الوحيد في العصافير لان البيض الايمن يضمر ويزول فهو من هذا القبيل يشبه « بضو بدر » في الضفدع . فلما ازيل البيض الايسر اشتد البيض الايمن ولكنه اصبح خصية بدلاً من ان يتم مبيضاً . اي ان هذا العنصر الذي اصله غدة جنسية انثوية تحول بعد ازالة البيض الايسر الى غدة جنسية ذكرية . ومن الغريب ان هذه الغدد كانت تفرز نطفاً للتلاقح

والمعروف عند علماء الحيوان ان انقلاب جنس الحيوان اذا فقد غدته الجنسية يقع في الطبيعة من غير وساطة الانسان . فذكور الحيوان المعروف بالسلندر اذا جاعت بضعة شهور متوالية تضمر غددها الجنسية . فاذا وجدت طعاماً بعد ذلك عادت الى النمو ولكنها تنقلب غدداً انثوية . والدجاج يقع له ما هو شبيه بذلك اذا اصيب بالتدرُّن

الاشعة الكونية امواج لا كهارب

ذهب الدكتور ملكن اكبر الباحثين في الاشعة الكونية الى ان هذه الاشعة امواج من قبيل اشعة اكس ولكنها اقصر منها . وخالفته في ذلك طائفة من العلماء اذ قالت ان هذه الامواج كهارب منطلقة من الاجرام السموية في الفضاء . فعمل الدكتور ملكن آلاته الدقيقة وصحب احد مساعديه وسافر الى بقعة في كندا نائية عن العمران تبعد نحو مائتي ميل عن القطب الشمالي المغناطيسي ونحو سبعمائة ميل من القطب الشمالي الجغرافي . ورأيه في ذلك انه اذا كانت هذه الاشعة تيارات من الكهارب فيجب ان تكثر حول القطب المغناطيسي لانه يجذبها . فثبت له من القياسات الدقيقة التي قام بها في رحلته هذه صحة رأيه وهو ان هذه الاشعة امواج قصيرة جداً

الاشعة اللاسلكية وسم الدفتيريا

بعثت طائفة من اصحاب معهد باستور في احد المستشفيات الاميركية تقريراً الى مجلة العلم الاميركية قالوا فيه ان للاشعة اللاسلكية التي من طول متر وتسعة اعشار المتر فعلاً في السموم التي يفرزها باسلس الدفتيريا. ولكي يتأكدوا ان هذا الفعل ليس لمزيد الحرارة استعملوا جهازاً مبرداً زيادة في الحيطة. وقد ثبت لهم من تجاربهم ان قدراً من سم هذا الباسلس كافياً لقتل حيوان ضعف بعد تعريضه لهذه الاشعة ست ساعات متوالية حتى صار فعله اضعف من فعل القدر الصغير الذي يحقن في الجلد للكشف عن الدفتيريا. وهذه النتيجة تؤيد بحثاً للعالمين الفرنسيين دارسونفال ورشلان جريا منذ نحو ٣٥ سنة فوجدا به ان تياراً كهربائياً سريع التذبذب (٢٠٠ الف ذبذبة في الثانية) يضعف مثل السم الدفتيري. على ان الآلات الكهربائية قد تقدمت تقدماً سريعاً في هذه الفترة وسرعة التذبذب في التيار الذي استعمله الاطباء الاميركيون بلغت ١٥٨ مليوناً في الثانية. وقد ينجم عن هذا البحث تعريض السم المذكور للاشعة ثم استعماله لتوليد المناعة في الجسم

مذهب جديد في كهربائية الشمس

يذهب الدكتور جنّ رئيس العالم الاميركي المنتدب للبحث الطبيعي في معمل اكادمية العلوم البحرية ان تيارات كهربائية غضبانية شوة ملايين ڤولط وهو ضغط كافٍ لاحداث شرق يبرد الابخرة تنطلق من داخل الشمس الى الفضاء فتخيلها فتحمي الجو حولها الى درجة البياض حتى نحو ما يفعل التيار الكهربائي في اجهاء انسلك المعدني بمصباح كهربائي. وعند ان مصدر هذه القوة العظيمة هو تلاشي المادة في قلب الشمس. فان علماء الطبيعة في السنوات الاخيرة اخذوا يعتقدون ان المادة والقوة شيء واحد يتشكل اشكالاً مختلفة فليس غريباً بعد على العجب اذا رأينا المادة تتلاشى في قلب الشمس وتتحول نوراً وقوة كهربائية. وهذه الحقيقة تشوق وكثيراً من الحقائق الفلكية المسلَّم بها. ويكاد يكون من المؤكد ان الشمس تخسر في كل ثانية الف الف طن من مادتها الى قوة. وما تفقده الشمس كذلك عظيم جداً بذاته ولكنه ضئيل اذا قيس بجرم الشمس. فقد قدر العلماء انه يجب ان ينقضي بليون سنة على فعل التلاشي هذا قبلما ينقص جرم الشمس نقصاً ظاهراً

٢٣ يوماً في الهواء

تمكن الاخوان جون وكنث هنز ان يطيرا بطيارة ويظلا محلقين بها ٤٠ ساعة و٤٨ دقيقة ونصف دقيقة اي ٢٣ يوماً ونحو ساعتين وكانا في اثناء ذلك يملآن طيارتهما بأنبوب من طيارة تحلق فوقهما وتفرغ البنزين في الانبوب المتصل بأحواضهما وتقدر المسافة التي قطعاها في اثناء ذلك بنحو اربعين الف ميل

اخلاط البريليوم

كشف رجال الكيمياء الصناعية عن خليط معدني جديد من الالومنيوم والبريليوم في خفة الاول وصلابة الفولاذ والمرجح ان يكون لهذا الخليط مستقبل باهر في بناء البلونات والطيارات حيث يحتاج المهندس الى معدن متين وخفيف في آن واحد

والبريليوم عنصر كيماوي كالحديد والنحاس ومادي القرن يكاد يكون رصاصيًّا يمكن صقله كالفولاذ حتى يتعذر على غير الخبير ان يفرق بين قطعتين مصقولتين من البريليوم والفولاذ لاول وهلة . فاذا حملت القطعتان ادرك الفرق بينهما لان الصلب ثقيل والبريليوم خفيف . وهو اخف العناصر التي لا تكدُّ . وقد يمزج بالنحاس فيخرج خليط معدني يصعب تمييزه عن الذهب . واذا مزج بالفضة خرج خليط فضي لا يكدُّ . فالحاجة الى درس اخلاط البريليوم ماسَّة لما تتصف به من الخواص الغريبة

تجارة كورنثوس القديمة

اثبتت الادوات الخزفية التي عثر عليها في حفريات كورنثوس في الفصل المنقضي ما قيل عن اتساع تجارة كورنثوس الدولية من نحو ٢٦٠٠ سنة . ففي نحو القرن السابع ق.م وسعت كورنثوس نطاق تجارتها حتى شمل آسيا الصغرى والمؤرخون يذكرون لذلك تأييداً لهذا القول هدايا تبودلت بين بريانذر الطاغية اليوناني وملوك ليديا . وقد عثر الآن الاستاذ ليلي شير مدير بعثة اميركية تبحث في كورنثوس على أناء خزفي ليدياوي في ارض كورنثية وهذا الاناء مطبوع بطابع ليديا الخاص ومصنوع من دلفان ليدياوي . وقد وجد معهُ آنية خزفية اخرى منقوشة بنقوش شرقية مختلفة مما يشير الى المصادر الشرقية التي استمدَّ منها الكورنثيون بعض آرائهم واساليبهم الفنية الجديدة

والمدافن التي عنيت هذه البعثة بحفرها يبلغ عددها ٣٤٠٠ مدفن وفيها يظهر ارتقاء كورنثوس من نحو سنة ٢٠٠٠ ق . م الى عهد الرومان وقد وجد فيها آنية خزفية متعددة وحلى ذهبية وبرونزية واسلحة والعاب صغيرة كان يلهو بها اولاد الرومان وغير ذلك من الاشياء التي كانت تدفن مع الاموات

مسألة جابر بن حيان

حار الباحثون في رسائل لاتينية قيل ان كاتبها يدعى Geber جابر وحاولوا معرفة علاقتها بمؤلفات جابر بن حيان الكيماوية . وتعقدت المسألة لما شكَّ بعضهم في نسبة مؤلفات جابر الكيماوية اليه . وقد اشار الاستاذ وسكا في احدى المجلات الالمانية الصادرة في ١٠ يوليو الى انهُ تولى البحث في مؤلفات لجابر بن حيان نشرها الاستاذ لبارد سنة ١٩٠٨ فوجد ان الطريقة التي اتبعها انما هي من اصل اسماعيلي

الجزء الرابع من المجلد السابع والسبعين

صفحة
٣٦٥ مخاطبة المريخ
٣٧٠ مراحل الارتقاء
٣٧٧ الادب والحياة . لرابندرانات طاغور (مصوّرة)
٣٨٠ هل تنذر الازمات الاقتصادية المتوالية . لاتجاعيل مظهر بك
٣٨٧ رحلة غواصة تحت اطباق الجليد (مصوّرة)
٣٩٢ الغرائز في نظر المسلكي: للدكتور جون وطسن
٣٩٧ انقضاء الفي سنة على فرجيل (مصوّرة)
٤٠١ الحديد عند قدماء المصريين
٤٠٤ قطعة من الشعب . للشاعر القروي
٤٠٥ اللغة العربية وروابط الاجتماع . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٤١١ هل تكفّ العلماء منعاً للحرب ؟ للاستاذ « لو »
٤١٣ خواطر في التاريخ والعمران . للاستاذ هولدين
٤١٨ امير الشعر في العصر القديم . لمصطفى صادق الرافعي
٤٢١ ابو الوفاء البوزجاني الحاسب . لقدري حافظ طوقان
٤٢٦ التجارة عند العرب وجاورهم . لميشيل اسكندر المملوف
٤٣٢ الى صاحب البؤساء . لمحمود ابو الوفا
٤٣٣ عجائب ارز لبنان . لتوفيق اليازجي
٤٣٨ بين المعري وداعي السعادة . لكامل كيلاني (مصوّرة)
٤٤٤ من المانيا الى اليابان بابلون. للدكتور اكنر (مصوّرة)

٤٤٩ باب شؤون المرأة * الاتحاد النسائي السوري اللبناني . العناية بالعامل (مصورة) تحاسب المرأة (مصورة)
٤٥٨ باب الزراعة والاقتصاد * الازمة الحالية في الصناعة والتجارة لمصر عنايته المعرض الزراعي الصناعي لفؤاد باشا بك اصلاح الارض وتحسينها
٤٦٦ مكتبة المقتطف
٤٧٦ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٤ نبذة

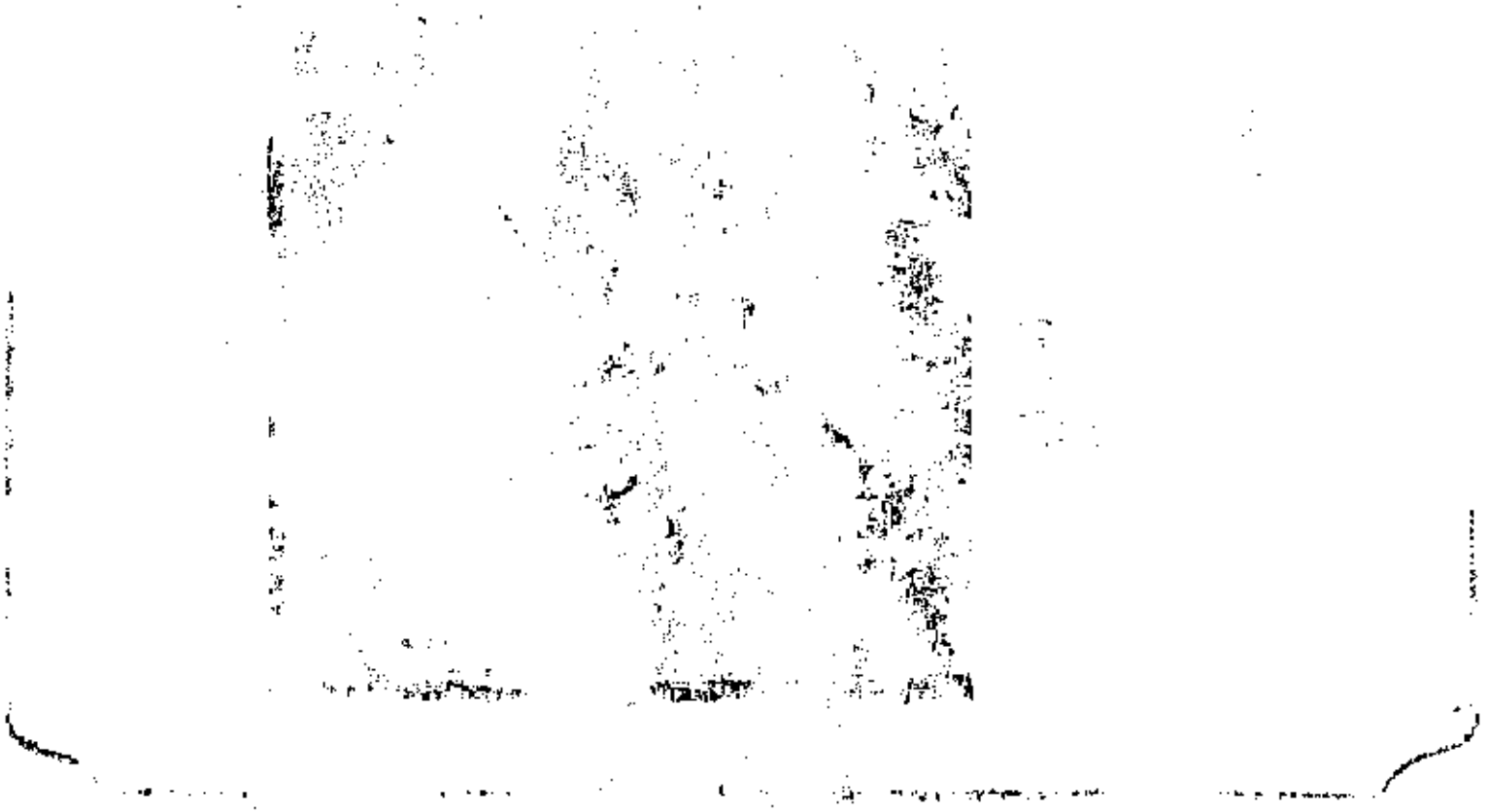

جبّارة الطيّارات

هذا رسم الطيّارة المائية الالمانية الشهيرة بـ (دوكس) Do-x بناها كاود دورنيه باني الطيارات الالماني . وقد جاءت الانباء البرقية بسفرها من مقرّها على بحيرة كونستانس الى امستردام فانكلترا فنرلسا فالبرتغال استعداداً لطيرانها من اوربا الى اميركا في ثلاث مراحل